الصحيح من سيرة النبي الأعظم

٢٢

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد22

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

ص: 6

[تتمه القسم التاسع]

الباب الثانى فتح مكه

اشاره

الفصل الأول: هكذا تحرک من مرّ الظهران

الفصل الثانى: دخول مكه

الفصل الثالث: القتال فى مكه

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافه

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام

الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبه

الفصل الثامن: الخطبه الأولى فى مكه

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه فى مكه

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

ص: 7

ص: 8

الفصل الأول: هكذا تحرک من مرّ الظهران

اشاره

الإعلان بالأمان:

قال أبو سفيان و حكيم بن حزام: يا رسول اللّه، ادع الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش و كفت أيديها آمنون هم؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (نعم).

قال العباس: قلت: يا رسول اللّه!! قد عرفت أبا سفيان و حبه الشرف و الفخر، فاجعل له شيئا.

و عن أبى سلمه و يحيى بن عبد الرحمن: أن أبا بكر قال: يا رسول اللّه إن أبا سفيان رجل يحب السماع، يعنى الشرف انتهى.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن).

فقال: و ما تسع دارى؟

زاد ابن عقبه: (و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن)- و دار أبى سفيان بأعلى مكه، و دار حكيم بأسفلها- (و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن).

فقال أبو سفيان: و ما يسع المسجد؟

قال (صلى اللّه عليه و آله): (و من أغلق بابه فهو آمن).

فقال أبو سفيان: هذه واسعه (1).

و قال الحلبى الشافعى: (عقد (صلّى اللّه عليه و آله) فى المسجد لأبى رويحه- الذى آخى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بينه و بين بلال- لواء، و أمره أن ينادي: و من دخل تحت لواء أبى رويحه فهو آمن. أى و إنما قال ذلک لما قاله له أبو سفيان: و ما تسع دارى؟ و ما يسع المسجد)؟ (2).

و فى نص آخر: أن العباس أخذ أبا سفيان فأباته عنده، فلما أصبح و سمع الأذان سأل العباس عنه، فأخبره، ثم أمره العباس بأن يتوضأ و يصلى ... و علمه الوضوء .. ففعل.

فلما صلى غدا به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: يا رسول اللّه، إنى أحب أن تأذن لى إلى قومک، فأنذرهم، و أدعوهم إلى اللّه و رسوله، فأذن له.

فقال العباس: كيف أقول لهم؟! بيّن لى من ذلک أمرا يطمئنون إليه!!

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (تقول لهم: من قال: لا إله إلا اللّه وحده لا

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 218 عن ابن عقبه، و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير 8/ 9 و انظر المجمع 6/ 172 و أخرج صدره مسلم فى الجهاد باب (31 و 84 و 86) و أبو داود فى الخراج باب (25) و أحمد 2/ 292 و 538 و البيهقى 6/ 234 و 9/ 117 و 118 و 171 و الطبرانى فى الكبير 8/ 9 و ابن أبى شيبه 14/ 475 و عبد الرزاق (9739) و الطبرانى فى الصغير 2/ 72 و الدار قطنى 3/ 60 و الطحاوى فى المعانى 3/ 321 و البيهقى فى الدلائل 5/ 32 و 37 و 56 و السيره الحلبيه ج 3 ص 80 و تاريخ الخميس ج 2 ص 81.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 80.

شریک له، و شهد أن محمدا رسول اللّه، و کف یده فهو آمن، و من جلس عند الکعبه و وضع سلاحه فهو آمن).

فقال العباس: یا رسول اللّه إن أبا سفیان رجل یحب الفخر، فلو خصصته بمعروف.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): (من دخل دار أبی سفیان فهو آمن).

قال أبو سفیان: داری؟

قال: دارک.

ثم قال: (و من أغلق بابه فهو آمن) (1).

و نص آخر یقول:

و جاء حکیم بن حزام و بدیل بن ورقاء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأسلما و بایعاه، فلما بایعاه بعثهما رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بین یدیه إلی قریش، یدعوانهم إلی الإسلام.

و قال: من دخل دار أبی سفیان- و هو بأعلی مکه- فهو آمن، و من دخل دار حکیم- و هو بأسفل مکه- فهو آمن، و من أغلق بابه و کف یده فهو آمن (2).

و نقول:

إن فی هذه النصوص العدید من الإشارات و الدلالات، نذکر منها ما یلی:

1- البحار ج 21 ص 129 عن إعلام الوری.
2- مجمع البیان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 104 و تاریخ الخمیس ح 2 ص 81.

هل هذا تشريف لأبى سفيان؟!:

قد كان مما أعطاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لأبى سفيان: أن جعل الأمان لمن دخل داره، لأن أبا سفيان يحب التفخيم و الذكر، كما قاله العباس رحمه اللّه.

و لكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و إن كان قد أنعم لأبى سفيان بهذا الأمر و أعطاه إياه بيد، و لكنه عاد فأخذه منه باليد الأخرى، بأسلوب رصين يجعل الناس يدركون للتوّ: أنه مجرد إجراء شكلى ليس له مضمون تشريف و لا تكريم، لأنه:

1- أعطى مثل ذلك لحكيم بن حزام أيضا.

2- ساوى بين دخول دار أبى سفيان، و بين اللجوء إلى رايه الأمان، التى جعلها مع أبى رويحه.

3- ساوى أيضا بينه و بين أيه دار فى مكه يدخلها صاحبها، و يغلق بابها على نفسه.

4- ساوى بين ذلك و بين أن يضع الإنسان سلاحه، و يكف يده، ليكون ذلك إشاره إلى مجرد اتخاذ وضع غير قتالى.

و بذلك يتضح: أن أبا سفيان ليس فقط لم يحصل على ما أراد من الذكر و الفخر، و إنما أخذ منه ما كان قد استلبه بغير حق .. لأن المساواه بين دخول داره و بين دخول دار أى إنسان فى مكه، ثم بين ذلك و بين أن يكف الإنسان يده و يضع سلاحه فيها حط من المقام الذى جعله أبو سفيان لنفسه، و جعله كأى إنسان آخر من أهل مكه ..

و ذلك بعد أن جعله أيضا مثل حكيم بن حزام .. الأمر الذى لا يرضاه

أبو سفيان، و لا يقرّ به له.

و لا بد من أن يرضى ذلک ابن حزام، و ربما تذهب به الأوهام إلى أبعد من ذلک، إذا كان يذكى لديه الطموح لمنافسه أبى سفيان، أو لعدم الإقرار له بالتفرد فى الزعامه على الأقل .. و من شأن هذا أن يزعج أبا سفيان، و يؤرقه فى مضجعه أيضا.

إستجداء بعد الإستغناء:

لقد كان أبو سفيان طيله حوالى عشرين سنه يسعى لإطفاء نور اللّه، مدّعيا لنفسه مواقع الشرف و الكرامه، متخذا من هذا الفعل المخزى و المشين سبيلا للمجد و الذكر و الفخر، و شيوع الذكر.

و لكنه بين ليله و ضحاها أصبح يستجدى شيئا من الذكر، و ما يوجب له الفخر من نفس هذا العدو الذى لم يزل يحاربه إلى تلک اللحظه، و لو قدر على شى ء من ذلک لما تردد فيه ..

فما هذه الدنيا التى تذل حتى أشد الناس حبا لها، و لا تعطيهم شيئا إلا أن يدفعوا ثمنه أعز شى ء لديهم، و أغلاه عليهم؟!

حفظ حرم اللّه تبارک و تعالى:

و لسنا بحاجه إلى التأكيد على أن إعلان الأمان لأهل مكه، و كذلک سائر المواقف و السياسات النبويه فى مسيره (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه، تظهر بما لا مجال معه لأى شبهه و ريب: أن المطلوب هو: أن لا تراق أيه قطره دم فى حرم اللّه تبارک و تعالى ..

و لا بد من أن يقارن الكثيرون من أهل مكه و غيرهم بين هذه السياسه

مع صناديد قريش و كل رجالها، و بين ما فعله أهل مكه أنفسهم بالخزاعيين الأبرياء من الصبيان، و النساء، و الرجال الضعفاء. فى حين أن قريشا لو تمكنت من الحرب لأبادت هذا الجيش القادم بأكمله فى نفس بيت اللّه و حرمه ..

وضوء و صلاه أبى سفيان:

و قد أظهر النص المتقدم عن البحار عن إعلام الورى: أن أبا سفيان قد توضأ و صلى مع المسلمين.

و نقول:

إن ذلک لا مجال لقبوله، إن كان أبو سفيان على شركه إلى تلک اللحظه، كما ذكرته بعض الروايات، فإنه إنما أسلم بعد ما بات عند العباس ..

و إن أخذنا بروايه البحار و إعلام الورى، و قلنا: بأنه قد أسلم ليلا، ثم سلمه النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى العباس ليبيت عنده، فلما أصبح رأى أذان المسلمين و صلاتهم، فصلى معهم .. فلا غبار على الروايه التى نتحدث عنها من هذه الجهه ..

إلا أن يقال: إنه قد بات ليله أخرى غير الليله التى أخذ فيها، و كان قد أسلم نهارا، و هو إنما توضأ و صلى فى صبيحه الليله الثانيه، فلا يبقى إشكال فى قولهم: إنه توضأ و صلى، حتى على القول الأول.

الدعاه الجدد إلى الإسلام:

و فى النصوص المتقدمه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) بعث بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام يدعوان الناس فى مكه إلى الإسلام، بل فيها: أن

أبا سفيان نفسه قد تبرع بذلک، لکنه کان علی جهل تام بما یرید قوله، فطلب أن یعلموه ما یقول للناس فی ذلک، فعلمه النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یطلب من الناس النطق بالشهادتین.

و نقول:

إن هؤلاء و هم رؤوس الشرک یمکن أن یساهموا فی إطفاء نار الحرب، و حمل الناس علی ترک القتال .. لأن ذلک یحفظ أرواح الناس، خصوصا إذا کانوا من أهلهم، و عشیرتهم، أو من أحبائهم و أصدقائهم، أو من حلفائهم.

و یمکن أن یقدموا علی ذلک من منطق الحفاظ علی حرمه البیت و الحرم، و لأجل حفظ ماء وجههم أمام الآخرین .. لا لأجل أن للحرم قداسه حقیقه فی نفوسهم.

و لکننا لا یمکن أن نصدق: أن رؤوس الشرک یطلبون أن یکونوا دعاه للناس للدخول فی هذا الدین، إلا علی أساس أنه نفاق و استغلال، لا سیما و أنهم کانوا لا یزالون یحاربون هذا الدین للحظات خلت. بل إن أبا سفیان قد ما طل و سوّف و لم یزل یقول لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): إن فی النفس شیئا من الشهاده له بالرساله. فکیف یعقل أن یتحول فی تلک اللحظه نفسها إلی داعیه صادق لهذا الدین؟! و لو قیل: لعل اللّه هو الذی تصرف فی قلبه!!

قلنا: لماذا تأخر هذا التصرف إلی الآن؟!

أبو سفیان یرصد کتائب الفتح:

و لما صلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالناس الغداه، قال للعباس:

(خذه إلی رأس العقبه، فأقعده هناک لیراه الناس جنود اللّه و یراها).

فقال أبو سفیان: ما أعظم ملک ابن أخیک.

قال العباس: یا أبا سفیان هی نبوه.

قال: نعم (1).

و زعموا أیضا: أنه لما توجهوا ذاهبین قال العباس: یا رسول اللّه، إنی لا آمن أبا سفیان أن یرجع عن إسلامه، فارددہ حتی یفقه، و یری جنود اللّه- تعالی- معک (2).

و عن أبی سلمه و یحیی بن عبد الرحمن بن حاطب: أن أبا سفیان لما ولی، قال أبو بکر: یا رسول اللّه، لو أمرت بأبی سفیان فحبس علی الطریق؟ (3).

و نری: أن الصحیح هو ما قاله ابن إسحاق و محمد بن عمر: من أن أبا سفیان لما ذهب لینصرف، قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) للعباس:

(احبسه بمضیق الوادی (حتی تمر علیه جنود اللّه)).

قال ابن عقبه، و محمد بن عمر: فأدرکه العباس فحبسه، فقال أبو سفیان: أغدرا یا بنی هاشم؟

فقال العباس: إن أهل النبوه لا یغدرون. زاد الواقدی قوله: و لکن لی إلیک حاجه.

فقال أبو سفیان: فهلا بدأت بها أولا؟

1- البحار ج 21 ص 119 عن الخرایج و الجرایح، و المغازی للواقدی ج 2 ص 118.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 218 عن ابن عقبه.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 218 عن ابن أبی شیبه.

فقلت: إن لی إلیک حاجه، فیکون أفرخ لروعی؟!

قال العباس: لم أکن أراک تذهب هذا المذهب.

و عبأ رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) أصحابه الخ .. (1).

و لفظ ابن عقبه: إنا لسنا بغدر، و لکن أصبح حتی تنظر جنود اللّه، و إلی ما أعد اللّه للمشرکین.

قال ابن عقبه: فحبسهم بالمضیق دون الأراک إلی مکه حتی أصبحوا (2).

کتائب الإسلام إلی مکه:

قالوا: و أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) منادیا ینادی، لتصبح کل قبیله قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رایته، و تظهر ما معها من الأداه و العده.

فأصبح الناس علی ظهر، و قدّم بین یدیه الکتائب.

قالوا: و مرت القبائل علی قادتها. و الکتائب علی راياتها (3).

قال محمد بن عمر: و کان أول من قدم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خالد بن الولید فی بنی سلیم و هم ألف، و یقال: تسعمائه، و معهم لواءان و رایه، یحمل أحد اللواءین العباس بن مرداس، و الآخر یحمله خفاف بن

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 818 و تاریخ مدینه دمشق ج 23 ص 452.
2- السیره الحلبیه ج 3 ص 80 و البحار ج 21 ص 104 و 118 و 119 و 129 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 81 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 218 و راجع: مجمع البیان ج 10 ص 556.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 219 عن ابن عقبه.

ندبه، و یحمل الرایه الحجاج بن علاط- بعین مضمومه- (و عند المعتزلی:

و رایه یحملها المقداد)، فلما مروا بأبی سفیان، کبروا ثلاث تکبیرات، ثم مضوا، فقال أبو سفیان: یا عباس!! من هؤلاء؟

فقال: هذا خالد بن الولید.

(و فی نص آخر قال أبو سفیان: هذا رسول اللّه؟ قال: لا، و لکن هذا خالد بن الولید فی المقدمه) (1).

قال: الغلام؟

قال: نعم.

قال: و من معه؟

قال: بنو سلیم.

قال: ما لی و بنی سلیم!

ثم مر علی أثره الزبیر بن العوام فی خمسمائه من المهاجرین و أفناء العرب (2)، و معه رایه سوداء.

فلما مروا بأبی سفیان کبروا ثلاثا.

فقال أبو سفیان: من هؤلاء؟ و فی نص آخر: یا عباس! هذا محمد؟!

قال: هذا الزبیر بن العوام.

قال: ابن أختک؟

قال: نعم.

1- البحار ج 1 ص 130.
2- الأفناء: الأخلاط من الناس لا یعرف من أی القبائل هم.

ثم مرت بنو غفار فى ثلاثمائه، يحمل رايتهم أبو ذر.

و يقال: إيماء بن رحضه، فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟

قال: بنو غفار.

قال: ما لى و لبنى غفار؟

ثم مرت أسلم فى أربعمائه، فيها لواءان، يحمل أحدهما بريده بن الحصيب، و الآخر ناجيه بن الأعجم، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: أسلم.

قال: ما لى و لأسلم؟ (ما كان بيننا و بينهم تره قط.

قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام).

ثم مرت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائه، يحمل رايتهم بسر بن سفيان فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إخوه أسلم.

قال: نعم. هؤلاء حلفاء محمد.

ثم مرت مزينه فى ألف. فيها ثلاثه ألويه، و مائه فرس. يحمل ألويتها النعمان بن مقرن، و عبد اللّه بن عمرو بن عوف، و بلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

قال: من هؤلاء؟

قال العباس: مزينه.

قال: ما لی و لمزینه؟ قد جاءتنی تقعقع من شواهقها (1).

ثم مرت جهینه فی ثمانمائه، فیها أربعه ألویه، یحملها أبو روعه معبد بن خالد، و سوید بن صخر، و رافع بن مکیث و عبد اللّه بن بدر، فلما حاذوه کبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال: جهینه.

قال: ما لی و لجهینه؟

ثم مرت کنانه بنو لیث و ضمره، و سعد بن بکر فی مائتین، یحمل لواءهم أبو واقد اللیثی، فلما حاذوه کبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو بکر.

قال: نعم، أهل شؤم و اللّه! هؤلاء الذین غزانا محمد بسببهم. (زاد فی نص آخر قوله: أما و اللّه ما شوورت فیهم و لا علمته، و لقد کنت له کارها حیث بلغنی، و لکنه أمر حتم).

قال العباس: قد خار اللّه- تعالی- لکم فی غزو محمد (صلّی اللّه علیه و آله) أتاکم أمنکم، و دخلتم فی الإسلام کافه.

ثم مرت أشجع و هم آخر من مر، و هم ثلاثمائه معهم لواءان، یحمل أحدهما: معقل بن سنان، و الآخر: نعیم بن مسعود. فلما حاذوه کبروا ثلاثا.

قال أبو سفیان: من هؤلاء؟

1- تقعقع الشی ء: أحدث صوتا عند تحریکه.

قال العباس: هؤلاء أشجع.

قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد.

قال العباس: و أدخل اللّه- تعالى- الإسلام فى قلوبهم، فهذا فضل من اللّه.

ثم قال أبو سفيان: أبعد ما مضى محمد؟

فقال العباس: لا، لم يمض بعد، لو أتت الكتيبه التى فيها محمد رأيت فيها الحديد و الخيل و الرجال، و ما ليس لأحد به طاقه.

قال: و من له بهؤلاء طاقه؟

و جعل الناس يمرون، كل ذلک يقول أبو سفيان: ما مر محمد؟

فيقول العباس: لا، حتى طلعت كتيبه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخضراء التى فيها المهاجرون و الأنصار- و سميت الخضراء لما فيها من الحديد، و العرب تطلق الخضره على السواد و العكس- و طلع سواد شديد، و غبره من سنابک الخيل، و جعل الناس يمرون، كل ذلک يقول: أما مر محمد؟

فيقول العباس: لا.

و فى هذه الكتيبه: الرايات و الألويه، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء و رايه، و هم فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و لعمر بن الخطاب فيها زجل (1) بصوت عال و هو يزعها (2) و يقول: رويدا حتى يلحق أولكم آخركم.

1- الزجل: رفع الصوت.
2- وزع فلانا: زجره و نهاه. و وزع الجيش: رتب فرقه، و سواهم صفا واحدا.

و عند الواقدى: (فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل! من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

فقال أبو سفيان: لقد أمر أمر بنى عدى بعد- و اللّه- قله و ذله.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن اللّه يرفع من يشاء بما يشاء. و إن عمر ممن رفعه الإسلام، و يقال: كان فى الكتيبه ألف دارع) (1).

و يقال: ألفا دارع.

و أعطى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) رايته سعد بن عباده، فهو أمام الكتيبه، فلما مر سعد برايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل اللّه قريشا.

و فى نص آخر: اليوم تستحل الكعبه (2). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 22 22 كتائب الإسلام إلى مكه: ..... ص : 17

قال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار (3).

فمرت القبائل، و طلع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هو على ناقته القصواء. قال محمد بن عمر:- طلع- بين أبى بكر الصديق، و أسيد بن الحضير- و هو يحدثهما- فقال العباس: هذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (4).

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 821.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 82.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 220 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 82 و المغازى للواقدى ج 2 ص 818- 821.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 221 و فى هامشه عن: ابن عبد البر فى الدرر (216) و البيهقى فى الدلائل 5/ 38 و ابن كثير فى البدايه 4/ 290. و البحار ج 21-

و فی الصحیح عن عروه: أن کتیبه الأنصار جاءت مع سعد بن عباده، و معه الرایه: قال: و لم یر مثلها، ثم جاءت کتیبه هی أقل الکتائب، فیهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أصحابه، و رایه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مع الزبیر.

قال فی العیون: کذا وقع عند جمیع الرواه.

و رواه الحمیدی فی کتابه: هی أجل الکتائب، و هو الأظهر انتهی (1).

فقال أبو سفیان: لقد أصبح ملک ابن أخیک الیوم عظیما.

قال العباس: قلت: یا أبا سفیان إنها النبوه.

قال: فنعم إذا (2).

عن العباس- رضی اللّه عنه- قال: لما بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قلت لأبی سفیان بن حرب: أسلم بنا.

قال: لا و اللّه حتی أری الخیل تطلع من کداء.

قال العباس: قلت ما هذا؟

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221 و 267 و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 82 و 83.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221 و فی هامشه قال: انظر المجمع 6/ 173. و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 81 و مجمع البیان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 104 و 118 و 119 و المغازی للواقدی ج 2 ص 822.

قال: شی ء طلع بقلبی، لأن اللّه لا یطلع خیلا هناک أبدا.

قال العباس: فلما طلع رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) من هناک ذکرت أبا سفیان به، فذکره (1).

قالوا: فلما مر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بأبی سفیان، قال: یا رسول اللّه أمرت بقتل قومک؟! ألم تعلم ما قال سعد بن عباده؟!

قال: (ما قال)؟!

قال: کذا و کذا، و إنی أنشدک اللّه فی قومک، فأنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (کذب سعد یا أبا سفیان، الیوم یوم المرحمه، الیوم یوم یعظم اللّه فیه الکعبه، الیوم یوم تکسی فیه الکعبه، الیوم یوم أعز اللّه فیه قریشا). و أرسل إلی سعد فعزله عن اللواء (2).

و عند ابن إسحاق: أن سعدا لما قال ما قال، سمعه رجل من المهاجرین.

قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.

فقال: یا رسول اللّه، أتسمع ما قال سعد؟ ما نأمن أن یکون له فی قریش صوله (3).

زاد الدیار بکری قوله: فقال (صلی اللّه علیه و آله) لعلی بن أبی طالب

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221 عن الطبرانی و مجمع الزوائد ج 6 ص 173.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221 و السیره الحلبیه ج 3 ص 82 و البحار ج 21 ص 109 عن المعتزلی، و المغازی للواقدی ج 2 ص 821 و 822.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 82.

(علیه السلام): أدرکه، و خذ الرایه، و کن أنت الذی تدخل بها (1).

و استبعد ذلک الحافظ من عمر هنا؛ لکونه کان معروفا بشده البأس علیهم (2).

و عند محمد بن عمر: أن عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، قالا ذلک لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) (3).

و قال ضرار بن الخطاب الفهری- فیما ذکره محمد بن عمر، و أبو عثمان سعید بن یحیی بن سعید الأموی- شعرا یستعطف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی أهل مکه، حین سمع قول سعد، قال أبو الربیع: و هو من أجود شعر قاله.

و عن جابر: أن امرأه من قریش عارضت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بهذا الشعر، فکأن ضرارا أرسل به المرأه لیکون أبلغ فی انعطاف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی قریش:

یا نبی الهدی إلیک لجاحی قریش و لات حین لجاء

حین ضاقت علیهم سعه الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان علی القوم و نودوا بالصیلم (4) الصلعاء

1- تاریخ الخمیس ج 2 ص 82.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 221 و السیره الحلبیه ج 3 ص 82 و البحار ج 21 ص 109 عن المعتزلی، و المغازی للواقدی ج 2 ص 822.
4- الصیلم: السیف المصقول.

إن سعدا يريد قاصمه الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر و العواء

و غر الصدر (1) لا يهم بشى ءغير سفک الدما و سبى النساء

قد تلظى على البطاح و جاءت عنه هند بالسوءه السواء

إذ ينادى بذل حى قريش و ابن حرب بذا من الشهداء

فلئن أقحم اللواء و نادى يا حماه الأدبار أهل اللواء

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج و الأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعه القاع فى أكف الإماء

فأنهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب و الغ فى الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحيه الصماء فأرسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى سعد، فنزع اللواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس بن سعد، و رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه (2).

و فى روايه: دخل ولد سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون (3).

و زعموا أيضا: أن سعدا أبى أن يسلم اللواء إلا بأماره من رسول اللّه

1- و غر الصدر: امتلأ غيظا.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 222 و السيره الحلبيه ج 3 ص 82 و المغازى للواقدى ج 2 ص 822 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 82.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 822.

(صلی اللّه علیه و آله)، فأرسل النبی (صلی اللّه علیه و آله) بعمامته، فدفع اللواء إلی ابنه قیس.

و یقال: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمر علیا (علیه السلام)، فأخذ الرایه، فذهب بها إلی مکه حتی غرزها عند الرکن (1).

و روی: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أعطی الرایه للزبیر إذ نزعها من سعد (2).

زاد الدیار بکری قوله: و جعله مکان سعد علی الأنصار مع المهاجرین.

و عن الزبیر: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) دفعها إلیه فدخل بلواءین (3).

قال الحافظ: و الذی یظهر فی الجمع: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أرسل علیا لینزعها، و أن یدخل بها (4).

ثم خشی تغیر خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قیس، ثم إن سعدا خشی أن یقع من ابنه شی ء یکرهه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فسأل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یأخذها، فحینئذ أخذها الزبیر (5).

و یؤید ذلک: ما رواه البزار بسند علی شرط البخاری عن أنس قال:

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 222 و المغازی للواقدی ج 2 ص 822.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 222 عن ابن عبد البر و السیره الحلبیه ج 3 ص 82 و المغازی للواقدی ج 2 ص 822 و راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 82.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 222 عن أبی یعلی، و موسی بن عقبه.
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 222 و 223 و السیره الحلبیه ج 3 ص 82.
5- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 222 و 223 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 82.

كان قيس فى مقدمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما قدم مكه، فكلم سعد النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يصرفه عن الموضع الذى هو فيه مخافه أن يقدم على شى ء فصرفه عن ذلک. انتهى (1).

و فى نص آخر: أن أبا سفيان سعى إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (و زاحم حتى مرّ تحت الرماح)، و أخذ بغرزه (2)، فقبّله، و قال: بأبى أنت و أمى، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنه يقول:

اليوم يوم الملحمهاليوم تسبى الحرمه فقال لعلى (عليه السلام): أدركه، فخذ الرايه منه، و كن أنت الذى يدخل بها، و ادخلها إدخالا رفيقا.

فأخذها على (عليه السلام)، و أدخلها كما أمر (3).

و نقول:

قد احتوت النصوص المتقدمه أمورا عديده ينبغى الوقوف عندها. و قد آثرنا أن نقتصر هنا على بعض منها، و هى الأمور التاليه:

العباس هو المشير أم أبو بكر؟!:

يلاحظ: أن بعض الروايات المتقدمه تذكر: أن العباس هو الذى اقترح أن يرى أبو سفيان عرض جنود اللّه تعالى.

1- المصدران السابقان.
2- الغرز: ركاب الرجل.
3- مجمع البيان ج 10 ص 557 و البحار ج 21 ص 105 و 130 عن إعلام الورى، و عن مناقب آل أبى طالب.

لكن روايه أخرى تذكر: أن أبا بكر هو المشير بذلک.

غير أننا نعلم: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن بحاجه إلى رأى أحد ..

فإذا كانا قد بادرا إلى اقتراح من هذا القبيل، فذلک يشير إلى نقص فيهما، لأنهما يخالفان بذلک قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1).

و الصحيح هو: أن هذا هو قرار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لم يحتج فيه إلى أحد.

و قد صرحت بعض الروايات: بأنه بمجرد أن أعلن أبو سفيان بالشهادتين أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) العباس بأن يأخذه إلى العقبه ليراه جنود اللّه عز و جل، و يراهم.

أهداف حضور العرض:

و قد صرح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالهدف الذى كان يتوخاه من حضور أبى سفيان عرض جنود اللّه تعالى، و هو أمران:

أولهما: أن يراه الناس جنود اللّه، لتقوى بذلک عزائمهم، و يصح يقينهم بوعد اللّه تعالى لهم بالفتح و النصر، منذ الحديبيه.

ثانيهما: أن يرى هو جنود اللّه، لتذل و تتطامن نفسه الأمّاره بالسوء، التى تمنيه النصر، و تدعوه إلى محاربه اللّه و رسوله، و عباده المؤمنين، و ليكبته

1- الآيه 1 من سوره الحجرات.

اللّه تبارک و تعالی بذلک، و یشفی به صدور قوم مؤمنین طالما اضطهدهم، و ألحق بهم أنواعا من الأذایا و البلایا و الرزایا.

أبو سفیان یصر علی أن ما یراه (ملک):

و حین یعبّر أبو سفیان للعباس عن انبهاره بما یری، تراه یقول: ما أعظم ملک ابن أخیک.

فهو یزعم للعباس: بأن ما یراه إنما هو من مظاهر السلطان و الملک، و لا یرید ان یعترف للنبی (صلی اللّه علیه و آله) بالنبوه، لأنه قد یستطیع أن یصنع لنفسه ملکا یضاهیه، أو أن یکید لهذا الملک و یسقطه، أو یسلبه ممن هو له.

أما النبوه فهی شرف لا یمکن سلبه، و لا مجال للسعی للحصول علیه؛ لأن الإختیار فیه لا یعود إلیه، و لا إلی أحد یمکن الوصول إلیه، بل إلی اللّه تبارک و تعالی. و أبو سفیان لم یزل محاربا له سبحانه، منتهکا لحرماته ..

و لذلک تراه یصر علی توصیف کل ما یراه بأنه (ملک)، متجاهلا کل ما یراه من معجزات و کرامات لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) .. لأنه یری: أن ذلک من مصلحته، کما أن مصلحته- بزعمه الفاسد- هی بإنکار النبوه، أو التشکیک فیها علی الأقل.

أغدرا یا بنی هاشم؟!:

إن أبا سفیان لم یزل یصف النبی (صلی اللّه علیه و آله) بأفضل الصفات، و بأنه أبر الناس و أوصلهم، و أرحمهم، و بأنه الحلیم الکریم، و ..

و .. و قد عرفه الناس بأنه الوفی الذی لا یغدر، و الواضح الذی لا یمکر،

و الطاهر الذى لا يفجر.

و قد رفض (صلى اللّه عليه و آله) بعد عهد الحديبيه أن يستجيب لطلب أبى بصير بأن لا يسلمه لأهل مكه، و قال له: (لا يصح فى ديننا الغدر) (1).

و قد كان وفاؤه هذا معروفا لدى المشركين. و قد شهد بذلک مكرز بن حفص الذى بعثته قريش مع جماعه، ليستعلموا منه (صلى اللّه عليه و آله) عن سبب مجيئه إلى مكه فى عمره القضاء، فقالوا له: (و اللّه، ما عرفت صغيرا و لا كبيرا بالغدر).

إلى أن تقول الروايه: فقال مكرز: (هو الذى تعرف به البر و الوفاء) (2).

و لكن أبا سفيان برغم هذا كله، بمجرد أن أشار إليه العباس بأن يقف لحاجه له معه، بادر لوصف جميع بنى هاشم بالغدر .. مع أن طلب الوقوف ليس فيه ما يشير إلى غدر، و لا إلى سواه.

و لكن خوف أبى سفيان قد أعاده إلى غفلته، و أيقظ فيه سوء سريرته، فتعامل مع الأمور وفق طبعه هو، لا وفق ما يعلمه من النبى (صلى اللّه عليه و آله) و من بنى هاشم ..

و الذى دل على ذلک: أنه قد برر و ستر بهذا الخوف ما صدر منه من اتهام بنى هاشم بالغدر، فإنه حين قال له العباس: لى إليک حاجه.

قال له أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولا.

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 24.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 191 و فى هامشه عن الطبقات الكبرى ج 2 ص 92 و دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 321 و المغازى للواقدى ج 2 ص 734.

فقلت: إنّ لی إلیک حاجه، فیکون أفرخ لروعی.

العده و العدد:

و قد تقدم: أنه (صلی اللّه علیه و آله) أمر العباس بأن یوقف أبا سفیان علی رأس العقبه لیراه عباد اللّه و یراهم .. ثم عبأ (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه، و أمرهم بإظهار الأداه و العده ..

و لا یحتاج هذا الإجراء إلی بیان، فهو المنطق الذی یفهمه عبید الدنیا، الذین یفهمون الأمور بمقادیرها، و یقومونها بأحجامها، و هیآتها المادیه، لا بمضمونها و معناها الواقعی.

کتائب أم قبائل:

و قد أمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) منادیا ینادی: لتصبح کل قبیله قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رایته. ثم صارت القبائل تمر علی قادتها و القبائل علی راياتها ..

و السؤال هنا هو: عن السبب فی هذه التبعیه التی تعتمد علی التصنیف العشائری مع أن الإسلام یرفض المنطق القبلی و العشائری.

و نقول فی الجواب:

إن للعشائریه و القبائلیه حالتین:

إحداهما: غیر مضره و لا مسیئه لأحد، و ربما تکون محبوبه و مرضیه یتجاوز فی محبوبیتها درجه الإستحباب لتصل إلی الوجوب.

و لتصبح بذلک منشأ للعقوبات و المثوبات الإلهیه، لأن لها دورا فی بناء الحیاه، و فی تصحیح مسارها .. مثل صله الأرحام، و قضاء حوائجهم، و قد

حفظ الإسلام هذه الصله و الخصوصيه، و رضيها.

و لكنه نزع منها أو فقل: غيّر فيها نزعه العصبيه و كرّسها في أن تكون عصبيه للحق، و للدين، و السعى لرضا اللّه تعالى، و الالتزام بأوامره فى حفظ نفس هذه الصله أيضا.

الثانيه: العصبيه للعشيره، و للنسب، و الإندفاع فى تلبيه طموحات ذلک المتعصب، و أهوائه إلى حد الظلم و العدوان على الآخرين، لمجرد الإستجابه للداعى النسبى، أو العشائرى. و هذا مرفوض و مدان فى الإسلام.

و من الواضح: أن ترتيب الكتائب وفق التصنيف العشائرى هو من الصنف الأول أى أنه لا يوجب ضررا، بل هو مفيد و سديد، و يوجب تنافسا فى السعى إلى تحقيق رضا اللّه تبارک و تعالى فيما ندبهم إليه .. و هو يدفع أيضا إلى التناصر فى ساحات الجهاد، و يقلل من حجم الخسائر بين أهل الإيمان.

بل لقد كان لهذا التنظيم فائده أخرى هامه جدا، و خصوصا فى فتح مكه .. حيث رأى أبو سفيان: كيف أن مختلف قبائل العرب، التى طالما علّق آماله على نصرها، تنضوى تحت لواء الإسلام، و تأتى لفتح بلد كان يعتبره آخر ما يمكن أن يفكر أحد بجمع الجيوش لدخوله ..

و لذلک كان أبو سفيان كلما مرت به قبيله من تلک القبائل، على هيئتها و بعدتها القتاليه، يعرب عن حيرته فى دوافع تلک القبيله إلى أن تكون فى موقع المحارب له، ثم أن تبلغ فى عدائها له و للمشركين إلى هذا الحد، و هو أن تدخل مكه، فيقول: ما لى و لقبيله كذا .. ثم يكرر هذا القول بالنسبه للقبيله التى تليها .. و هكذا.

و قد يقول عن بعض القبائل: (ما كان بيننا و بينها تره قط).

و قال عن بعضها: (جاءتنى تقعقع من شواهقها).

بل هو حين مر به بنو بكر قال: أهل شؤم و اللّه، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم.

و لعل أكثر ما آلم قلبه هو: أنه قد مرت به قبائل كانت من أشد الناس عداوه لمحمد (صلى اللّه عليه و آله) .. فما الذى قلب الأمور، و كيف تغيرت الأحوال؟!

من هؤلاء:

و لكن يبقى لنا سؤال عن طبيعه أسئله أبى سفيان للعباس عن الأشخاص و عن القبائل .. فقد كانت معرفه أبى سفيان تضاهى معرفه العباس بهم و بها، فقد كانا يعرفان خالدا و عمر بن الخطاب، و .. و .. الخ .. و يعرفان سليما و بنى بكر، و بنى أشجع الخ ..

فهل كانت أسئله تقديريه، أم أنه كان متجاهلا فى أسئلته لا جاهلا، ليظهر للعباس أنه قد فوجئ بالأمر؟! أم أن هناک بعض الأسباب الأخرى التى لم تخطر على بالنا؟!

كل ذلک نجعله فى بقيه الأماكن و لكن النتيجه واحده على كل حال، و هى فتح اللّه تعالى لنبيه (صلى اللّه عليه و آله)، و نصره على أهل الشرک و الضلال.

خالد .. غلام !!:

و قد ورد فى الروايات المتقدمه: أن أبا سفيان وصف خالد بن الوليد

بالغلام حين رآه يقود كتيبته و هو يدخل مكه (1).

و لا ندرى ما المبرر لإطلاق هذا الوصف عليه، فقد كان عمره عاليا، و قد يكون من أتراب أبى سفيان نفسه، إن لم يكن أسن منه.

و هل يصح أن يوصف ب (الغلام) من يزعمون: أنه كان أحد أشراف قريش فى الجاهليه (2)، و إليه كانت القبه التى كانوا يضربونها، ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش؟ (3).

و إليه- حسب زعمهم أيضا- كانت أعنه خيل قريش فى الجاهليه (4).

إلا إذا كان يقصد ب (الغلام) الشيخ، على اعتبار أن هذه الكلمه من الأضداد التى تطلق على الفتى الطار الشارب و الكهل (5).

و لكن قد يقال: إنه تأويل غير مقبول؛ لأن أبا سفيان لما سمع باسم خالد قال مستفهما: (الغلام؟ قال: نعم).

فقد يفيد هذا السياق: أن هذه الكلمه مما عرف إطلاقها على خالد ..

فكأنها كانت من ألقابه لمناسبه اقتضت ذلک.

1- الإصابه ج 1 ص 413 و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج 1 ص 406 عن الزبير بن بكار.
2- الأعلام للزركلى ج 2 ص 300.
3- تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 254 و ج 24 ص 118 و البدايه و النهايه ج 5 ص 366.
4- الأعلام للزركلى ج 2 ص 300 و تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 254 و ج 24 ص 118 و البدايه و النهايه ج 5 ص 366.
5- راجع: أقرب الموارد ج 2 ص 884.

اللواء و الرايه:

قدمنا بعض الحديث عن اللواء و الرايه، و اتحادها أو عدمه، فى أوائل غزوه أحد، و ربما فى مواضع أخرى أيضا ..

و سياق الحديث فى بعض النصوص المتقدمه يشير إلى اختلافهما أيضا.

و يظهر من بعضها خلاف ذلک.

فهو يجمع بين الألويه و الرايات، فيقول عن بنى سليم: كان معهم لواءان و رايه.

و أضاف المعتزلى رايه أخرى أيضا.

و لكنه تحدث عن خصوص الألويه فى مواضع أخرى، فقد قال عن بنى مزينه: إن لهم ثلاثه ألويه.

و عن جهينه: إن فيهم أربعه ألويه.

و عن أشجع: كان فيهم لواءان.

و عن بنى سليم: كان معهما لواءان، و لم يذكر رايات.

و ذكر لبعض الفئات: رايه أو أكثر، و لم يذكر لها لواء مثل المهاجرين، و أفناء العرب، و كذلک الحال بالنسبه لقبيله غفار.

و كل ذلک يزيد فى إبهام الأمر بالنسبه للاصطلاح الذى جرى عليه الرواه هنا.

و لعل ذلک يعزز ما قلناه من عدم الفرق بين اللواء و الرايه، و إن كان بعض الرواه قد يستنسب خصوصيه فى مورد، فيبادر إلى التفريق بينهما فى تعابيره لأجلها، و إن لم يكن لها مدخليه حقيقيه فى أصل المعنى.

الرايات السود:

و قد ذكر فيما تقدم: أن رايه المهاجرين و أفناء العرب كانت سوداء ..

و قالوا أيضا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد عقد يوم حنين و يوم الفتح رايه سوداء (1).

و سيأتى أيضا عن أبى هريره: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دخل مكه يومئذ (و عليه عمامه سوداء، و رايته سوداء و لواؤه أسود) (2).

و نقول:

إننا لم نجد مبررا لعقد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رايه لعمه، خصوصا بملاحظه الروايه الصحيحه التى صرحت: بأن العباس كان من الطلقاء ..

و لو أغمضنا النظر عنها؛ فإن عقد رايه له معناه: أن يطبل العباسيون و يزمروا لها ما شاؤوا.

و لكانت قد حفلت كتب التاريخ بذكرها تبركا، أو تزلفا لهم!! و لم نجد لذلك أثرا، لا فى تبجحات العباسيين، و لا فى تزلفات المتزلفين.

و بالمناسبه نقول:

قد يظهر من الكميت: أن الرايه التى كان المسلمون يرفعونها فى حروبهم ضد الكفار كانت سوداء، فهو يقول:

و إلا فارفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلاله و التعدى

1- صبح الأعشى ج 3 ص 370 عن كتاب الحاوى الكبير للماوردى.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 266 و المغازى للواقدى ج 2 ص 824.

و قد كانت رايه على (عليه السلام) فى صفين سوداء أيضا (1)، و قد خاطب صلوات اللّه و سلامه عليه حضين بن المنذر بقوله:

لمن رايه سوداء يخفق ظلهاإذا قيل: قدمها حضين تقدما (2)

لقد عزّ عمر بعد قله و ذله:

و قد تكلمنا فيما سبق عن مقام و موقع عمر فى الجاهليه و فى الإسلام، و ليس لنا أن نعيد ما ذكرناه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل (حتى الشعب)، تحت فقره بعنوان: (هل عز الإسلام بعمر حقا)؟!

و قد أظهرت النصوص الصريحه: أن عمر بن الخطاب لم يكن من بيوت العز و الشرف و السؤدد، بل كان فى قله و ذله، و كان هو فى نفسه عسيفا، أى تابعا مستهانا به.

و لكن بالإسلام ينال الناس الشرف و العزه، إلا إذا تخلفوا عن الإلتزام بمناهجه، و عن العمل بتعاليمه .. فلا بد من ملاحظه سيره حياتهم، و تقييمهم على هذا الأساس.

1- راجع: السياده العربيه و الشيعه و الإسرائيليات هامش ص 126.
2- الغارات ج 2 ص 790 و 792 و مواقف الشيعه للأحمدى ج 1 ص 125 و دستور معالم الحكم لابن سلامه ص 196 و تاريخ مدينه دمشق ج 14 ص 293 و 296 و ج 16 ص 210 و تهذيب الكمال ج 6 ص 556 و الإصابه ج 5 ص 93 و الأعلام للزركلى ج 2 ص 262 و أنساب الأشراف ص 269 و 307 و الأنساب للسمعانى ج 1 ص 45 و تاريخ الأمم و الملوک ج 4 ص 26 و المنتخب فى ذيل المذيل للطبرى ص 146 و الجمل للمفيد ص 172.

أبو سفيان يصر على موقفه:

و قد ذكرنا فى فصول متقدمه: كيف تعامل أبو سفيان مع ما جرى على خزاعه، حين قتلت بنو بكر و قريش طائفه من نسائها و صبيانها، و ضعفاء الرجال فيها، و نقضوا بذلک عهدهم مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و كان رأيه جحد هذا الأمر، و إنكاره .. و سافر من مكه إلى المدينه لكى يوهم المسلمين ببراءه قريش من هذا الأمر، و حصر الأمر فيه بآحاد من بنى بكر.

و ها هو يعود ليزعم: أنه كان لما جرى على خزاعه كارها ..

و ليت شعرى إذا كان له كارها، حيث بلغه، فلما ذا سعى فى طل دماء أولئک المقتولين ظلما، و جحد أن يكون لقريش أى أثر فيه، و سافر إلى المدينه لإيهام المسلمين بهذا الأمر؟!

و لكنه أمر حتم:

و اللافت: أن أبا سفيان يعود هنا فيلقى بالمسؤوليه على القدر، و يتحاشى أن ينسب إلى أولئک المجرمين القتله أيه مسؤوليه عن قتل أولئک الأبرياء، فهو يقول: (و لكنه أمر حتم).

و نقول له:

إنه أمر صنعته إرادات و أيدى زعماء قريش، و زعماء بنى بكر، و لم يرحموا فيه صغيرا و لا كبيرا، و لم يجبرهم عليه أحد.

فهو لم يكن محتوما لو لا ركوبهم لخيول الهوى و العصبيه، و طاعتهم للشيطان.

هذا .. و قد عوّدنا الأقوياء حين يضعفون و يعجزون، و كذلک الذين يستشعرون بعض القوه، ثم يظهر لهم ما هم فيه من الوهن و الفشل- عودونا- أن يبرروا ذلک بالإحاله على القدر، أو على الجبر التكوينى الإلهى، لتغطيه ذلک العجز و الوهن، و التستر على ما هم فيه من فشل و خيبه ..

و قد كانت عقيده الجبريه فى المشركين، و ورثها الناس عنهم، و ربما يكون لأهل الكتاب أيضا دور فى ترسيخها فيهم.

قال تعالى عن المشركين: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْ ءٍ كَذلِکَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. (1).

بل إن اليهود قد جعلوا اللّه تعالى محكوما بقدره، و مقهورا و مجبرا فيما يفعل، فقد قال سبحانه عنهم: وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ .. (2).

و قد استخدم الحكام و أهل الأطماع هذه العقيده لخدمه مصالحهم، و تسيير أمورهم، و حل مشاكلهم، و الخروج من بعض المآزق التى أوقعوا أنفسهم فيها.

و برروا بها إقدامهم على كثير من الأمور غير المشروعه أيضا.

ثم وضعت الأحاديث الكثيره على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لتأييد هذه العقيده و نشرها ..

من أجل هذا و ذاک ظهرت هذه العقيده فى مفردات كثيره من مواقف

1- الآيه 148 من سوره الأنعام.
2- الآيه 64 من سوره المائده.

و كلمات و تصرفات الخلفاء و الحكام، و الشخصيات المعروفه- باستثناء على و أهل بيته (عليهم السلام)- فراجع ما ينقل من ذلک عن عمر، و أبى بكر، و عائشه، و خالد بن الوليد، و معاويه، و عمر بن سعد، و المنصور و .. و .. الخ ..

و بها بررت عائشه حرب الجمل التى خاضتها ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) (1).

و بها برر عمر بن الخطاب بعض أعماله حتى حين مزق كتابا سجل فيه حكما فى مسأله إرثيه ..

و بها برر عثمان تمسكه بالحكم إلى أن قتل.

و بها احتج معاويه لعهده بالخلافه بعده ليزيد الخمور و الفجور.

و بها برر عمر بن سعد قتله للإمام الحسين (عليه السلام).

و بها استدل خالد بن الوليد لقتل مالک بن نويره، و من معه من المسلمين.

و بها برر معاويه و المنصور العباسى منع الناس من حقوقهم فى بيت مال المسلمين.

إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه (2).

1- المحاسن و المساوى للبيهقى ج 1 ص 471 و راجع: شواهد التنزيل ج 2 ص 38 و 39 و تفسير نور الثقلين ج 4 ص 276 و مجمع البيان ج 8 ص 357 و راجع: البحار ج 35 ص 222 و فى هامشه عن الطرائف ص 20.
2- إن ما تقدم من أمثله و شواهد، و من أحاديث أيضا موجود فى المصادر المختلفه بصوره متفرقه، فمن أراد أن يقف على متفرقاته و يجمع بين شتاته، فليلتقط بعضه من المصادر التاليه: تأويل مختلف الحديث ص 5 و 6 و 29 و 45 و 48 و 82 و 83 و 128 و 235 و 236 و الهدى إلى دين المصطفى ج 2 ص 162 و 271 و المصنف للصنعانى ج 10 ص 119 و 122 و 18 و ج 6 ص 356 و حياه الصحابه ج 2 ص 12 و 95 و 94 و 230 و ج 3 ص 487 و 492 و 501 و 529. و راجع: الغدير ج 7 ص 147 و 154

و 158 و ج 8 ص 132 و ج 9 ص 34 و 95 و 192 و ج 10 ص 333 و 245 و 249 و ج 5 ص 365 و ج 6 ص 128 و 117 و نور القبس ص 31 و 266 و 65 و عیون الأخبار لابن قتیبه ج 4 ص 69 و مدارک التنزیل (مطبوع بهامش تفسیر الخازن) ج 1 ص 401 و قاموس الرجال ج 6 ص 36 و الفتوح لابن أعثم ج 4 ص 239 و ربیع الأبرار ج 2 ص 64 و 65 و ج 1 ص 821 و المعجم الصغیر ج 1 ص 158 و 74 و 130 و 255 و ج 2 ص 67 و 55 و الطبقات الکبری (ط دار صادر) ج 5 ص 148 و 543 و ج 7 ص 163 و 417 و ج 3 ص 72 و 66 و کلمه الأدیان الحیه ص 77 و 80 و الإلمام ج 6 ص 119 و لسان المیزان ج 1 ص 448 و الکفایه فی علم الروایه ص 166 و جامع بیان العلم ج 1 ص 20 و ج 2 ص 148 و 149 و 150 و ضحی الإسلام ج 3 ص 81 و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج 1 ص 340 و ج 12 ص 78 و 79 و الإمامه و السیاسه ص 183 و الأخبار الدخیله (المستدرک) ج 1 ص 193 و 197 و مقارنه الأدیان (الیهودیه) ص 271 و 249 و أنیس الأعلام ج 1 ص 279 و 257 و التوحید و إثبات صفات الرب ص 80- 82 و المقدمه لابن خلدون ص 143 و 144 و الأغانی ج 3 ص 76 و العقد الفرید ج 1 ص 206 و ج 2 ص 112 و تاریخ الأمم و الملوک (ط مطبعه الاستقامه) ج 2 ص 445 و بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص 43 و 49 عن العدید من المصادر و تذکره الخواص ص 104 و 105 و تاریخ بغداد ج 1 ص 160 و بهج الصباغه ج 7 ص 120 و الدر المنثور ج 6 و المغازی للواقدی ج 3 ص 904 و الموطأ (مطبوع مع تنویر الحوالک) ج 3 ص 92 و 93 و مصابیح السنه للبغوی ج 2 ص 67 و مناقب الشافعی ج 1 ص 17 و صحیح البخاری ج 8 ص 208 و المعتزله ص 7 و 39 و 40 و 87 و 91 و 201 و 265 عن المنیه، و الأمل ص 126 و الخطط للمقریزی ج 4 ص 181 و الملل و النحل ج 1 ص 97 و 98 و العقائد النسفیه ص 85 و وفیات الأعیان ص 494. و فی (الإمام الصادق و المذاهب الأربعه) ج 3 ص 45 عن الطبری ج 6 ص 33 و ج 3 ص 207 و عن الترمذی ص 508. و فی حیاه الصحابه نقله عن المصادر التالیه: کنز العمال ج 3 ص 138 و 139 و ج 8 ص 208 و ج 1 ص 86 و صحیح مسلم ج 2 ص 86 و أبی داود ج 2 ص 16 و الترمذی ج 1 ص 201 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 209 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 50 و ج 6 ص 349 و مسند أحمد ج 5 ص 245 و مجمع الزوائد ج 6 ص 3 و ج 1 ص 135 و تاریخ الأمم و الملوک للطبری (مقتل بریر) ج 4 ص 124 و ج 3 ص 281 و البدایه و النهایه ج 7 ص 79. و نقل أیضا عن: جامع البیان ج 6 ص 60 و عن تفسیر القرآن العظیم ج 1 ص 594 و عن أنساب الأشراف ج 5 ص 24.

ص: 42

هذا .. و قد تصدى أمير المؤمنين و أهل البيت (عليهم السلام) و كذلک شيعتهم (رضوان اللّه عليهم) لهذه العقيده الفاسده، بكل ما أمكنهم .. كما تصدوا لكل فاسد وافد، و بينوا زيفه بالأدله و بالشواهد ..

بنو بكر أهل شؤم:

و قد قال أبو سفيان عن بنى بكر، حين مروا به: (نعم، أهل شؤم و اللّه! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم).

و نقول:

إنه كلام غير سليم، و هو يستبطن نوعا من التدليس للحقيقه، و المغالطه

فيها، فلاحظ ما يلى:

أولا: إن بنى بكر لم يكونوا وحدهم حين قتلوا الأطفال، و النساء، و الضعفاء من رجال خزاعه، بل كان معهم من قريش جماعه فيهم زعماء، و كبار، و لم يكن بنو بكر ليجبروهم على اتخاذ موقفهم، بل اتخذوه بمل ء اختيارهم.

فما معنى: أن يعتبرهم شؤما، فضلا عن أن يجعلهم سبب غزو محمد (صلى اللّه عليه و آله) لقريش؟!

ثانيا: لو صح قول أبى سفيان هذا، فقد كان بإمكانه أن يتلافى ما حصل، بالعمل على القصاص من المجرمين، أو على الأقل أن يعطى أولئک القتله الظالمون خزاعه ديه قتلاها ..

ثالثا: لماذا ساهم هو فى التستر على مرتكبى الجريمه، و فى السعى لخداع المسلمين، و إعطائهم انطباعا خاطئا عن حقيقه ما جرى؟!

موقف النبى صلّى اللّه عليه و آله من كلام سعد:

و عن قول سعد بن عباده: اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل اللّه قريشا، نقول:

إنه مرفوض جمله و تفصيلا، بعد أن صدرت الأوامر الصارمه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ظهرت رغبته الأكيده بحفظ حرمه بيت اللّه، و حرمه.

و هذا ينم عن جهل، أو عن عصبيه جاهليه اعترت سعدا فى ذلک الموقف .. إلا إذا كان يريد أن يخيف أبا سفيان، أو أنه أطلق كلماته تلک انسياقا

مع مشاعره الجياشه، و انسجاما مع عواطفه الثائره، بعد كل ما رآه من بغى و طغيان، و ظلم مارسته قريش ضد الإسلام و أهله طيله أكثر من عشرين سنه.

و فى جميع الأحوال نقول:

إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يريد حفظ حرم اللّه و التأكيد على كرامه بيته، لأن فى ذلک حفظ الإسلام .. حتى لو أدى ذلک إلى أن يتمكن بعض الظلمه من أن يفلتوا من العقوبه التى يستحقونها فى هذه الدنيا، و لم يكن يريد حفظ أقاربه و قومه، بما هم قوم و أقارب، فقد أثبتت الأيام: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يفكر بهذه الطريقه، و لا ينطلق فى مواقفه من مثل هذه المفاهيم و المعانى.

كما أنه يريد: أن يفسح المجال للناس الذين استضعفهم أولئک المستكبرون، ليمارسوا حريتهم فى الاختيار و فى الممارسه، و أن يمنع حدوث أى شى ء يؤسس لأحقاد، أو لطلب ثارات، قد تتسبب فى تفجير أوضاع خطيره على مستقبل الدين و أهله ..

و قد نسبت بعض الروايات إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) قوله: (كذب سعد). و هى كلمه قويه و حاده، إن كان يريد أن سعدا تعمد أن يكذب.

و إن كان يريد أنه لم يصب الواقع، لاشتباه الأمر عليه، فظن أن يوم المرحمه هو يوم الملحمه، فليس فى هذه الكلمه إهانه لسعد، بل هو يريد تخطئته و حسب.

يوم المرحمه و يوم عزّ قريش:

و لا شک فى أن الرحمه الإلهيه قد شملت أهل مكه بهذا الفتح الذى

فرض عليهم الإسلام، و أدى إلى هيمنه أحكامه و شرائعه، التى هى محض الحق و العدل، و بها يكون لهم بلوغ درجات الكرامه و الفضل.

إنه يوم رفع الظلم، و الجبريه، و يوم إعلان الحرب على الفساد و المفسدين، و إبطال حكومه الأهواء و النزوات، و إسقاط هيمنه العصبيات و الشهوات.

و هو أيضا: يوم تعظيم الكعبه و كسوتها .. بعد أن خرجت من يد المشركين بربهم، الذين هتكوا حرمه حرم اللّه بذبح أطفال، و نساء، و ضعفاء رجال خزاعه فيه .. و تجرؤوا على اللّه بعباده الأصنام فى بيته و الدعوه إلى الشرک به تعالى فيه ..

و هو يوم عزّ قريش التى أعلنت براءتها من الشرک، و التزامها بالإيمان باللّه، و بأنبيائه و رسله، و قبول دينه، فمنحها ذلک حصانه، و عزه، حتى لو كان إيمانها لا يزال فى مراحله الأولى، الذى يقتصر على مجرد الإعلان اللسانى، و لم يلامس بعد شغاف القلوب، و لم يتمازج مع الأرواح، و لا طبعت به النفوس.

أخذ الرايه من سعد:

و لم يكن أخذ الرايه من سعد يهدف إلى إهانته، أو المسّ بمقامه. و لذلک أخذت منه لكى تعطى لمن هو أولى بها منه و من كل أحد، ألا و هو على بن أبى طالب (عليه السلام)، ليدخلها إلى مكه إدخالا رفيقا، بعيدا عن أجواء الإثاره و التحدى، و الرهج (1)، و الحركات المؤذيه للناس ..

1- الرهج: الشغب.

و يعيدها إلى قيس بن سعد بن عباده، ليركزها عند الحجون، لأن إعطاء الرايه للولد يرضى الوالد، و يحفظ ماء وجهه، و يطمئنه إلى أن المقصود ليس هو الطعن بمقامه، و إنما تهدئه الأمور، و تبريد الأجواء.

و بذلک نستطيع أن ندرک: أن الروايات التى ذكرت أخذ الرايه من سعد، لتعطى لعلى (عليه السلام)، أو لقيس بن سعد ليست متنافره.

كما أنها لا تتضمن إهانه أو حطا من مقام سعد. و إن كان محبو أبى بكر و عمر قد يرضيهم إعطاؤها هذا الطابع، لأن سعدا لا يحظى بالإحترام، و التقدير لديهم، و لا يتمتع بالحصانه التى تمنع من نسبه ذلک إليه، لأنه بنظرهم يستحق كل مهانه، لأنه نافس أبا بكر على الخلافه فى يوم السقيفه، فى حديث معروف و مشهور ..

و مما يدل على أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يقصد ذلک: ما تقدم من أنه (صلى اللّه عليه و آله) نزع اللواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس. و قد قالوا: و رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه.

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكه:

و مما يؤكد: على أن سعدا لم يكن ينوى البطش بأهل مكه، و إنما قال ما قال على سبيل التهديد و التخويف لأبى سفيان .. أو لأنه فهم أن الأمور ستؤول إلى ذلک، ما رووه: من أنه بعد أن صار اللواء إلى ولده خاف أن يقدم ولده على شى ء من العنف، فطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن

يأخذ اللواء حتى من ولده (1).

و أما احتمال أن يكون قد طلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يأخذ اللواء من ولده قيس بسبب انزعاجه من عزله و توليه ولده، فهو احتمال ردى ء يؤدى إلى إتهام سعد فى دينه، من حيث إنه يتضمن اعتراضا منه على النبى (صلى اللّه عليه و آله).

و أما القول: بأن لا شى ء يدل على أن سعدا قد خاف على ولده من أن يرتكب مخالفه فيبادر إلى الطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يأخذ منه الرايه أيضا.

فيقال فى جوابه: إنه يمكن أن يكون راوى الحديث قد رأى قرائن و دلالات، أعطته الانطباع بأن سعدا يريد حفظ ولده من أن يقع فى خلاف ما يريده رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

على عليه السّلام صاحب اللواء:

و لسنا بحاجه إلى إعاده التذكير بأن عليا (عليه السلام) كان صاحب لواء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كل مشهد، و فى يوم فتح مكه أيضا.

و قد تقدم ذلک فى أوائل غزوه أحد.

و قد صرحت النصوص هنا: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أضاف إلى على لواء سعد بن عباده أيضا.

غير أن ثمه من يدّعى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أعطى رايه سعد

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 222 و 223 و تاريخ الخميس ج 2 ص 82 عن البزار.

للزبير، و زعموا: أن الزبير دخل مكه بلواءين.

و هى روايه الزبيريين لصالح سيدهم و كبيرهم، بل يظهر من ملاحظه بعض الروايات: أن الزبير قد روى ذلک أيضا لنفسه، فى محاوله منه لجر النار إلى قرصه ..

غير أننا نقول:

لنفترض: أن لهذا الكلام نصيبا من الصحه، فلعل أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن أدخل الرايه إلى مكه إدخالا رفيقا، إمتثالا لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)- لعله- أعطاها بعد ذلک للزبير، مكتفيا هو بحمل لواء الجيش كله، حسبما ألمحنا إليه ..

فإنهم يقولون: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أمر عليا، فأخذ الرايه، فذهب بها إلى مكه حتى غرزها عند الركن (1). فلعله جعلها مع الزبير مده يسيره بعد ذلک إلى أن جاء قيس بن سعد، فأخذها من الزبير و أوصلها إلى الحجون.

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش:

و اللافت هنا: أن عمر بن الخطاب الذى أظهر حرصه على قتل أبى سفيان قبل قليل، و لم يزل يظهر الشده على المشركين، و يطالب بسفک دمهم، هو الذى سمع سعدا يقول: اليوم يوم الملحمه الخ .. فجاء إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قال له: (يا رسول اللّه، اسمع ما قال

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 822 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 222.

سعد!! ما نأمن أن يكون له فى قريش صوله) (1).

ثم تابعه على ذلک عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان (2).

ثم دس ضرار بن الخطاب بشعره المتقدم مع امرأه لتنشده النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و هو يستعطفه فيه أيضا على أهل مكه، بعد أن سمع هو الآخر مقاله سعد بن عباده.

فما هذا الحرص من خصوص هؤلاء على سلامه قريش من صولات سعد؟!

و لماذا يكون عمر شديدا هناک، فى حين كان واضحا لكل أحد أن المصلحه هى فى عدم التعرض لأحد من أولئک الناس، و أن الأمر فيهم لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دون سواه، ثم يكون حريصا على سلامه قريش هنا، حيث لا يوجد ما يمنع سعدا من أن تكون له فى قريش صوله إلا تدخّل النبى (صلى اللّه عليه و آله) معه لمنعه من ذلک .. مع توفر الدواعى للبطش بقريش، و كسر عنفوانها، و مجازاتها على بعض ما صدر منها من ظلم، و ما ارتكبته من جرائم فى حق سائر أهل الإيمان فى المنطقه بأسرها.

و أما استبعاد البعض: أن يكون عمر قد فعل ذلک، لكونه كان معروفا بشده البأس عليهم (3)، فقد تقدم فى غزوه أحد ما يفيد فى بيان عدم صحه هذا الكلام، حيث قلنا: إن هناک ما يشير إلى وجود عطف متبادل فيما بين

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 221 و تاريخ الخميس ج 2 ص 82.
2- تقدمت المصادر لذلک.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 221.

المشركين و بين عمر.

و أما المواقف التى كان يظهر فيها عمر شدته عليهم، فإنما هى فى المواقع التى كان يعلم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اتخذ قرارا بعدم التعرض لهم. و لأجل ذلک لم نجده (صلى اللّه عليه و آله) أذن له و لو مره واحده بإلحاق الأذى بأى فرد منهم، رغم كثره طلبه ذلک منه (صلى اللّه عليه و آله).

أبو سفيان يقبّل غرز رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله):

و قد أشرنا أكثر من مره إلى مشروعيه التقبيل للأنبياء و الأولياء و آثارهم، و قد ذكر فى الروايات الكثير من الشواهد و الدلالات على ذلک، و الروايات المتقدمه أظهرت سعى أبى سفيان، و مزاحمته للناس حتى مر تحت الرماح، و وصل إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و أخذ بغرزه فقبله ..

و لم يمنعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من ذلک، و لا أشار إلى أى تحفظ على هذا التقبيل، فيدخل تحت قاعده مشروعيه فعل ما سكت المعصوم عن الاعتراض على فاعله ..

و من جهه أخرى، فإن أبا سفيان الذى لم يزل يجد فى داخله إرهاصات الانتقام من النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين استكبارا منه، و ظلما و عتوا قد أصبح فى موقع المستجدى لعطفهم، و المتملق لهم، و المقبّل لغرز النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و المعلن بالمدح و الثناء عليه، فهو يقول له: أنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فهل يعتبر هذا الرجل، و يكف عن التآمر، و الكيد، و بث الفتن و الأحقاد؟!

تأثير المرأه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله !!:

و قد تقدم فى بعض الروايات: أن ضرار بن الخطاب الفهرى حين سمع مقاله سعد أرسل أبياتا مع امرأه من قريش، فعارضت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بها، (فكأن ضرارا أرسل به المرأه ليكون أبلغ فى انعطاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على قريش).

و نقول:

إن هذا تفكير تافه و سخيف، يتناسب مع ذهنيه المشركين الذين لا يعرفون معنى النبوه، و لا يعيشون آفاقها.

فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و إن كان إنسانا كامل المزايا الإنسانيه و منها العاطفه الجياشه، و لكن عاطفته هذه تبقى خاضعه لعقله، و محكومه بالشرع و الدين، و برضا اللّه تبارک و تعالى ..

فإذا كان هذا العطف متوافقا مع الباطل، و يسخط اللّه، فإنه يتحول إلى غضب حازم، و قرار جازم لا يحابى، و لا يجامل، و لا تخالطه عاطفه، و لا عصبيات باطله.

و إن كان متوافقا مع الحق، و مع رضا اللّه، فرضاه تعالى هو الذى يحرک النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و الحق هو الذى يهيمن على تلک الحركه.

إيحاءات لا تجدى شيئا:

و قد ذكرت بعض الروايات المتقدمه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد دخل مكه و هو بين أبى بكر (الصديق) و أسيد بن حضير، و هو يحدثهما ..

فقال العباس لأبى سفيان: هذا رسول اللّه!!

و نقول:

إن مجرد أن يمشى النبى (صلى اللّه عليه و آله) بين هذا و ذاک لا يدل على فضيله لأى منهما.

إلا إذا ثبت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى طلب منهما أن يكونا معه و إلى جانبه.

و ثبت أيضا: أنه أراد تكريمهما بذلک ..

و لم يثبت أى من هذين الأمرين .. لكننا نعرف أن من المألوف أن يسعى الناس أنفسهم للتقرب من العظماء، فكيف لا يتقربون من الأنبياء؟ و لا سيما فى مثل هذا الفتح العظيم.

بل إن التحدث عن أن هذا الأمر يشير إلى خصوصيه امتاز بها أبو بكر و أسيد بن حضير على من سواهما يوجب الريب فيما يدّعيه أتباع و محبو نفس هؤلاء، من تقدم لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و سواهما على أسيد بن حضير، فكيف اختص أسيد بهذه الفضيله دون هؤلاء، بما فيهم عمر بن الخطاب؟!

و أما قولهم: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يحدث أبا بكر، و أسيد بن حضير .. فإن كان على تقدير أن يكون أحدهما قد سأل النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن أمر مّا، فكان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يجيبه عنه، فهو مقبول ..

و أما إن كان يراد تعظيم أبى بكر و أسيد، و لو بقيمه تصغير شأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقد خاب من اعتدى و افترى على مقام النبوه الأقدس.

على أن من الجائز أن يكونا قد حشرا نفسيهما فى هذا الموقع، و بادرا إلى

طرح بعض الأسئله لكى يرى الناس أن لهما من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) موقعا خاصا.

أسلم بنا:

و عن قول العباس لأبى سفيان، حين بعث النبى (صلى اللّه عليه و آله):

أسلم بنا، نقول:

إنه لمن الغريب حقا: أن يكون ابن عبد المطلب سيد الحجاز، و شيخ بنى عبد مناف يعيش هذه التبعيه الذليله و المهينه أمام أبى سفيان، حتى إنه يعتبر إسلام أبى سفيان أساسا لإسلامه، و إسلام من هم على شاكلته من الناس .. فأبو سفيان هو المتصرف بهم، حتى فى قضايا الإيمان و الإسلام.

و يا ليت العباس كان قد تستر على هذا الضعف المهين، أو أخفى طرفا من هذه التبعيه المشينه، فإن إظهارها بهذه الطريقه، و كأنها من الأمور العاديه و المسلمه، حيث يقول: أسلم بنا!! فذلک يؤلم روح الإنسان الحر، و يؤذى مشاعره، لأنه يعتبر ذلک إهانه للإنسانيه و استخفافا بالضمير، و تحقيرا للعقل.

و على كل حال، فإن العباس بقى على تبعيّته لأبى سفيان طيله عشرين سنه، بل إنه حتى حين لم يعد له مناص هو و أبو سفيان من إعلان الإسلام لم يضعف اهتمامه بحفظ أبى سفيان، و لم يفتر عن السعى فى مصالحه، و ما يرضيه .. و لم نجده متحمسا لحفظ أهل الإيمان، حتى لابن أخيه على (عليه السلام) حين اعتدى عليه المعتدون بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، بمقدار عشر حماسته لأبى سفيان فى يوم الفتح .. و ذلک ظاهر لا يخفى.

ص: 55

الفصل الثانی: دخول مکه

اشاره

أدوار مخترعه للعباس رحمه اللّه:

هذا .. و قد رووا: عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن عروه: أن العباس قال: يا رسول اللّه!! لو أذنت لى فأتيتهم- أى أهل مكه- فدعوتهم فأمنتهم، فركب العباس بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الشهباء، و انطلق.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (ردوا علىّ أبى، ردوا علىّ أبى، فإن عم الرجل صنو أبيه. إنى أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروه بن مسعود، دعاهم إلى اللّه- تعالى- فقتلوه، أما و اللّه لئن ركبوها منه لأضر منها عليهم نارا).

فكره العباس الرجوع، و قال: يا رسول اللّه، إن ترجع أبا سفيان راغبا فى قله الناس، فيكفر بعد إسلامه.

فقال: (احبسه) فحبسه.

فذكر عرض القبائل و مرورها بأبى سفيان، و فيه: فقال أبو سفيان:

امض يا عباس.

فانطلق العباس حتى دخل مكه، فقال: يا أهل مكه!! أسلموا تسلموا

قد استبطنتم بأشهب بازل (1).

و فی حدیث عروه: و کفهم اللّه عز و جل- عن العباس- انتهی.

قال: ثم إن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال لأبی سفیان: تقدم إلی مکه فأعلمهم الأمان (2).

قال العباس: فقلت لأبی سفیان بن حرب: أنج ویحک، فأدرک قومک قبل أن یدخل علیهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فخرج أبو سفیان، فتقدم الناس کلهم حتی دخل مکه من کداء، فصرخ بأعلی صوته: یا معشر قریش، هذا محمد قد جاءکم بما لا قبل لکم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبی سفیان فهو آمن.

قالوا: قاتلک اللّه! و ما تغنی دارک؟!

قال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

فقامت إلیه هند بنت عتبه زوجته، فأخذت بشاربه، و قالت: أقتلوا الحمیت الدسم الأحمس، قبّح من طلیعه قوم.

فقال أبو سفیان: ویلکم! لا تغرنکم هذه من أنفسکم، فإنه قد جاءکم ما لا قبل لکم به (3).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 223 عن ابن أبی شیبه، و الطبرانی، و تهذیب تاریخ دمشق ج 7 ص 236 و معانی الآثار ج 3 ص 315 و عن المصنف ج 14 ص 484.
2- البحار ج 21 ص 119.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 223 و السیره الحلبیه ج 3 ص 81 و راجع: البحار ج 21 ص 130 و راجع ص 119 و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 822 و 823 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 81.

و فی نص آخر: أن أبا سفیان أقبل یرکض حتی دخل مکه و قد سطع الغبار من فوق الجبال (1)، ثم صاح: یا آل غالب، البیوت البیوت. من دخل داری فهو آمن، فعرفت هند فأخذت تطردهم ..

إلی أن قالت الروایه: أن أبا سفیان قال لها: ویلک إنی رأیت ذات القرون، و رأیت فارس أبناء الکرام، و رأیت ملوک کنده و فتیان حمیر، یسلمن (یسلمون) آخر النهار، ویلک اسکتی، فقد و اللّه جاء الحق، و دنت البلیه (2).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نذکرها فیما یلی:

خوف النبی صلّی اللّه علیه و آله علی العباس:

و بالنسبه لما ذکر من خوف النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی عمه العباس، و طلبه أن یردوه علیه، نقول:

إننا نکاد نطمئن إلی أنها روایه مفتعله فی معظمها، فلاحظ ما یلی:

1- کیف یرضی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یذهب العباس إلی أهل مکه، و یأذن له بأن یرکب بغلته .. إذ لم یکن لیرکب العباس بغله رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من دون إذنه .. ثم یغیر قراره مباشره، و یطلب من الناس إرجاع العباس.

1- سطع الغبار: إرتفع.
2- البحار ج 21 ص 130 و 131 عن المناقب، و إعلام الوری، و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 822 و 823.

فإن لم يكن ملتفتا فى بادئ الأمر إلى أن أهل مكه قد يؤذون عمه، و قد يجرى له معهم كما جرى لعروه بن مسعود حيث قتلته ثقيف حينما دعاهم إلى اللّه تعالى، فذلک يشير إلى نقص لا يصح نسبته إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) .. و إن كان قد التفت إلى ذلک و كان قرارا مصيبا، فلما ذا عدل عنه؟! و إن كان قرارا خاطئا فلما ذا اتخذه، و أصدر أمره على أساسه؟!

و هل يمكن أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) مترددا إلى هذا الحد؟

ثم ألا يوجب ذلک وهن أمره، و ضعف أثره؟

و من تكون هذه حاله، كيف يستطيع أن يجمع هذه الجموع و يحقق هذه الإنجازات؟!

2- إن عروه بن مسعود حين دعا ثقيفا إلى اللّه لم يكن وراءه من تخشاه ثقيف و لا كان معه، عشره آلاف مقاتل، و لا كان قد أخذ من زعمائهم من هو مثل أبى سفيان، و بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام ..

أما العباس، فكان كل ذلک متوفرا بالنسبه إليه، فلا معنى لقياس حاله بحال ابن مسعود الثقفى، الذى قتلته ثقيف ..

3- إن واضع الروايه لم تكن لديه خبره كافيه بالتاريخ. فإن ما ذكره من خشيه النبى (صلى اللّه عليه و آله) من أن يجرى على عمه مثل ما جرى على عروه بن مسعود، حيث قتلته ثقيف حين ذهب إليهم يدعوهم إلى اللّه، لا يمكن أن يصح، لأن عروه- كما صرحت به النصوص- إنما قتلته ثقيف فى سنه تسع بعد رجوع أبى بكر من الحج (1).

1- الإصابه ج 2 ص 477 عن موسى بن عقبه.

و قد كان فتح مكه فى شهر رمضان من سنه ثمان كما هو معلوم، أو بعد حرب الطائف كما ذكره ابن إسحاق (1). و قد كان الفتح فى شوال سنه ثمان.

و سيأتى ذلک كله مع مصادره بعد غزوه الطائف إن شاء اللّه تعالى.

4- ما معنى: أن لا يرضى العباس أن يمتثل لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حيث كره الرجوع، رغم أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمره به.

5- ما معنى: أن يأمر أبو سفيان العباس بأن يمضى معه، فيطيعه، و يدخل معه مكه، و ذلک بعد أن رأى أبو سفيان عرض القبائل و مرورها ..

و لا يرضى بإطاعه أمر الرسول (صلى اللّه عليه و آله) له بالرجوع؟!

فهل كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) غافلا عن أن المصلحه هى فى أن يرى أبو سفيان ذلک العرض، ثم يذهب هو و العباس بعده إلى أهل مكه؟!

و لو صح ذلک، فكيف نرد على الروايات المصرحه: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر العباس- فور إسلام أبى سفيان- أن يوقفه عند العقبه، و يريه عرض القبائل؟! بل الروايات تقول: إن العباس هو الذى اقترح ذلک، فقبله منه النبى (صلى اللّه عليه و آله).

فإن هذا يعنى: أن أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) للعباس بدخول مكه، ثم تراجعه عن قراره- حسبما يزعمون- قد كان بعد العرض الذى رآه أبو سفيان، و هو ينافى قولهم: إنه رأى العرض بعد إرجاع النبى (صلى اللّه عليه و آله) للعباس ..

1- الإصابه ج 2 ص 477 عن ابن إسحاق، و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 112 و تاريخ الخميس ج 2 ص 117 عن الإكتفاء.

6- لماذا يراد تضخيم دور العباس بتصوير أنه مستهدف من قبل المشركين، حتى كأن سيوفهم و رماحهم مشرعه لتغمد فى صدره و نحره، حتى ليقول عروه: (و كفهم اللّه عز و جل عن العباس). إذ متى استهدف المشركون العباس بسوء؟

7- إن الروايات تظهر: أن أبا سفيان هو الذى دعا أهل مكه للإسراع بالاستسلام، و هو الذى أخبرهم بالأمان، ثم دخل الجيش مكه.

و لم نجد أيه فرصه للعباس ليقول لأهل ذلک البلد شيئا، سوى تلک الكلمه التى يزعمون: أن أبا سفيان أمره بأن يقولها، و هى نفسها التى قالها لهم أبو سفيان أيضا.

8- إننا لم نعهد النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله) يتصرف بهذه اللهفه على العباس، أو على غيره انطلاقا من الداعى النسبى، فضلا عن أن يبرر تصرفه هذا بأمر عادى جدا. حيث يقول: (فإن عم الرجل صنو أبيه)، مع ملاحظه أن أبا لهب كان عم النبى (صلى اللّه عليه و آله) أيضا، فهل هو الآخر صنو أبيه أيضا فى مواقفه، و فى حربه له و لدينه؟!

9- إنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يرسل العباس لدعوه أهل مكه لدينه.

بل أرسله بالأمان لهم على دمائهم و أموالهم. فهم يرونه محسنا لهم .. حتى لو خطّأوه فى دعوتهم إلى هذا الأمان. مع أنهم سوف يرون موقفه هذا هو عين الصواب.

سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبه أخرى:

و مما يدخل فى سياق تعظيم العباس و تفخيمه، ما زعموه من أن النبى

(صلى اللّه عليه و آله) لما فتح مكه أوحى اللّه إليه: إن عمک له عليک يد سابقه، و جميل متقدم، و هو ما أنفق عليک فى وليمه عبد اللّه بن جدعان، مع ما له عليک فى سائر الأزمان. و فى نفسه سهم من سوق عكاظ، فامنحه إياه فى مده حياته، و ولده بعد وفاته.

ثم قال: ألا لعنه اللّه على من عارض عمى فى سوق عكاظ، و نازعه فيه. و من أخذه فأنا برى ء منه، و عليه لعنه اللّه، و الملائكه، و الناس أجمعين.

فلم يكترث عمر بذلک، و حسد العباس على دخول سوق عكاظ، و غصبه منه (1).

و نقول:

إن لنا على هذا النص العديد من المؤاخذات.

أولا: قال العلامه الشيخ محمد تقى التسترى ما محصله: إن مضمون هذا الحديث يدل على كذبه.

و لو كان صحيحا، فلم لم يذكر مضامينه المفيد، و المرتضى، و لم يرد فى كتاب آخر، أو خبر؟! (2).

ثانيا: ما معنى: أن ينفق العباس على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى وليمه شخص آخر و هو عبد اللّه بن جدعان؟ فإن المفروض: أن يكون من ينفق فى الوليمه هو صاحبها، و أن لا يرضى بأن يشاركه غيره فى الإنفاق، لأن ذلک يتضمن انتقاصا من مقامه، و تشكيكا فى قيامه بما يتوجب عليه.

1- قاموس الرجال ج 5 ص 233.
2- راجع: قاموس الرجال ج 5 ص 234.

ثالثا: ما معنى: أن يحسد عمر العباس على دخول عكاظ؟ فإن المفروض هو: أن يحسده على حصته فى ذلک السوق، لا على مجرد الدخول فيه، علما بأن الناس كلهم يقدرون على دخول سوق عكاظ، و منهم عمر نفسه؟! إلا أن يكون المقصود هو دخوله بعنوان كونه مالكا و شريكا فى جزء منه، لا مطلقا ..

و لكن لماذا لا يفصح هذا القائل عن مراده، و يورد الكلام بصوره مبهمه؟!

رابعا: هل كان ذلک السوق مملوكا لأشخاص، أم كان مجرد مكان عام واسع يجتمع به الناس، و يبيعون و يشترون، و يتناشدون الأشعار و ما إلى ذلک؟!

خامسا: قد دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ربه أن لا يجعل لفاسق و لا لفاجر عنده نعمه (1). فما بالک بالمشرک؟! كما أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان لا يقبل هديه من المشرک (2).

فذلک الدعاء يدل على أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن لأحد منهم قبل الدعاء و بعده أيه يد عنده.

1- أبو طالب مؤمن قريش للخنيزى.
2- راجع: المستدرک للحاكم ج 3 ص 484 و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه) و صححاه، و مجمع الزوائد ج 8 ص 278 و حياه الصحابه ج 2 ص 258 و 259 و 260 عنه، و عن كنز العمال، و التراتيب الإداريه ج 2 ص 86 و المعجم الصغير ج 1 ص 9 و الوسائل ج 12 ص 216 و كنز العمال (طبعه أولى) ج 6 ص 57 و 59 عن أحمد، و الطبرانى، و الحاكم، و سعيد بن منصور، و أبى داود، و الترمذى، و الطيالسى، و البيهقى، و ابن عساكر، و المصنف للصنعانى ج 10 ص 446 و 447 و فى هامشه عن مغازى ابن عقبه، و عن الترمذى ج 2 ص 389 و مجمع البيان المجلد الأول ص 535.

و إذا كان اللّه تعالى قد مدح الأتقى حيث قال: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى (1)، فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هو الأولى بهذا المدح، لأنه المصداق الأتم لما ذكرته الآيات من أوصاف حميده ..

فما معنى أن يكون للعباس يد عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، مما كان أنفقه عليه فى وليمه ابن جدعان، مع ما له عليه فى سائر الأزمان؟! ألم يكن العباس مشركا آنئذ و بعد ذلک إلى عشرات السنين؟!

و ألا ينافى ذلک نص الآيه الكريمه التى نفت- على سبيل المدح- أن يكون لأحد عند ذلک المؤمن نعمه تجزى، فبطريق أولى أن لا يكون لأحد عند النبى (صلى اللّه عليه و آله) أيه نعمه تستحق الجزاء و المكافأه؟!

كيف دخل النبى صلّى اللّه عليه و آله مكه؟!:

قالوا: لما ذهب أبو سفيان إلى مكه بعد ما عاين جنود اللّه- تعالى- تمر عليه، و اصل المسلمون سيرهم، حتى انتهوا إلى ذى طوى، فوقفوا ينتظرون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى تلاحق الناس، و أقبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كتيبته الخضراء، و هو على ناقته القصواء، معتجرا (2) بشق برد حبره (3) حمراء (4). و قد أردف أسامه بن زيد و قد طأطأ رأسه تواضعا

1- الآيه 19 من سوره الليل.
2- اعتجر فلان بالعمامه: لفها على رأسه و ردّ طرفها على وجهه.
3- الحبره: ثوب مخطط من القطن أو الكتان.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 226 عن ابن إسحاق و غيره، و السيره الحلبيه ج 3 ص 84 و المغازى ج 2 ص 823 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 84.

للّه تعالى، و هو يقرأ سوره الفتح (1).

و عن أنس قال: لما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) استشرفه الناس، فوضع رأسه على رحله متخشعا (2).

و عن أبى هريره قال: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يومئذ و عليه عمامه سوداء، و رايته سوداء، و لواؤه أسود حتى وقف بذى طوى، و توسط الناس، و إن عثنونه (3) ليمس واسطه رحله، أو يقرب منها تواضعا للّه عز و جل، حين رأى ما رأى من فتح اللّه تعالى، و كثره المسلمين، ثم قال:

(اللهم إن العيش عيش الآخره) (4).

قال: و جعلت الخيل تمعج (5) بذى طوى فى كل وجه، ثم ثابت و سكنت حين توسطهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (6).

و عن أنس و عمرو بن حريث: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 84.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 226 عن الحاكم و أبى يعلى، و ابن عدى فى الكامل 4/ 571، و انظر مجمع الزوائد 6/ 196 و السيره الحلبيه ج 3 ص 84.
3- العثنون: ما نبت على الذقن و تحته.
4- تاريخ الخميس ج 2 ص 83. و راجع: الدر المنثور ج 6 ص 67 عن ابن أبى شيبه، و أحمد، و البخارى، و مسلم، و أبى داود، و الترمذى فى الشمائل، و البيهقى فى سننه، و النسائى، و راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
5- معج الفرس: أسرع، أو سار لشده عدوه مره فى الشق الأيمن و مره فى الشق الأيسر.
6- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 226 عن ابن سعد 3/ 1/ 180 و المغازى ج 2 ص 824.

دخل مکه و علیه عمامه سوداء بغیر إحرام (1).

و عن عمرو بن حریث قال: کأنی أنظر إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم فتح مکه، و علیه عمامه سوداء خرقانیه، و قد أرخی طرفها بین کتفیه (2).

و قد أشرنا أکثر من مره إلی الإختلاف بین اللواء و الرایه، و غیر ذلک ..

و بالنسبه لما روی عن أبی هریره: من أن لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أسود و رایته سوداء، فی فتح مکه .. نقول:

قد رووا عن جابر أیضا، أنه قال: کان لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم دخل مکه أبیض (3).

و عن عائشه: (کان لواء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم الفتح أبیض، و رایته سوداء، تسمی العقاب، و کانت قطعه مرط (4) مرحل (5)) (6).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 226 عن أحمد، و مسلم، و الأربعه، و فی هامشه عن: مسلم 2/ 990 (451/ 1358) (453/ 1359) و البیهقی فی الدلائل 5/ 67 و ابن أبی شیبه 8/ 234 و راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 84.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 226 عن مسلم.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 226 عن الأربعه و أشار فی هامشه إلی البخاری 7/ 611 (4290) و السیره الحلبیه ج 3 ص 84.
4- المرط: کساء من خز أو صوف أو کتان.
5- المرحل: ما ینقش علیه صوره رحل الإبل.
6- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 عن ابن إسحاق، و قال فی هامشه: أخرجه أبو داود فی الجهاد باب (76)، و الحاکم 2/ 104 و ابن أبی شیبه 12/ 514، و البیهقی 6/ 392. و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 84 و 85.

و عنها أيضا قالت: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح من كداء من أعلى مكه (1)، و خرج من أسفلها و هو ثنيه كدى.

و عند الواقدى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أمر الزبير أن يدخل من كدى، و أمر خالدا أن يدخل من اللّيط (موضع بأسفل مكه)، و أمر سعد بن عباده أن يدخل من كداء، و الرايه مع ابنه قيس، و مضى (صلى اللّه عليه و آله) فدخل من أذاخر (2).

و قالوا: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أذاخر حتى نزل بأعلى مكه، و ضربت له هناک قبه (3).

و رووا: عن ابن عمر: لما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه عام الفتح، رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فتبسم إلى أبى بكر، فقال: (يا أبا بكر كيف قال حسان)؟!

فأنشده أبو بكر قول حسان:

عدمت بنيتى إن لم تروهاتثير النقع من كتفى كداء

ينازعن الأعنه مسرجات يلطمهن بالخمر النساء فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (ادخلوها من حيث قال حسان) (4).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 226 عن البخارى و البيهقى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 85.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 825 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 82.
3- تاريخ الخميس ج 2 ص 83.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 227 عن البيهقى فى الدلائل 5/ 66 و الطحاوى فى المعانى 4/ 296 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 83.

قال الصالحی الشامی: و فی الصحیح و غیره عن عروه: (أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمر الزبیر بن العوام أن یدخل من کداء من أعلی مکه، و أن یغرز رایته بالحجون، و لا یبرح حتی یأتیه) (1).

و قال فی الصحیح أیضا عن العباس: أنه قال للزبیر بن العوام: یا أبا عبد اللّه ها هنا أمرک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن ترکز الرایه؟

قال: نعم (2).

قال: و أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خالد بن الولید- و کان علی المجنبه الیمنی، و فیها أسلم، و سلیم، و غفار، و مزینه، و جهینه، و قبائل من العرب- أن یدخلوا من اللیط، و هو أسفل مکه، و أمره أن یغرز رایته عند أدنی البیوت (3)، و بها بنو بکر، و بنو الحارث بن عبد مناه، و الأحابیش الذین استنفرتهم قریش (4).

و أمّر أبا عبیده بن الجراح علی الحسّر (5). و الحاسر فی مقابل الدارع.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 و فی هامشه عن البخاری 7/ 598 (4280) و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 83 و 85 و مجمع البیان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 105 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 81 و 82.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 عن البخاری 7/ 598.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 و السیره الحلبیه ج 3 ص 83 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 82 و مجمع البیان ج 10 ص 557 و البحار ج 21 ص 105.
4- تاریخ الخمیس ج 2 ص 82.
5- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 عن أحمد و السیره الحلبیه ج 3 ص 83 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 82 و 84.

و قال الصالحی الشامی: وقع فی الصحیح عن عروه قال: و أمر النبی (صلی اللّه علیه و آله) یومئذ خالد بن الولید أن یدخل من أعلی مکه من کداء، و دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من أسفل مکه من کدی، أی بالقصر (1). و هذا مخالف للأحادیث الصحیحه.

ففی الصحیح و غیره: أن خالد بن الولید دخل من أسفل مکه، و دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من أعلاها، و به جزم ابن عقبه، و ابن إسحاق و غیر هما (2).

و عن عبد اللّه بن رباح: أن أبا عبیده کان علی البیاذقه، یعنی الرجاله (3).

و عند ابن إسحاق و عبد اللّه بن أبی نجیح أن أبا عبیده بن الجراح أقبل بالصف من المسلمین ینصب لمکه بین یدی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

قالوا: و أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمراءه أن یکفوا أیدیهم، و لا یقاتلوا إلا من قاتلهم (4).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 267 و السیره الحلبیه ج 3 ص 85 ..
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 267 و مجمع البیان ج 10 ص 557 و البحار ج 21 ص 105.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 عن مسلم فی الجهاد (86) و تاریخ الخمیس ج 2 ص 82 عن المواهب اللدنیه، و المنتقی
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 227 و السیره الحلبیه ج 3 ص 83 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 82 و مجمع البیان ج 10 ص 557 و البحار ج 21 ص 105 و المغازی للواقدی ج 2 ص 825.

النبی صلّی اللّه علیه و آله یقرأ سوره الفتح:

عن قراءه النبی (صلی اللّه علیه و آله) سوره الفتح حین دخوله مکه نقول:

إن هذه السوره قد نزلت فی شأن الحدیبیه فی ذی القعده سنه ست (1).

و قد قرأها النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی المسلمین، لیذکرهم برعایه الغیب لهم، و تحقق ما وعدهم به و إذا کان المشرکون یتتبعون أخبار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، خصوصا ما له ارتباط بحرکه الصراع معه، فلا بد من أن یکون قد تناهی إلی مسامعهم نزول هذه السوره التی تعنیهم بصوره مباشره، و جدیّه و حقیقیه، لأنها تتضمن الوعد بالفتح، و بأمور أخری هامه و حساسه جدا، و فیها ما یمسهم هم کأشخاص فی تعاملهم معه (صلی اللّه علیه و آله).

فإذا قرأ هذه السوره فی حال دخوله مکه، فإن أهل الإیمان سوف یزدادون إیمانا، و أهل الکفر و الشرک سوف یغرقون فی بحر من التأمل الذی قد ینتهی بقناعه تتکون لدیهم بعدم جدوی استمرار الجحود، و بأن لا فائده من تبییت النوایا السیئه، و لن ینتهی کیدهم و مکرهم و تآمرهم إلی أیه نتیجه ..

بل إن قراءه هذه السوره فی حال دخول مکه لا بد من أن یسوق المسلمین و المشرکین معا إلی ترقب تحقق سائر المضامین التی ذکرت فی آیاتها

1- راجع: الدر المنثور ج 6 ص 67 عن ابن إسحاق، و الحاکم، و البیهقی فی الدلائل، و الکشاف ج 3 ص 540.

التی نزلت قبل سنوات، و التی حضر وقت تحققها.

و ستکون لحظات ممتعه، و لذیذه لکل أحد، و هو یری أمرا غیبیا عرفه، و سمعه و وعاه، یتحقق أمام عینیه.

الفتح جائزه المذنب:

و قد جاء فی أول سوره الفتح قوله تعالی: إِنَّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِیناً لِیَغْفِرَ لَکَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ یُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ وَ یَهْدِیَکَ صِراطاً مُسْتَقِیماً وَ یَنْصُرَکَ اللَّهُ نَصْراً عَزِیزاً (1). فلیلاحظ:

أولا: إن اللّه تبارک و تعالی یقول: إن سبب هذا الفتح الذی منحه إیاه، هو أنه أراد أن یغفر له ذنبه .. فهل یعقل أن یعطی المذنب جائزه بهذه العظمه، و الأهمیه و الخطوره علی جرأته علیه، و علی ذنب ارتکبه؟! بحیث یکون مغفره الذنب سببا لهذه الجائزه!!

ثانیا: کیف نتصور أن یکون اللّه تعالی قد فتح لنبیه (صلی اللّه علیه و آله) لیغفر له ذنبه؟!

ثالثا: لو سلمنا: أن هذا الفتح سبب لمغفره الذنب الصادر، فکیف یکون سببا لمغفره الذنب الذی سوف یصدر؟!

إن هذا الأسئله ستکون محرجه جدا إذا کان المراد بالذنب هو الجرأه علی اللّه، و ارتکاب ما نهی عنه، و مخالفه أوامره. و المراد بالمغفره الستر، و المراد بالذنب ما اعتبره المشرکون ذنبا له (صلی اللّه علیه و آله)، و هو دعوته

1- الآیات 1- 3 من سوره الفتح.

إلى الإسلام، و رفضه الشرک، و ما وقع من حروب معهم، و قتل لرجالهم و إسقاط لأطروحتهم ..

فجاء فتح مکه لیکسر شوکتهم، و یخمد نارهم، و لیدخلوا فی دین اللّه، و لیروا أن مصلحتهم تقضی بالتقرب منه (صلی اللّه علیه و آله)، و الاستفاده من الخیرات التی تهیأت لهم فی ظل الإسلام.

و أصبحوا یصرحون: بأنهم هم المخطئون و هو المصیب.

و عوضا عن توصیفه بالغادر و قاطع الرحم، و المذنب فی عیب آلهتهم و الکاذب و .. و .. الخ .. صاروا یصفونه بالوفی، و الحلیم، و الکریم، و الوصول و الصادق و .. و .. الخ ..

کما أن ما کانوا یعدونه ذنبا لو فعله فی أیام شرکهم، قد غفروه له، بل صاروا یعدونه حسنا و إحسانا و حقا بعد هذا الفتح العتید.

العیش عیش الآخره:

و قد ذکرت الروایات: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال حین دخل مکه: (العیش عیش الآخره).

و نقول:

ربما نستفید من هذا القول: أنه (صلی اللّه علیه و آله) یرید إفهام أهل مکه، و المسلمین الفاتحین و غیرهم: أن هذا الفتح العظیم یجب أن یقودنا قبل اتخاذ أی موقف منه إلی إجراء دراسه لنتائجه و آثاره الدنیویه و الأخرویه، بهدف الموازنه فیما بینها، لکی ینصب الاهتمام علی الأهم، فیحافظون علیه، و یعملون علی ترشیده، و تنمیته، و تقویته، و لیس لأحد أن یتلهی بالتفاهات، و القشور،

و يضيع فيها، و يضيّع هذا الإنجاز العظيم أيضا ..

و قد سارع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لرسم معالم الحق و الحقيقه، و السداد و الرشاد فى هذا الفتح، و حدد المكامن الحقيقيه و الراسخه و الخالده فيه، و بيّن أنها ليست- حتما- فى هذه الحياه الدنيا، و إنما هى فى الدار الآخره.

فإن الفتح إذا كان يفتح أبوابا لأنواع أفضل من العيش فى الدنيا، فإن الأبواب التى يفتحها للعيش الخالد و الرضى فى الآخره، فى ظل الرضا الإلهى ستكون هى الأرقى و الأفضل ..

و هو إنما يقدم هذه المعادله للناس من موقع النبوه المطلعه بعمق على واقع حقيقه الدنيا و الآخره، من خلال الوحى الإلهى الذى يكشف هذه الحقائق و يبينها للأنبياء (عليهم السلام)، كأفضل ما يكون الكشف و البيان.

و قد كان لا بد من إطلاق هذا البيان لأمه تؤمن بالغيب، و لطوائف من الناس يتحفزون للخروج من أسر الشرک إلى الحريه فى رحاب التوحيد ..

فيربط على قلوب أهل الإيمان، و المعلنين بالإسلام، و يزيد فى وضوح الرؤيه لأولئک الخارجين من أحضان الشرک و الجحود إلى آفاق الإسلام الرحبه ..

تواضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تخشعه لربه:

و قد كانت تلک البيانات بالقول دروسا تحمل فى طياتها الوعى الرسالى للمفاهيم و الحقائق ..، و التربيه الروحيه، و الرشاد و السداد فى الفكر، و الوعى، و الاعتقاد ..

و قد رافقتها حاله سلوكيه لا بد من أن تترک أثرها العميق على روح و فکر أهل الإيمان، و أهل الکفر و الشرک و الطغيان على حد سواء ..

إذ ربما لم يکن يخطر على بال أحد: أن تتجلى حاله الخشوع و الخضوع، و التطامن و التواضع للّه سبحانه فى هذه اللحظات بالذات، بل ربما يتوقع الناس: أن يروا هيبه الملک، و عظمه النصر، و الهيمنه و الحزم، و نظرات التصميم و العزم فى کل حرکه و لفته فى خصوص هذا الظرف الحساس، الذى يحتاج إلى إصدار الأوامر، و توزيع المهام، و إظهار القوه و الشوکه لقطع دابر أى تفکير بالتمرد، أو الغدر، أو الکيد و المکر الذکى و الخفى ..

و لکن الجميع رأوا مظهرا آخر من مظاهر العبوديه للّه سبحانه، و صوره رائعه من صور الخضوع و الخشوع له، حتى إن هذا الفاتح المنتصر يطأطئ رأسه تخشعا و تواضعا إلى حد أن عثنونه يلامس واسطه رحله، أو يقرب منها، و ذلک لما رآه من الفتح، و کثره المسلمين.

إن هذا النبى (صلى اللّه عليه و آله) و کل إنسان مؤمن واع لحقيقه إيمانه يدرک: أنه لا يکثر بالناس أمام اللّه، بل يکون أمام اللّه وحيدا فريدا، و إنما يکثر باللّه وحده لا شريک له ..

إنه يريد من اللّه تعالى أن ينصره و ينصر من معه، و لا يريد أن ينتصر بهم.

کما أنه حين دخل حرم اللّه مع هذه العساکر، إنما أراد بذلک حفظ حرمه الحرم و البيت، و منع هتک حرمته من قبل العتاه و القساه بشرکهم، و کفرهم، و ظلمهم، و إفسادهم فى الأرض، و محاربتهم لدين اللّه تعالى ..

و يلاحظ هنا: أن النص المتقدم يقول: استشرفه الناس، فوضع رأسه

على رحله متخشعا، أى أنه حين يستشرف الناس أحدا فإنه يشعر بأنه أصبح محط أنظارهم و ملتقى أبصارهم، و أن الخطرات و الصور تتزاحم فى داخل مخيلتهم عن مزاياه، و عن مظهره و خفاياه، و عن حجم قدراته، و سائر صفاته، فيرى لنفسه نوعا من الخصوصيه، و درجه من المحوريه.

و لكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يجد نفسه أمام أنظار هؤلاء الناس، بل وجد نفسه أمام اللّه وحده، فهو يرعاه، و يراه، و يراقب حاله و مسراه، فتواضع له و تخشّع، و طأطأ برأسه و لم يكد يرفع.

رايه الزبير:

و بالنسبه لبعض التفاصيل نقول:

هناک حديث عن رايه كانت مع الزبير، و أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أمره أن يركزها بالحجون، و لا يبرح حتى يأتيه، و نحن لا ننكر أن يكون ذلک قد حصل فعلا .. غير أننا نقول:

أولا: لا شک فى أنها ليست هى رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) التى هى للجيش كله، فإن تلک كانت مع على أمير المؤمنين (عليه السلام) كما دلت عليه النصوص الكثيره التى ذكرناها فى أوائل غزوه أحد.

ثانيا: إن ملاحظه النصوص تعطى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يختار مواقع معينه ليركز فيها إحدى راياته، و لعل ذلک يهدف إلى إظهار الهيمنه على تلک المنطقه، و بسط النفوذ على ذلک المحيط، لكى لا ينتهز الفرصه أوباش الناس، أو طلاب اللبانات للعبث بأمن الناس، أو للتعدى على ممتلكاتهم، و لتكون مثابه لجند الإسلام فى تلک المنطقه، و نقطه تجمع و انطلاق.

و هذا يفسر لنا أمره (صلى اللّه عليه و آله) خالد بن الوليد و من معه بان يدخلوا من الليط- و هو أسفل مكه- و أن يغرز رايته عند أدنى البيوت كما ذكرته النصوص المتقدمه أيضا.

ثالثا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر قيس بن سعد أن يغرز رايته فى الحجون أيضا، و أمر خالدا بغرز رايته أسفل مكه، عند أدنى البيوت، فهل ذلک يدل على ان خالدا أو قيسا كانا يحملان رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

الأمر لسعد، و الرايه لقيس:

و ثمه مفارقه أخرى تظهر فى النصوص المتقدمه، و هى: أن أحدها يقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أمر سعد بن عباده أن يدخل من كداء و الرايه مع ابنه قيس (1).

فإن الأمر إنما يصدر لصاحب الرايه التى يتبعها الناس، و يتحلقون حولها، فإصدار الأمر لسعد مع كون الرايه مع قيس يصبح غير ظاهر الوجه ..

و يزيد الأمر إشكالا بملاحظه ما قدمناه من أن الروايات تقول: إن عليا (عليه السلام) هو الذى أخذ الرايه من سعد و ادخلها إلى مكه إدخالا رفيقا حتى غرزها عند الركن، إلا أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد وزع الناس مره أخرى فى داخل مكه، و أمرهم أن ينزلوا فى مواقع معينه فى أنحاء

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 825 و تاريخ الخميس ج 2 ص 82.

مختلفه، فأعطى الرايه لقيس ليوصلها إلى ذلک المکان، و أبقى القياده العمليه لأبيه سعد.

النساء يلطمن وجوه الخيل:

و حديث لطم النساء وجوه الخيل بخمرهن، و مطابقته لما ورد فى شعر حسان بن ثابت- إن صح- فهو من الدلائل الموجبه لرسوخ يقين أهل الإيمان، و تخفيف حده أهل الكفر و الشرک، و تضاؤل ميلهم إلى الجحود و التحدى، أو المماطله فى قبول الإسلام دينا .. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 22 78 النساء يلطمن وجوه الخيل: ..... ص : 78

فإذا أصروا على مواقفهم، و أرادوا المکر بأهل الدين و بالمؤمنين، فذلک يکون من موجبات خزيهم، و بوار حجتهم ..

کيفيه الدخول و الخروج من مکه:

قال الحلبى بعد أن ذکر أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) دخل مکه يوم الفتح من أعلاها، أى من (کداء)، و خرج من أسفلها: (و بهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مکه من الأولى، و الخروج من الثانيه) (1).

و نقول:

إن هذا الاستدلال غير مقبول:

أولا: إن هذا الدخول و ذلک الخروج لا يدل بمجرده على الاستحباب، إذ لعله أمر اقتضته أحوال عسکريه، أو طبيعه التركيبه السکانيه، أو طرقات ذات خصوصيات تفرض الدخول من هنا، و الخروج من هناک.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 85.

نعم لو علمنا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يأخذ أى شى ء بنظر الاعتبار، سوى مراعاه ما يستحب له فى الأحوال العاديه ..

و سلمنا: أن هناک استحبابا فيما يرتبط بكيفيه أو بطريق الدخول و الخروج من مكه، كان للحكم بالاستحباب وجه ..

ثانيا: إذا كان الدخول مستحبا من نقطه بعينها، فلما ذا أمر (صلى اللّه عليه و آله) الكتائب الأخرى بالدخول إلى مكه من جهات أخرى لا يستحب الدخول منها؟! و هل يمكن أن يأمرهم بمخالفه المستحب؟! و ما ذا لو كانوا يريدون رعايه الحكم الاستحبابى، ثم جاء أمره لهم بمخالفه المستحب؟!

ثالثا: سيأتى: أن عروه يروى- كما فى صحيح البخارى (1)-: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) دخل من أسفل مكه، فكيف جزم هؤلاء باستحباب دخولها من أعلاها؟!7.

1- راجع صحيح البخارى و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 267.

ص: 80

ص: 81

ص: 82

الفصل الثالث: القتال فی مکه

اشاره

خالد يقاتل فى مكه!!:

و قالوا: إن صفوان بن أميه و عكرمه بن أبى جهل، و سهيل بن عمر، دعوا إلى قتال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و جمعوا أناسا بالخندمه (و هو جبل بمكه)، و ضوى إليهم ناس من قريش، و ناس من بنى بكر، و هذيل، و لبسوا السلاح، يقسمون باللّه لا يدخلها محمد عنوه أبدا.

و كان رجل من بنى الديل، يقال له: جماش بن قيس بن خالد، لما سمع بدخول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) جعل يصلح سلاحه.

فقالت له امرأته (و كانت قد أسلمت سرا): لمن تعدّ هذا؟

قال: لمحمد و أصحابه.

قالت: و اللّه، ما أرى يقوم لمحمد و أصحابه شى ء.

قال: و اللّه إنى لأرجو أن أخدمک بعضهم، فإنک محتاجه إليه.

قالت: ويلک، لا تفعل، و لا تقاتل محمدا. و اللّه ليضلن عنک رأيک لو قد رأيت محمدا، و أصحابه.

قال: سترين. ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لى علههذا سلاح كامل و ألّه

و ذو غرارين سريع السله

ثم شهد الخندمه مع صفوان، و سهيل بن عمرو، و عكرمه، فلما دخل خالد بن الوليد من حيث أمره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) وجد الجمع المذكور، فمنعوه الدخول، و شهروا له السلاح، و رموه بالنبل، و قالوا: لا تدخلها عنوه.

فصاح فى أصحابه، فقاتلهم، و قتل منهم أربعه و عشرون رجلا من قريش، و أربعه من هذيل (1).

و قالوا: أصيب من المشركين قريب من اثنى عشر أو ثلاثه عشر، و انهزموا أقبح الانهزام، حتى قتلوا بالحزوّره، و هم مولون فى كل وجه.

و انطلقت طائفه منهم فوق رؤوس الجبال، و أتبعهم المسلمون (2).

و جعل خالد يتمثل بهذه الأبيات، و هو يقاتل خارجه بن خويلد الكلبى:

إذا ما رسول اللّه فينا رأيته كلجه بحر نال فيها سريرها

إذا ما ارتدينا الفارسيه فوقهاردينيه يهدى الاصم خريرها

رأينا رسول اللّه فينا محمدالها ناصرا عزت و عز نصيرها (3)

1- سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 228 عن ابن إسحاق، و الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 83، و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 825 و تاريخ الخميس ج 2 ص 83.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 228 عن ابن إسحاق، و المغازى للواقدى ج 2 ص 826.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 228 و المغازى للواقدى ج 2 ص 826.

و كان شعار المهاجرين من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه، و حنين، و الطائف: يا بنى عبد الرحمن. و شعار الخزرج: يا بنى عبد اللّه.، و شعار الأوس: يا بنى عبيد اللّه (1).

و جعل أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام يصيحان: يا معشر قريش، علام تقتلون أنفسكم؟! من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن، فجعل الناس يقتحمون الدور، و يغلقون عليهم، و يطرحون السلاح فى الطرق، حتى يأخذه المسلمون (2).

و رجع جماش منهزما حتى انتهى إلى بيته، فدقه، ففتحت له امرأته، فدخل و قد ذهبت روحه، فقالت له: أين الخادم الذى وعدتنى؟ ما زلت منتظره لک منذ اليوم- تسخر منه.

فقال: دعى هذا عنک، و اغلقى علىّ بابى، ثم قال:

إنک لو شهدت يوم الخندمهإذ فر صفوان و فر عكرمه

و أبو يزيد كالعجوز المؤتمهو استقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد و جمجمه ضربا فلا تسمع إلا الغمغمه

لهم نهيت خلفنا و همهمه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه (3) و أقبل الزبير بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحجون، فغرز

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 228 عن ابن هشام و السيره الحلبيه ج 3 ص 85.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 228 و المغازى للواقدى ج 2 ص 826.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 3 ص 228 و 229 و السيره الحلبيه ج 3 ص 83 و المغازى للواقدى ج 2 ص 827 و 828 و تاريخ الخميس ج 2 ص 83.

الرایه عند منزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و لم یقتل من المسلمین إلا رجلان من أصحاب الزبیر، أخطآ الطریق، فسلکا غیره فقتلا. و هما کرز بن جابر الفهری، و حبیش الکعبی (1).

و زعم بعضهم: أنهما کانا مع خالد بن الولید فشذّا عنه فقتلا (2).

و مضی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فدخل مکه من أذاخر، فلما ظهر علی أذاخر، نظر إلی البارقه (3) مع فضض (4) المشرکین، فقال: (ما هذه البارقه؟! ألم أنه عن القتال)؟

قالوا: یا رسول اللّه، خالد بن الولید قوتل و لو لم یقاتل ما قاتل، و ما کان یا رسول اللّه لیعصیک، و لا یخالف أمرک.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قضاء اللّه خیر) (5).

و صرح الدیار بکری: بأن المهاجرین هم الذین قالوا له (صلی اللّه علیه و آله): نظن أن خالدا قوتل، و بدئ بالقتال، فلم یکن بد أن یقاتل من قاتله (6).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 3 ص 229.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 83 عن الإکتفاء.
3- البارقه: السلاح.
4- الفضض من الشی ء: ما تفرق منه.
5- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 228 و 229 و السیره الحلبیه ج 3 ص 83 و المغازی للواقدی ج 2 ص 826 و 828 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 83.
6- تاریخ الخمیس ج 2 ص 83.

و فی المنتقی: و کل الجنود لم یلقوا جنودا غیر خالد (1).

و عن أبی هریره قال: لما کان یوم فتح مکه، و بشت (2) قریش أوباشا لها و أتباعا، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن کان لهم شی ء کنا معهم، و إن أصیبوا أعطینا الذی سئلنا. فرآنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال: (یا أبا هریره).

قلت: لبیک.

قال: (اهتف بالأنصار، و لا یأتینی إلا أنصاری).

قال: ففعلت ما أمرنی به، فأتوه، فقال: (انظروا قریشا و أوباشهم فاحصدوهم حصدا) (حتی توافونی بالصفا. أی دخلوا من أعلی مکه) (3) ثم قال بیدیه إحداهما علی الأخری.

فانطلقنا فما أحد یوجه إلینا شیئا، و ما منا أحد یرید أحدا منهم إلا أخذه. (أو قال: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه) (4).

فجاء أبو سفیان بن حرب، فقال: یا رسول اللّه، أبیدت خضراء قریش، لا قریش بعد الیوم.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (من دخل دار أبی سفیان فهو

1- تاریخ الخمیس ج 2 ص 83.
2- بشّت: جمعت جموعا من قبائل شتی.
3- السیره الحلبیه ج 3 ص 83 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 84 عن المواهب اللدنیه، و المنتقی عن أحمد و مسلم و النسائی عن أبی هریره.
4- السیره الحلبیه ج 3 ص 84 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 84 عن المواهب اللدنیه و المنتقی عن أحمد، و مسلم، و النسائی عن أبی هریره.

آمن، و من ألقى السلاح فهو آمن).

فألقى الناس سلاحهم (1).

و قالوا: و وجه (صلى اللّه عليه و آله) اللوم على خالد، و قال له: قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

قال: هم يا رسول اللّه بدأونا بالقتال، و رمونا بالنبل، و وضعوا فينا السلاح، و قد كففت ما استطعت، و دعوتهم إلى الإسلام و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فأبوا، حتى إذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم قاتلتهم، فظفرنا اللّه بهم، فهربوا فى كل وجه.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): كف عن الطلب.

قال: قد فعلت.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): قضاء اللّه خير.

و قال (صلى اللّه عليه و آله): كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر إلى صلاه العصر، فحبطوهم ساعه، و هى الساعه التى أحلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 229 و 230 عن أحمد، و مسلم، و البيهقى، و غيرهم، و السيره الحلبيه ج 3 ص 83 و 84 و تاريخ الخميس ج 2 ص 84 عن المواهب اللدنيه، و المنتقى عن أحمد، و مسلم، و النسائى عن أبى هريره.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 84 و المغازى للواقدى ج 2 ص 839 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 83. و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 233 و 234 و عن موارد الظمآن للهيثمى (1699) و مجمع الزوائد ج 6 ص 177 و عن المصنف لابن أبى شيبه ج 4 ص 487.

و كان (صلى اللّه عليه و آله) نهى أن يقتل من خزاعه أحد (1).

قال الديار بكرى: (أما خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكه، فلقيه قريش و بنو بكر و الأحابيش، فقاتلوه، فقتل منهم قريبا من عشرين رجلا، و من هذيل ثلاثه أو أربعه، و انهزموا، و قتلوا بالحزوّره، حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و هرب فضيضهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفه منهم على الجبال، و اتبعهم المسلمون بالسيوف، و هربت طائفه منهم إلى البحر، و إلى صوب اليمن) (2).

و روى الطبرانى عن ابن عباس: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خطب فقال: إن اللّه عز و جل حرم هذا البلد (3). فبينما هو كذلک قيل: هذا خالد يقتل.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): قم يا فلان .. الى آخر الحديث التالى ..

و قال الديار بكرى: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قدم خالد بن الوليد، فأنا لهم شيئا من قتل، فجاء رجل من قريش، فقال: يا رسول اللّه، هذا خالد بن الوليد قد أسرع فى القتل.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لرجل من الأنصار عنده: يا فلان.

قال: لبيک يا رسول اللّه.

قال: ائت خالد بن الوليد، قل له: إن رسول اللّه يامرک أن لا تقتل

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 839.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 82 و 83.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 229 و المعجم الكبير ج 11 ص 48.

بمكه أحدا.

فجاء الأنصارى، فقال: يا خالد إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يأمرک أن تقتل من لقيت.

فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا من مكه.

فجاء إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) رجل من قريش، فقال: يا رسول اللّه، هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم.

قال: و لم؟!

قال: هذا خالد لا يلقى أحدا من الناس إلا قتله.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله): ادع لى خالدا.

فلما أتى إليه خالد، قال: يا خالد، ألم أرسل إليک أن لا تقتل أحدا؟!

قال: بل أرسلت إلى أن أقتل من قدرت عليه.

قال: ادع لى الأنصارى.

فدعاه له، فقال: ألم آمرک أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا؟!

قال: بلى. و لكنک أردت أمرا و أراد اللّه غيره، فكان ما أراد اللّه ..

فسكت (صلى اللّه عليه و آله)، و لم يقل للأنصارى شيئا، و قال: يا خالد!

قال: لبيک، يا رسول اللّه!

قال: لا تقتل أحدا.

قال: لا (1).

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 84 عن شفاء الغرام، و المعجم الكبير ج 11 ص 48 و مجمع الزوائد ج 3 ص 284 و ج 7 ص 34 و عن الأوسط للطبرانى ص 154-

و نقول أخيرا:

روى الكلينى، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، و القاسانى جميعا عن الأصفهانى، عن المنقرى، عن فضيل بن عياض، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه لم يسب لهم ذريه، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن (1).

و لنا مع ما ذكر العديد من الوقفات، و إليک بعضها:

من الخندمه إلى البحر:

الخندمه: جبل معروف بمكه، يقع خلف جبل أبى قبيس، و يمتد منه إلى المعلّاه على طول شعب على، و شعب عامر.

فلو صح ما زعموه: من أن جماعه من أهل مكه قد تصدوا لخالد، فنقول:

1- المفروض هو: أن يواجههم خالد بما يردعهم، و يبطل حركتهم، و مقاومتهم. و أما أن يلاحقهم بعد هزيمتهم إلى الحزوّره، ثم يمتد قتلهم حتى باب المسجد، و إلى الجبال، حتى يضطر بعضهم إلى الهرب إلى البحر، و إلى صوب اليمن .. فهذا لا مبرر له على الإطلاق ..

2- إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كان قد نهى خالدا عن القتال.

و لامه على فعله هذا، و قال له: لم قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

1- البحار ج 21 ص 136 و فى هامشه عن الكافى ج 3 ص 329.

فاعتذر له: بأنهم هم بدأوا بالقتال ..

و لكنه عذر غير مقبول، إذ إن بدأهم له بالقتال لا يمنعه من أن يراجع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى أمرهم ..

3- إن ظاهر الكلام الذى جرى بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و بين خالد يدل على أن خالدا كان لا يزال يلاحقهم و يطلبهم ليقتلهم حتى تلك اللحظه، و لذلک قال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): كف عن الطلب.

و احتمال بعض الإخوه أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد قال له ذلک، لاعتقاده- و لو على ظاهر الأمر- باستمراره فى طلب أهل مكه ليقتلهم إلى تلک اللحظه لا مجال لقبوله. فإن الأمر بالكف عن الشى ء ظاهر بأنه مستمر فى فعله، و يطلب منه الكف عنه، كما أنه لا مجال للقول بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اعتقد بذلک- بأنه لا يزال يطلبهم- فنهى خالدا عن ذلک، مع كون اعتقاده (صلى اللّه عليه و آله) مخالفا للواقع .. فإن ما يعتقده النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو عين ما يحصل و يجرى.

و لا يمكن أن يعتقد بما هو خطأ. كما أن احتمال أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد علم بأن خالدا قد كف عن طلبهم، لكنه أمره بالكف كى لا يكون ترک الأمر به ذريعه لخالد فى استئناف الطلب .. مرفوض أيضا، إذ كان ينبغى أن يقول له: لا تطلبهم بعد الآن، لا أن يقول له: كف عن الطلب الذى قلنا: إن ظاهره هو أنه كان لا يزال يطلبهم فعلا كما أوضحنا ..

4- ما معنى قول خالد: إنه دعاهم إلى الإسلام، و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس؟! هل كان هذا من المهمات التى أوكلت إليه أيضا؟!.

5- إذا كان أبو سفيان زعيم مكه يأمر الناس بالإستسلام، فما معنى أن

يبادر أوباش من الناس لقتال هذه الألوف التى جاءتهم على حين غفله منهم؟!

و هل يمكن أن يفكر أوباش من الناس بإحراز أى نصر على عشره آلاف مقاتل؟! و هم على غير استعداد، و لا سيما مع ذلک النداء الذى صدر لهم من أهم زعيم فى مكه، و معه بديل بن ورقاء الزعيم الخزاعى، و حكيم بن حزام، و هو زعيم أيضا فى قريش، فضلا عن العباس؟!

أوقف الطلب:

و الأعجب من ذلک: أن بعض النصوص المتقدمه تعطى: أن خالدا كان لا يزال يلاحق الفارين فى الجبال، و الشعاب، حتى حين طلبه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و طالبه بما فعل؛ فقد قال له (صلى اللّه عليه و آله):

أوقف الطلب.

و نعتقد: أن هذا التصرف من خالد يتضمن جرأه غير عاديه .. فإنه بالرغم من إقدامه على مخالفه نهى النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن القتال، و رغم إحساسه بتغيظ النبى (صلى اللّه عليه و آله) مما يجرى، و إحضاره للمساءله، يتابع نشاطه العسكرى المخالف لإراده و توجيهات رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ليحقق أكبر قدر ممكن من أهدافه التى توخاها من مباشره ذلک القتال .. و كأنه يرى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يعلم بحقيقه ما يجرى من خلال إعلام اللّه تعالى له!!

كفوا السلاح إلا خزاعه:

ثم إننا لا نكاد نحتمل صحه ما زعموه من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد

طلب من جيشه أن يكفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر، و ذلک لما يلى:

1- لقد كانت سياسه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى دخول مكه هى أن يدخلها بعنفوان يضع حدا لاستكبار المستكبرين فيها و يمنعهم من التفكير بالمقاومه، مع حرص شديد و تصميم أكيد على عدم إراقه أى نقطه دم فيها، و ذلک حفاظا منه على حرمه بيت اللّه و حرمه .. فكيف يمكن أن نتصوره يسمح لخزاعه بأن تنفذ مذبحه فى بنى بكر فى نفس حرم اللّه و فى جوار بيته؟!

2- إن السماح لخزاعه بالفتک ببنى بكر ينافى الأمان الذى أعطاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه، حيث لم يستثن منه بنى بكر ..

3- من هم الخزاعيون الذين سمح لهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بقتل بنى بكر؟ هل هم خزاعيو مكه، أم خزاعيون جاؤوا معه؟

4- لماذا سمح لخزاعه بقتل بنى بكر، و لم يسمح لها بقتل قريش، التى شاركت بنى بكر فى المجزره التى ارتكبت فى حق الخزاعيين .. و قريش هى التى أرسلت زعيمها أبا سفيان إلى المدينه ليدلس الأمر على المسلمين، و يضيع دماء المظلومين!!

5- لقد أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بأن ينادى فى الناس: من ألقى سلاحه فهو آمن، أو دخل بيته، أو كان تحت رايه أبى رويحه الخ .. فهل سمع هؤلاء الناس هذا النداء، و أصروا على القتال و حمل السلاح؟!

و إذا كانوا أصروا على ذلک، فلما ذا يهربون إلى البحر و إلى اليمن؟!

و إذا كانوا قد ألقوا سلاحهم، فلما ذا يلاحقونهم بالقتل إلى الحزوّره، و المسجد، و إلى البحر، أو إلى اليمن؟!

احصدوهم حصدا:

و أغرب من ذلک کله، ما زعمه أبو هریره: من أنه (صلی اللّه علیه و آله) طلب منه أن یهتف بالأنصار، و لا یأتیه إلا أنصاری، فجاؤوه، فأمرهم أن یحصدوا قریشا و أوباشهم حصدا، ثم قال بیدیه إحداهما علی الأخری.

قال أبو هریره: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه.

و نحن لا نشک فی أن هذا من المکذوبات المتناهیه فی الجرأه و الوقاحه.

فأولا: إن هذا لا یتلاءم مع إعلانه (صلی اللّه علیه و آله) بالأمان لکل من دخل داره و أغلق بابه، و دخل المسجد، و دار أبی سفیان، و ابن حزام، و من یلتجی إلی رایه أبی رویحه، و من ألقی سلاحه، فهل یرید منهم أن یلقوا سلاحهم لیحصدهم الأنصار حصدا؟!

أو هل کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) غادرا؟! و العیاذ باللّه. أو هل کان قاسیا إلی هذا الحد؟!

ثانیا: لم نسمع أن الأنصار فتکوا بقریش، أو قتلوا منهم، بل سمعنا أن خالدا فعل ذلک، و خالد من المهاجرین، و لم یکن الأنصار معه، بل کان معه بنو سلیم.

ثالثا: هل صحیح أن النبی الکریم، و الوصول، و الرحیم و الحلیم کان یتعامل وفق المنطق القبائلی و العشائری و العنصری، فیحرض الأنصار علی قریش، و أوباشها، حیث یطلب أن لا یأتیه إلا أنصاریّ؟!

و ما معنی: أن یأمرهم بالإطباق علی قریش کما تطبق إحدی الیدین علی الأخری؟!

رابعا: إذا کان الأمر کذلک، فلما ذا لم یقتل أحد من الذین حرضوا علی

قتل خزاعه، مثل صفوان، و عكرمه، و سهيل بن عمرو؟! و كيف أفلتوا من يد الأنصار؟ و كيف يلوم (صلى اللّه عليه و آله) خالدا على ما فعل؟! و لماذا يسأله عن ذلک؟! أو لماذا يسأل عن شأن تلک البارقه التى رآها؟! ألم يكن هو الذى أمر بها و أثارها؟! كما يزعمون!!

المهاجرون يظنون أن خالدا قوتل:

لقد صرحت بعض النصوص: بأن المهاجرين أجابوا النبى (صلى اللّه عليه و آله) بأنهم يظنون أن خالدا قوتل.

و هذا معناه: أنهم لم يحضروا ما جرى، و لا تحققوا منه بأى من وسائل التحقق، بل أطلقوا كلامهم على سبيل التخمين و الحدس.

و السؤال هو: إذا كان المهاجرون لا يعرفون أزيد مما يعرفه أى إنسان آخر لم يحضر الواقعه، فلما ذا يتصدون للدفاع عن خالد؟! و لماذا لم يجب النبى (صلى اللّه عليه و آله) أحد من غير المهاجرين؟!

بل إن قوله (صلى اللّه عليه و آله): ألم أنه عن القتال؟ يعطى: أنه كان قد رتب الأمور بنحو ينمع أهل مكه من أن يفكروا فى أى حركه قتاليه، فإن كان ثمه من قتال، فهو يتوقع أن يكون مصدره أولئک الذين نهاهم عنه.

و معنى ذلک: أنه سيكون قتالا عدوانيا، قد عصى فيه أمر رسول اللّه، و خولفت به تعليماته ..

خالد لا يعصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و أما قولهم عن خالد: و ما كان ليعصيک، و لا يخالف أمرک، فهو غير ظاهر الوجه، فإن خالدا كان حديث عهد بالإسلام، و لم يتعمق الإيمان بعد

فی داخل نفسه، و لا ظهرت دلائل انقیاده التام لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و قد أظهرت الوقائع اللاحقه: أنه کان من أعظم الناس جرأه علی مخالفه أوامر اللّه و رسوله، فراجع ما صنع ببنی جذیمه فی عهد النبی (صلی اللّه علیه و آله)، ثم ما صنعه بعد ذلک بمالک بن نویره، حیث قتله، و زنی بزوجته فی نفس لیله قتله، کما ألمحنا إلیه أکثر من مره.

کل الجنود لم یلقوا جنودا غیر خالد:

و یبقی السؤال یراود ذهن کل عاقل عن السر فی أن جمیع تلک الحشود التی دخلت مکه، و هی أکثر من عشره أضعاف التسع مائه الذین کانوا بقیاده خالد، لم تواجه أیه مشکله، و لم یلقوا أی مسلح. ألا یضع ذلک علامه استفهام علی زعمهم القائل: إن هذه الثله الیسیره وقفت لتتحدی الذی یرفده عشره أضعافه من المقاتلین الذین یتدفقون علی مکه من کل جهه؟!

قضاء اللّه خیر:

و لا یمکننا أن نقتنع بأن النبی الکریم (صلی اللّه علیه و آله) قد أنحی باللائمه علی قضاء اللّه تعالی، و اعتبره هو المسؤول عما جری فی أمر عصی اللّه فیه بمخالفه أمر رسوله (صلی اللّه علیه و آله) ..

و قد تضمنت هذه المعصیه: هتک حرمه الحرم، و قتل أناس کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد أعطاهم الأمان ..

و هل یصح وصف ذلک کله: بأنه خیر، و بأنه قضاء من اللّه، الذی یرید أن یوحی بأنه تعالی هو الذی فعله، أو أنه هو الذی قضاه علی الأقل؟!

و لم يقتصر الأمر على مجرد مهاجمه أولئک الناس، بل تجاوز ذلک إلى ملاحقتهم حتى قتلوا على باب المسجد، و اتبعوهم إلى الجبال، بل لقد اضطروا الى الهرب إلى البحر، و إلى التفكير بالهرب إلى اليمن ..

و قد كان من الوضوح بمكان: أن المقاومه لهجوم خالد و صحبه كانت فى غايه الضعف، كما تشير إليه روايه أبى هريره، التى يقول فيها: (فما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه ..).

بل ذكر أبو هريره فى روايته المتقدمه ما يدل على أن الذين قصدوهم بالقتل لم يقاوموا أصلا، فقد قال: (فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه ..).

فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إن المشركين كانوا هم البادئين بالقتال؟!

بل إن الروايه التى ذكرت: أن ذلک الأنصارى قد أبلغ خالدا بعكس ما أمره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لهى خير دليل على أن المبادره لقتل الناس فى مكه كانت من خالد نفسه ..

و لكنهم عوضا من تقبيح فعل خالد، برؤوه من جرمه و ألقوا المسؤوليه على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و اتهموه بذلک الفعل القبيح، الذى ظهر قبحه من نفس نهى النبى (صلى اللّه عليه و آله) للمسلمين عن فعله ..

لم يسب صلّى اللّه عليه و آله لقريش ذريه:

و حين نقرأ فى تلک الروايه المتقدمه عن أبى عبد اللّه الصادق (عليه السلام) حول ما يرتبط بسيره على (عليه السلام) فى أهل الجمل:

(كانت السيره فيهم من أمير المؤمنين على (عليه السلام) ما كان من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى أهل مكه يوم فتح مكه، فإنه لم يسب لهم ذريه، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، الخ ..) (1).

فقد دلت هذه الروايه: على أن سياسته (صلى اللّه عليه و آله) فى أهل مكه يوم الفتح هى الكف عنهم، و هذا لا يتلاءم أبدا مع دعواهم أنه قال للأنصار: (احصدوهم حصدا) كما أن ذلک يدل على أن مكه قد فتحت عنوه، لا صلحا.

الأنصارى الخائن:

و عن قصه ذلک الأنصارى الذى زعمت الروايه: أنه لم يكن أمينا فى إبلاغ أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى خالد .. نقول:

إن لنا على تلک الروايه ملاحظات عديده هى:

1- لماذا لم يعاقب النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذلک الأنصارى على فعله الذى أدى إلى إزهاق أرواح كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) الذى لا ينطق عن الهوى يريد حفظها؟!

كما أنه قد كان سببا فى سل السيوف، و إراقه الدماء فى حرم اللّه تعالى، و فى جوار بيته، و إنما اكتفى (صلى اللّه عليه و آله) بالسكوت، فلم يوجه لذلک الكاذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لو كلمه تأنيب أو تخطئه على أقل تقدير، و قد كان من المناسب جدا أن يذكّره بقوله (صلى اللّه

1- الكافى ج 5 ص 12 و راجع البحار ج 21 ص 136 عنه.

علیه و آله): فمن کذب علیّ عامدا متعمدا فلیتبوأ مقعده من النار (1).

1- راجع المصادر التالیه: الکافی ج 1 ص 62 الإعتقادات فی دین الإمامیه للصدوق ص 118 و الخصال ص 255 و تحف العقول ص 193 و شرح أصول الکافی ج 2 ص 305 و الوسائل (ط مؤسسه آل البیت) ج 27 ص 207 و (ط دار الإسلامیه) ج 18 ص 153 و مستدرک الوسائل ج 9 ص 91 و 92 و 93 و ج 17 ص 288 و 340 و کتاب سلیم بن قیس ص 181 و شرح الأخبار ج 1 ص 228 و ج 2 ص 277 و کتاب الغیبه للنعمانی ص 81 و المسترشد ص 232 و الإستنصار للکراجکی ص 11 و الإحتجاج للطبرسی ج 1 ص 393 و ج 2 ص 246 و العمده لابن البطریق ص 224 و الطرائف لابن طاووس ص 454 و الصراط المستقیم ج 3 ص 156 و 258 و عوالی اللآلی ج 1 ص 186 و وصول الأخیار إلی أصول الأخبار للشیخ حسین بن عبد الصمد العاملی ص 167 و کتاب الأربعین للشیرازی ص 309 و البحار ج 2 ص 161 و 225 و 229 و ج 34 ص 169 و ج 36 ص 273 و ج 37 ص 223 و ج 50 ص 80 و کتاب الأربعین للماحوزی ص 241 و النص و الإجتهاد ص 521 و جامع أحادیث الشیعه ج 1 ص 15 و 142 و ج 13 ص 579 و مستدرک سفینه البحار ج 9 ص 80 و مکاتیب الرسول ج 2 ص 76 و مسند أحمد ج 4 ص 252 و ج 5 ص 412 و صحیح مسلم ج 1 ص 8 و سنن الترمذی ج 4 ص 268 و السنن الکبری للبیهقی ج 4 ص 72 و شرح مسلم للنووی ج 1 ص 65 و مجمع الزوائد ج 1 ص 148 و المصنف للصنعانی ج 6 ص 109 و المصنف لابن أبی شیبه ج 6 ص 204 و 205 و الآحاد و المثانی للضحاک ج 5 ص 344 و 352 و السنن الکبری للنسائی ج 2 ص 444 و المعجم الکبیر للطبرانی ج 3 ص 18 و الجامع الصغیر ج 1 ص 26 و 357 و کنز العمال ج 3 ص 625 و ج 5 ص 126 و ج 10 ص 222 و 231 و تذکره الموضوعات للفتنی ص 6 و فیض القدیر ج 1 ص 171 و ج 2 ص 604 و تفسیر القرطبی ج 1 ص 32 و تفسیر الثعالبی ج 1 ص 139 و الأحکام لابن حزم ج 2 ص 197 و طبقات المحدثین بأصبهان ج 3 ص 234 و تاریخ مدینه دمشق ج 42 ص 222 و ج 64 ص 37 و الموضوعات لابن الجوزی ج 1 ص 81 و 87 و 88 ذکر أخبار إصبهان ج 2 ص 6 و أعیان الشیعه ج 1 ص 114 و ج 8 ص 128 و کشف الغمه ج 1 ص 344.

2- إن ما فعله ذلک الأنصارى، من شأنه أن يجرّئ الناس على مخالفه أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و تبديل أوامره و نواهيه بأضدادها .. و ذلک يفتح الباب أمام مفاسد كبيره و خطيره.

3- قد رأينا: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد تبرأ مما صنعه خالد ببنى جذيمه، فلما ذا لم يتبرأ من الكاذب، و من الكذب الذى نسبه ذلک الأنصارى إليه؟! و الذى أدى إلى سفک الدماء فى حرم اللّه تعالى، و كان (صلى اللّه عليه و آله) يريد حفظها.

4- و اللافت هنا: أن هذا الأنصارى الذى تسبب بإزهاق أرواح العشرات من الناس فى حرم اللّه تعالى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عن اسمه، أو عن اسم قبيلته على الأقل، بل اكتفى بوصفه بأنه (أنصارى).

5- و يزيد الأمر إبهاما، و إثاره للشبهه: أن هذه الروايه قد ذكرت رقما يزيد على ضعف العدد الذى ذكرته سائر الروايات .. لأنها تقول: إن الذين قتلوا بسبب كذبه هذا الأنصارى هم سبعون رجلا.

6- هل نستطيع أن نفهم ما جرى على أن هذا النوع من الروايات يقصد به الطعن فى الأنصار، و إظهار أنهم قد ظلموا قريشا و أهل مكه، و تعاملوا معهم من منطلق الحقد و الضغينه؟!

فكل ما يجرى على الأنصار بعد ذلک- كما حصل فى وقعه الحره، و سواها- يصبح مبررا، و تقل بشاعته، و لا يعود مستهجنا.

أردت أمرا، و أراد اللّه غيره:

و الغريب فى الأمر: أن يستدل ذلک الأنصارى على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بقوله: أردت أمرا، و أراد اللّه غيره، و ذلک:

1- لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يمكن أن يريد أمرا يخالف ما يريده اللّه تبارک و تعالى، فهو لا يريد إلا ما يرضى ربه، و لا يفعل و لا يقول إلا ما أذن اللّه تعالى له بفعله و قوله، على قاعده: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى (1).

و هو (صلى اللّه عليه و آله) مسدد من اللّه، و مؤيد بتأييداته.

2- ثم إن قتل الناس فى حرم اللّه لم يرده اللّه تعالى بلا ريب، فلا يصح نسبته إليه، بل أراده أولئک العصاه لأوامر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و الكاذبون عليه، الذين توعدهم اللّه بالعذاب الأليم فى نار جهنم.

3- و لو فرضنا: أن ذلک الأنصارى أصاب فى استدلاله هذا، لكان ينبغى أن يلتفت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى هذا الدليل قبل كل أحد، و لكان ذلک يمنع النبى (صلى اللّه عليه و آله) من توجيه الأسئله لخالد حول ما اقترف، و من مطالبه الأنصارى بمبرراته التى استند إليها فيما فعل ..

1- الآيتان 3 و 4 من سور النجم.

4- هل سكت النبى (صلى اللّه عليه و آله) حين قال له الأنصارى ذلک عن قناعه بما قاله هذا الكاذب على الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، أم أن سكوته كان لأجل عجزه عن مواجهه الحجه بالحجه، و الدليل بالدليل؟! أم أن ذلک السكوت كان احتجاجيا، يريد به الإعراض عن ذلک الكاذب، و الدلاله على عدم جدوى النقاش معه فى هذا الأمر؟! بل قد تكون مواصله النقاش معه فيه مضره، و لها آثار سلبيه على المسلمين، و ربما على غيرهم أيضا ..

قد يقال: إن الإحتمال الأول هو الأوفر حظا من بين سائر الإحتمالات.

و لكننا نقول:

إن هذا الإحتمال هو الأسوأ و الأكثر ضررا من حيث إنه يشير إلى غفله النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن أمر يعرفه سائر الناس العاديين .. كما إنه يشير إلى جهل النبى (صلى اللّه عليه و آله) حتى بمثل هذا الأمر البديهى.

و إذا كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يصدر و لا يورد، و لا يأمر و لا ينهى إلا وفق ما يريده اللّه تعالى، فإن الأمر يصبح أكثر إشكالا، لأنه يؤدى إلى نسبه هذه العظائم إليه سبحانه، تعالى اللّه عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا.

نهى أن يقتل من خزاعه أحد:

و قد صرحت النصوص التى ذكرناها: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) نهى أن يقتل من خزاعه أحد.

و نقول:

قد يقال: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) نهى عن القتال و القتل مطلقا، سواء لخزاعه أو لغيرها .. و أعطى الأمان لجميع أهل مكه باستثناء أشخاص بأعيانهم، سيأتى الحديث عنهم؛ لأنهم قد ارتكبوا جرائم لا مجال للعفو عنها .. فلا خصوصيه لخزاعه هنا، و لا معنى لحصر الكلام فيها.

و يمكن أن يجاب: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قد عمم الأمان ليشمل خزاعه و جميع أهل مكه، ثم خص خزاعه بالذكر، لأنها كانت داخله فى عقد النبى (صلى اللّه عليه و آله) و عهده، كما ظهر مما جرى فى الحديبيه .. فلهم أمان الحلف، بالإضافه إلى الأمان الذى يشملهم مع أهل مكه ..

فخزاعه: لا يصح قتال أحد منها حتى لو بادر إلى حمل السلاح و القتال، فيجب مراعاه حاله، و تحاشى قتله، و مراجعه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى أمره، لأن لخزاعه أحكاما تختلف عن أحكام سائر مشركى مكه المحاربين، و قد اصبحوا الآن أسرى فى أيدى المسلمين، يحكم فيهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بما يقتضيه حالهم ..

و أما خزاعه: فليسوا محاربين كمشركى مكه، بل هم حلفاء، و لهم عهد و عقد.

و حتى لو اتفق و وقع القتل على أحد منهم، و لو عن غير قصد، فلعلهم ممن تشملهم أحكام الديات أيضا.

شعار النبى صلّى اللّه عليه و آله فى فتح مكه:

روى الكلينى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى

نصر، عن معاویه بن عمار، عن أبی عبد اللّه (علیه السلام) قال:

شعارنا: (یا محمد، یا محمد).

و شعارنا یوم بدر: (یا نصر اللّه إقترب، إقترب).

و شعار المسلمین یوم أحد: (یا نصر اللّه إقترب).

و یوم بنی النضیر: (یا روح القدس أرح).

و یوم بنی قینقاع: (یا ربنا لا یغلبنک).

و یوم الطائف: (یا رضوان).

و شعار یوم حنین: (یا بنی عبد اللّه، [یا بنی عبد اللّه]).

و یوم الأحزاب: (حم، لا یبصرون (أو لا ینصرون)).

و یوم بنی قریظه: (یا سلام أسلمهم).

و یوم المریسیع، و هو یوم بنی المصطلق: (ألا إلی اللّه الأمر).

و یوم الحدیبیه: (ألا لعنه اللّه علی الظالمین).

و یوم خیبر، یوم القموص: (یا علی آتهم من عل).

و یوم الفتح: (نحن عباد اللّه حقا حقا).

و یوم تبوک: (یا أحد یا صمد).

و یوم بنی الملوح: (أمت، أمت).

و یوم صفین: (یا نصر اللّه).

و شعار الحسین (علیه السلام): (یا محمد).

و شعارنا: (یا محمد) (1).

1- الکافی ج 5 ص 47.

و سند الحديث صحيح.

و روى أيضا:

أن شعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت).

و شعار يوم أحد للمهاجرين: (يا بنى عبد اللّه، يا بنى عبد الرحمن).

و للأوس: (يا بنى عبد اللّه) (1).

و نقول:

كنا قبل سنوات قد كتبنا بحثا حول (نقش الخواتيم لدى الأئمه صلوات اللّه و سلامه عليهم) ..

و قد بدا واضحا: أن ما كانوا ينقشونه عليها متوافق مع طبيعه المرحله التى يمرون بها، و التحديات التى تواجههم.

و هذه العبارات المختاره لتكون شعارا فى هذه الحرب أو تلك تشير إلى نفس هذا الأمر، و تؤكد على هذه الحقيقه ..

و لو أردنا أن نشرح هذا التوافق و الإنسجام فيما بين الشعار و بين ما يراد له أن يدل عليه و يشير إليه لاحتجنا إلى عشرات الصفحات، و لكان علينا أن ندّخر المزيد من الوقت و الجهد فى إيضاح هذه المعانى و بيان هذه الدلالات.

فلا محيص لنا عن الإكتفاء هنا بلمحه عابره عن بعض ما يرمى إليه الشعار الذى اختير ليوم فتح مكه فقط، و هو:

(نحن عباد اللّه حقا حقا)، فنقول:

1- الكافى ج 5 ص 47.

يتضح بعض ما نريد الإلماح إليه كما يلى:

1- لقد كان مشركو مكه و جبابرتها، و عتاتها، و رموز الظلم و الكيد و التعدى على حرمات اللّه فيها، يحاربون اللّه و رسوله، و يهتكون حرمه بيت اللّه، و ينتهكون حرمه الحرم. ثم هم يدّعون أنهم سدنه البيت، و أولياؤه، و حماه الحرم و أبناؤه.

و قد رد اللّه تعالى ذلک عليهم، فقال: وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (1).

و لنا حول موضوع البيت و ولايته حديث ذكرناه فى كتابنا (دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام)، و لعلنا نحتاج لإيراد موجز عنه فيما يأتى من مطالب إن شاء اللّه تعالى ..

2- إن الكعبه بيت اللّه، و الحرم المكى حرم اللّه، و لا بد من أن تتجلى فى هذه الأماكن المقدسه، و المشاعر المعظمه عبوديه الإنسان لربه بكل أبعادها، و مختلف تجلياتها.

و خير من يجسد هذه العبوديه هم المؤمنون باللّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، و لا يشركون به شيئا، فإن الشرک ينقص من مقام العبوديه هذا ..

بل هو يصرفها إلى غير اللّه تبارک و تعالى إلى حد التمحض فى ذلک الغير ..

و لأجل ذلک اختار (صلى اللّه عليه و آله) بيان هذه الحقيقه، و إسقاط هذه المغالطه التى يمارسها المدّعون لها كذبا و زورا ..

1- الآيه 34 من سوره الأنفال.

3- إن اختيار العبوديه لتكون أول مفهوم يطرح فى هذه المناسبه يؤكد على أن هذا الفتح العظيم لم يخرج هؤلاء الفاتحين عن حاله التوازن، و لم يدفعهم للتصرف بكبرياء، و لم يوجب لديهم حاله من الغرور و الادّعاء لأنفسهم فوق ما تملكه من قدرات. بل زادهم ذلک تواضعا، و خضوعا له، و استسلاما لإرادته و مشيئته تعالى، تماما كما يستسلم كل عبد لسيده، و ليس لأهوائهم و نزواتهم.

4- إن هذا يعطى الآخرين الذين اساؤوا و آذوا نفحه من الشعور بالطمأنينه، و بالأمل و السكينه، من حيث أنهم سيفهمون أن القرار بشأنهم لن يكون عشوائيا، تتحكم فيه النزوات، و الأهواء و العصبيات، بل هو قرار إلهى، و حكم ربانى .. فإذا أصلحوا علاقتهم باللّه، و تابوا و عادوا إلى الالتزام بأوامره و زواجره، و إذا اعتقدوا: أنه غفور رحيم، و قوى عزيز، و أنه الغفور التواب و .. و .. فإن بإمكانهم أن يأملوا قبول توبتهم، و النظر إليهم بعين الرحمه و المغفره ..

فيكون نفس هذا الشعار الذى نادى به المسلمون فى فتح مكه دعوه لأهلها إلى قبول الحق، و الدخول فى دين اللّه و التوبه و الإستغفار، و طلب الرحمه ..

كما إنه شعار يتضمن إنذارا لهم بضروره التخلى عن المكابره و الجحود .. لأن ذلک سوف يعرضهم لغضب اللّه و سخطه، و ستجرى عليهم و فيهم أحكامه و شرائعه، وفق سنن العدل، و على أساس قاعده:

أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ .. (1). و قاعده: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (2).

فتحت مكه عنوه لا صلحا:

و قد زعموا: أن مكه فتحت صلحا، و به قال الشافعى (3).

فلما واجههم ما أثبته التاريخ من قتل خالد ثمانيه و عشرين رجلا من قريش و هذيل كما ذكرته الروايات أو سبعين من أهل مكه كما فى روايه أخرى قالوا: إن هذه المقاتله التى وقعت لخالد لا تنافى كون مكه فتحت صلحا، لأنه صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكه.

و أما قوله: (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من دخل تحت لواء أبى رويحه فهو آمن) فهو من زياده الإحتياط لهم فى الأمان.

و قوله: احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال، و من ثم قتل خالد من قاتل من الكفار.

و إراده على كرم اللّه وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهما أخته أم هانى ء كما سيأتى لعله تأول فيهما شيئا، أو جرى منهما قتال له.

و تأمين أم هانى ء لهما، من تأكيد الأمان الذى وقع للعموم.

1- الآيه 6 من سوره المجادله.
2- الآيتان 7 و 8 من سوره الزلزله.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 81.

فلا حجه فی کل ما ذکر علی أن مکه فتحت عنوه کما قاله الجمهور.

و قیل: أعلاها فتح صلحا: أی الذی سلکه أبو هریره و الأنصار، لعدم وجود المقاتله فیه، و أسفلها الذی سلکه خالد فتح عنوه لوجود المقاتله فیه (1).

و نقول:

إن ذلک غیر صحیح، بل فتحت عنوه، و نستند فی ذلک إلی ما یلی:

أولا: إن نفس إعطاء الأمان لأهل مکه، إن دخلوا المسجد، أو بیوتهم، أو غیر ذلک یدل علی أنهم قد قهروا بدخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) بلدهم، و أن معارضتهم سوف تنتهی إلی استرجاع هذا الأمان، و استمرار حاله الحرب.

ثانیا: قول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لأهل مکه: ما ترون أنی صانع بکم؟!

قالوا: أخ کریم، و ابن أخ کریم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فإن قوله: ما ترون أنی صانع بکم یدل علی أنه هو الذی یقرر مصیرهم، و یصنع بهم ما یشاء، بعد أن أصبحوا فی یده بعد الفتح. و لو کان ثمه صلح، فإن بنود الصلح و شروطه هی التی تحدد ذلک، و لا یبقی لأحد طرفی الصلح أی خیار فی مصیر الطرف الآخر ..

ثالثا: لم یرد فی أی نص تاریخی: أن ثمه صلحا بین النبی و بین أحد من

1- راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 84.

أهل مکه، فالقول بحصول شی ء من ذلک ما هو إلا تخرص و رجم بالغیب.

رابعا: إن اعتبارهم طلقاء فی قوله (صلی اللّه علیه و آله): اذهبوا فأنتم الطلقاء، یدل علی أنه قد أسرهم، ثم أطلق سراحهم، فإن الطلیق هو الأسیر إذا أطلق و لم یسترق (1).

خامسا: إن مما یشیر إلی ذلک أیضا: ما رواه الحسین بن محمد الأشعری، عن معلی بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبی حمزه الثمالی قال: قلت لعلی بن الحسین (صلوات اللّه علیهما): إن علیا (علیه السلام) سار فی أهل القبله بخلاف سیره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی أهل الشرک.

قال: فغضب ثم جلس، ثم قال: سار و اللّه فیهم بسیره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم الفتح، إن علیا (علیه السلام) کتب إلی مالک و هو علی مقدمته یوم البصره بأن لا یطعن فی غیر مقبل، و لا یقتل مدبرا، و لا یجهز علی جریح، و من أغلق بابه فهو آمن (2).

و علی (علیه السلام) إنما انتهی إلی هذه النتیجه بعد أن انتصر علیهم فی ساحات القتال و النزال، و أصبحوا فی یده، و کذلک الحال بالنسبه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ..

إستدلالات و تأویلات:

1- بالنسبه للاستدلالات المذکوره آنفا نقول:

1- تاریخ الخمیس ج 2 ص 85.
2- الکافی ج 5 ص 33 و البحار ج 21 ص 139 عنه.

قد استدل القائلون بفتح مكه صلحا: بأن ما جرى فى مر الظهران يعتبر صلحا.

و نقول:

أولا: قد ذكرنا فيما تقدم: أن أبا سفيان قد اعتقل من قبل أولئک الذين أرسلهم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و حدد لهم مكانه بدقه .. و لم يذكر التاريخ و لو كلمه واحده عن أيه مفاوضات جرت بين أبى سفيان و بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حول دخول مكه عنوه أو صلحا، أو عدم دخولها.

ثانيا: إن أبا سفيان بعد أن أعلن إسلامه، لم يكن يصح أن يعتبر نفسه مسلما، ثم أن يعتقد بأن له الحق فى أن يصالح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو أن يفاوضه فى شأن مكه، أو فى شأن غيرها ..

ثالثا: إن إهدار دم جماعه ممن ارتكبوا جرائم فى حق الدين و أهله، ما هو إلا قرار نبوى خالص، و قد كانت هند بنت عتبه زوجه أبى سفيان فى جمله الذين أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمهم. و لم يكن أبو سفيان ليرضى بقتل زوجته، أو بقتل عكرمه بن أبى جهل، أو صفوان بن أميه و غيرهم، بل هو ينقض ألف صلح و عقد و عهد من أجل حفظهم، فكيف يعقد صلحا تكون نتيجته قتل كثير من أصفيائه و أحبته؟!

2- بالنسبه للتأويلات التى ذكروها نقول:

ألف: ادّعى القائل بفتح مكه صلحا: بأن الأمان الذى أعطاه (صلى اللّه عليه و آله) لمن دخل المسجد، أو دار أبى سفيان، أو أغلق بابه، أو ألقى سلاحه، أو لجأ إلى رايه أبى رويحه .. قد أعطى لهم زياده فى الإحتياط.

و هو كلام غير دقيق.

فأولا: إن معنى هذا الأمان هو أن من لم يفعل ذلک، فلا أمان له، و سيكون التعامل معه على أنه محارب، يجوز قتله و أسره، و يحل ماله.

ثانيا: لو كان الأمان قد أعطى زياده فى الإحتياط، لكان من الضرورى أن ينادى بالأمان العام أولا، ثم يخصص ذلک و يقول: و خصوصا من دخل المسجد، أو ألقى سلاحه، أو أو الخ .. مع أن ذلک لم يحصل، إذ لم يناد أحد بشى ء من ذلک.

ب: و زعموا: أن ما نسب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) من أنه قال للأنصار: احصدوهم حصدا، محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال .. و لذلک قتل خالد من قاتله من الكفار.

و نقول:

إننا و إن كنا قد ناقشنا النص المذكور بما دل على عدم صحته، غير أننا نزيد هنا:

أولا: إن هذا الحمل تبرعى، ليس فى النص المذكور أيه إشاره إليه.

ثانيا: إن النصوص تشير إلى أن من قتلهم خالد لم يكونوا قد أظهروا القتال حسبما تقدم.

ثالثا: لقد كان الأولى بهؤلاء أن يقفوا عند عباره (احصدوهم حصدا)، ليؤكدوا كذبها من حيث إنها لا تتناسب مع النهج النبوى، و السلوک الإيمانى .. و قد عرفنا أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كانت تذهب نفسه حسرات على قومه، و كان يدعو لهم بالهدايه، حتى و هم يقاتلونه.

و لم يكن يريد سحقهم و استئصالهم، بل كان كل همه (صلى اللّه عليه

و آله) منصرفا إلى كسر شوكتهم، و إسقاط مقاومتهم، ثم العمل على إقناعهم بالإسلام، ثم إيصال الإسلام إلى كل من لهم به صله نسب، أو مصلحه، أو صداقه، أو غيرها ..

ج: و ذكروا: أن سعى على (عليه السلام) لقتل الرجلين اللذين اجارتهما أم هانى، لعله لأجل أنه تأول بهما شيئا، أو جرى منهما قتال. و تأمين أم هانى لهم من تأكيد الأمان الذى جرى للعموم ..

و نقول:

سيأتى الحديث عن هذه القضيه عن قريب، و نكتفى هنا بما يلى:

أولا: صرح الحلبى: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أهدر دم هذين الرجلين اللذين أجارتهما، و هما: الحارث بن هشام، و زهير بن أبى أميه (1). فلم يكن على (عليه السلام) متأولا فى أمرهما شيئا خلاف ما نص عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

ثانيا: ما زعمه: من أن تأمين أم هانى لهما قد جاء تأكيدا للأمان العام، لا يصح، إذ لماذا لا تحتج أم هانى على على (عليه السلام) بذلك الأمان العام لتحرجه به، بلا حاجه إلى أن تشتكيه إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)؟!

يضاف إلى ذلك: أنه لا يوجد أى نص يشير إلى وجود ذلك الأمان العام المزعوم، بل قد تقدم أن تحديد النبى (صلى اللّه عليه و آله) المسجد، و دار أبى سفيان و .. و .. لتكون مواضع الأمان، ينفى وجود أمان عام.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 81 و راجع ص 93.

الشهداء من المسلمين:

قالوا: (و استشهد من المسلمين ثلاثه نفر، دخلوا فى أسفل مكه، و أخطأوا الطريق، فقتلوا) (1).

و نقول:

إنه يبدو لنا: أن هذه النصوص، و أمثالها تشتمل على نوع من التضليل، و ذلک:

أولا: لأن الذى دخل من أسفل مكه هو خالد بن الوليد (2)، و خالد هو الذى قاتل أهل مكه حين دخل، و قتل منهم العشرات، فإذا كان هؤلاء الثلاثه قد قتلوا فى أسفل مكه، فهذا يعنى: أنهم قتلوا مع خالد بالذات، حين دافعه أهل مكه عن أنفسهم، إذ لا يعقل أن يقتل منهم ما يقرب من ثلاثين قتيلا، و يلاحقهم خالد و من معه إلى المسجد، و إلى الجبال، بل لقد هرب بعضهم إلى جهه اليمن كما تقدم، ثم لا تكون منهم أيه مقاومه، و لا

1- البحار ج 21 ص 133 عن إعلام الورى، و الأنوار العلويه للنقدى ص 202 و إعلام الورى ج 1 ص 226 و 227.
2- راجع: المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 533 و شرح معانى الآثار ج 3 ص 315 و كنز العمال ج 10 ص 527 و البدايه و النهايه ج 4 ص 332 و 238 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 550 و 560 و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 274 و الطبقات الكبرى ج 7 ص 395 و الثقات ج 2 ص 49 و معجم البلدان ج 5 ص 28 و عن تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 334 و عن السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 865 و عيون الأثر ج 2 ص 191 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 227 و معجم ما استعجم ج 1 ص 129.

يقتل و لا يجرح أحد ممن كان مع خالد.

و الذى نراه هو: أن ثمه تزويرا رخيصا يهدف إلى إيقاع الناس فى الغلط و الاشتباه، فإن محبى خالد بعد أن ظهر لهم أن خالدا قد خالف أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قتل من قتل من الناس بغير رضا و لا رخصه منه (صلى اللّه عليه و آله)، بل مع وجود منعه و نهيه .. خافوا أن يجعل قتل هؤلاء الثلاثه على عهده خالد، و بتسبيب منه .. فأبعدوهم عنه.

ثم رووا: أنه دخل من أعلى مكه، و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دخل من أسفلها حسبما تقدم، لكى تتعارض الروايات، و يأتى أهل الخير ليجمعوا بينها، بما يبعد الشبهه عن خالد، أو يوجب الشبهه فى حقيقه ما ارتكبه، أو ما كان سببا فيه.

ثانيا: إننا لا نرى مبررا لضلال هؤلاء الثلاثه لطريقهم، و لا لقتلهم بسبب ذلک، فإنه إن كان خالد قد دخل من أسفل مكه فقد كانوا معه، و لا مجال لأن يضلوا الطريق عنه دون سواهم، و هم فى ضمن جيش يعد بالمئات و الألوف، و إن كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى دخل من أسفلها فقد كانوا معه، و فى حمايته، فلما ذا يقتلون؟! و كيف؟!

لا غنائم فى يوم الفتح:

عن عبيد بن عمير قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى يوم فتح مكه: لم تحل لنا غنائم مكه (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 260 عن الواقدى و مسند أحمد ج 6 ص 466.

و عن يعقوب بن عتبه قال: لم يغنم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من مكه شيئا، و كان يبعث السرايا خارجه من الحرم، و عرفه، و الحل، فيغنمون و يرجعون إليه (1).

و نقول:

قد يقال: إن هذا يدل على أن مكه قد فتحت صلحا، إذ لو فتحت عنوه لحلت غنائمها ..

و نجيب:

أولا: إن مكه قد فتحت عنوه، لكن العنوه لا تعنى لزوم وقوع قتال و قتلى، بل الفتح عنوه هو ما يكون بالقهر و القوه، و بالرغم و الهيمنه السلطويه. و ذلک حاصل فى فتح مكه .. لكن النبى (صلى اللّه عليه و آله)- حفظا منه لحرمه بيت اللّه و حرمه- منع المقاتلين من مباشره أى عمل قتالى إلا بإذنه، و قتل الناس الذى صدر من خالد كان معصيه لأوامر الرسول (صلى اللّه عليه و آله) فى هذا المجال.

على أن نفس أن يهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دم حوالى عشرين شخصا، و قد قتل بالفعل عدد منهم .. يدل على أنه كان يتصرف من موقع الفاتح المنتصر، لا من موقع المصالح، الذى يفرض شروطه على الطرف الآخر .. إذ لم يكن المشركون ليرضوا بقتل عدد من كبار زعمائهم و أصحاب القرار فيهم، و لا يمكن أن يسجلوا ذلک فى بنود صلح مع من يطالب بقتلهم.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 260 عن الواقدى، و التنبيه و الإشراف ص 233 و راجع: تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 77 و 232.

ثانیا: إنه لا مانع من أن یکون لمکه خصوصیه فی أحکام الجهاد و الفتح، فتکون غنائمها حراما حتی لو فتحت عنوه. و قد تبینت خصوصیه مکه فی کثیر من الأحکام.

قریش لا تقتل صبرا و لا تغزی:

عن مطیع بن الأسود قال: سمعت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول یوم فتح مکه: (لا یقتل قریشی صبرا بعد الیوم إلی یوم القیامه) (1).

و عن أبی حصین الهذلی قال: لما قتل النفر الذین أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بقتلهم سمع النوح علیهم بمکه، و جاء أبو سفیان بن حرب إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فقال: فداک أبی و أمی، البقیه فی قومک.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (لا یقتل قریشی صبرا بعد الیوم).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 257 عن مسلم، و قال فی هامشه: أخرجه مسلم فی الجهاد باب 33 حدیث (88)، و الدارمی 2/ 198 و الحمیدی (568). و الطبرانی فی الکبیر 7/ 88 و أحمد 3/ 412، و الطحاوی فی المعانی 326 و البیهقی فی الدلائل 5/ 79 و ابن أبی شیبه 12/ 173، 14/ 90 انتهی. و راجع: مسند أحمد ج 4 ص 313 و الأدب المفرد ص 178 و الفایق فی غریب الحدیث ج 3 ص 436 و الثقات ج 2 ص 53 و تهذیب التهذیب ج 6 ص 302 و البدایه و النهایه ج 4 ص 351 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 581 و النهایه فی غریب الحدیث ج 3 ص 365 و لسان العرب ج 15 ص 124 و مسند الحمیدی ج 1 ص 258.

قال محمد بن عمر: يعنى على الكفر (1).

عن الحارث بن مالک، (و يقال له: ابن البرصاء)، قال: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقول: (لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامه على الكفر) (2).

و عن الحارث أيضا، قال: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقول يوم فتح مكه: (لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامه ..).

قال العلماء: معنى قوله: (لا تغزى) يعنى على الكفر (3).

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نأخذ بظاهر هذا الكلام، بل لا بد من تأويله إن أمكن، أو الحكم عليه بالسقوط و البطلان، و اعتباره مجعولا لأهداف رخيصه، تتناقض مع التشريع الإلهى و مع التوجيه الربانى ..

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 862 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 257 عن الواقدى.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 257 عن الواقدى، و فى هامشه عن: المغازى للواقدى 2/ 862 و ابن سعد 2/ 1/ 99، و الطبرانى فى الكبير 3/ 292 و ابن أبى شيبه 14/ 490 و البيهقى فى الدلائل 5/ 75 انتهى. و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 103 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 137 و أسد الغابه ج 1 ص 346 و غريب الحديث ج 3 ص 190 و النهايه فى غريب الحديث ج 3 ص 365 و لسان العرب ج 15 ص 124.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 260 عن أحمد، و الترمذى، و صححه، و المغازى للواقدى ج 2 ص 862.

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء:

و قد يقال: إن المقصود الإخبار عن أن الشرک و الكفر لن يدخل مكه، و لن يسيطر عليها، بحيث يحتاج إخراجه منها إلى غزوها، و ليس المقصود إنشاء تحريم غزوها حتى مع عودتها للكفر، فإن ذلک يعنى: القبول بسيطره الكفر عليها، و هو أمر مرفوض جمله و تفصيلا.

و لو فرض لزوم الرضى به، فليس من المصلحه الجهر بمثل هذا الأمر، و لا سيما بالنسبه لأهل مكه الذين كان معظمهم لا يزال على الشرک و الكفر، أو أنه أعلن الإسلام نفاقا، بعد أن غلب أهل مكه على أمرهم بدخول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه على تلک الحال القويه، التى لا قدره لهم على مواجهتها.

و لا بد من أن يكون هذا المعنى هو المراد أيضا بقوله (صلى اللّه عليه و آله)- فيما رووه عنه-: (لا يقتل قرشى صبرا بعد اليوم) يعنى: على الكفر.

و يزيد الأمر وضوحا إذا علمنا: أنه لو أريد الأخذ بالإحتمال الآخر، و هو:

أن تكون قريش فى منأى عن القتل صبرا، فإننا نصبح أمام محذورين مهمين:

أحدهما: أن إعلانا من هذا القبيل يدخل فى سياق تغذيه روح العنصريه، التى رفضها الإسلام جمله و تفصيلا، إنسجاما منه مع حكم العقل، و قضاء الفطره، و مع ما قررته الآيات الكريمه التى تقول: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ (1).

مع ملاحظه: أن القرشيه أو غيرها من مثيلاتها من الخصوصيات مثل

1- الآيه 13 من سوره الحجرات.

العرق و اللون، ليست من الأمور الإختياريه التى يمكن اعتبارها حيثيه يصح إناطه التشريعات المرتبطه بالأعمال بها ..

الثانى: إنه لا شک فى أن المرتد عن فطره محكوم بالقتل من الناحيه الشرعيه، سواء كان قرشيا أو غير قرشى. و هو إنما يقتل صبرا، و لم يقل أحد: أن هذه الكلمه قد ألغت هذا الحكم، مع أنه من موارد القتل على الكفر لمن هو من قريش أيضا.

هذا ما وعدنى ربى:

عن عبد اللّه بن مغفل قال: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه على ناقته، و هو يقرأ سوره الفتح، يرجّع صوته بالقراءه.

قال معاويه بن قره: لو لا أن يجتمع الناس حولى لرجّعت كما رجّع عبد اللّه بن مغفل، يحكى قراءه النبى (صلى اللّه عليه و آله).

قال شعبه: فقلت لمعاويه: كيف كان ترجيعه؟

قال: ثلاث مرات (1).

و عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح: (هذا ما وعدنى ربى) ثم قرأ: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ (2)) (3).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 230 عن البخارى فى التفسير، و فضائل القرآن، و التوحيد، و المغازى، و عن مسلم فى الصلاه، و النسائى، و الحاكم، و السيره الحلبيه ج 3 ص 97.
2- الآيه 1 من سوره النصر.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 230 عن الطبرانى.

قالوا: و نزل يوم فتح مكه: وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (1).

فارتجت مكه من قول أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً) (2).

و نقول:

1- قد تحدثنا عن بعض ما يرتبط بقراءته (صلى اللّه عليه و آله) سوره الفتح عن قريب، فلا ضروره للإعاده، فنحن نكتفى بما ذكرناه هناک ..

2- بالنسبه إلى ما ادّعوه فى ترجيعه (صلى اللّه عليه و آله) فى قراءه السوره المذكوره نقول:

إنه لا شک فى أنه ترجيع لا يصل إلى حد ما نراه من ترجيع غنائى يقوم به القراء فى زماننا، و قد وصف ابن قتيبه لنا قراءه بعض قراء زمانه، و إذ بها تشبه ما نراه فى هذا الزمان.

فقد قال فى معرض حديثه عن حمزه بن حبيب الزيات، و هو أحد القراء السبعه:

(.. هذا إلى نبذه فى قراءته مذاهب العرب، و أهل الحجاز لإفراطه فى المد، و الهمز و الإشباع، و إفحاشه فى الإضجاع و الإدغام. و حمله المتعلمين على المركب الصعب، و تعسيره على الأمه ما يسر اللّه.

و قد شغف بقراءته عوام الناس و سوقهم، و ليس ذلک إلا لما يرونه من

1- الآيه 81 من سوره الإسراء.
2- البحار ج 21 ص 114 عن تفسير القمى.

مشقتها، و صعوبتها ..

إلى أن قال: و رأوه عند قراءته مائل الشدقين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين، توهموا: أن ذلک لفضيله فى القراءه، و حذق فيها.

و ليس هكذا كانت قراءه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا خيار السلف، و لا التابعين، و لا القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهله رسله) (1).

و قد تحدثنا فى موضع آخر عن موضوع التغنى بالقرآن، و أن ذلک ليس فقط لم يثبت عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل النصوص تثبت خلافه ..

3- إن الآيات القرآنيه التى نزلت، و التى رددها المسلمون حتى ارتجت مكه، تبين: أن المعيار عند صاحب هذا الفتح هو انتصار الحق على الباطل، و ليس المهم فتح البلاد، و امتلاک أزمّه الأمر و النهى فى العباد، و لا أى شى ء آخر من أمور الدنيا .. إلا إذا كان يقوى هذا الحق و يحميه، و يزهق الباطل و يضعفه، و يبطل أى حركه فيه ..

1- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه ص 58- 63.

ص: 124

ص: 125

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى

اشاره

أين نزل النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مكه؟!:

روى عن ابن عباس أنه قال: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه يوم الإثنين (1).

و عن أبى جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قبه بالحجون (أى عند شعب أبى طالب) من أدم، فأقبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى انتهى إلى القبه، و معه أم سلمه، و ميمونه زوجتاه (2).

و عن أسامه بن زيد أنه قال: يا رسول اللّه! أنّى تنزل غدا؟ تنزل فى دارک؟

قال: (و هل ترک لنا عقيل من رباع أو دار)؟

و كان عقيل ورث أبا طالب هو و أخوه طالب، و لم يرثه جعفر و لا

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 85.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 230 عن الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 85 و راجع: مجمع البيان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 105 و المغازى للواقدى ج 2 ص 829.

على، لأنهما كانا مسلمين، و كان عقيل و طالب كافرين، أسلم عقيل بعد (1).

و عن أبى هريره: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (منزلنا إن شاء اللّه تعالى- إذا فتح اللّه- بخيف بنى كنانه، حيث تقاسموا على الكفر).

يعنى بذلک: المحصب.

و ذلک أن قريشا و كنانه تحالفت على بنى هاشم و بنى المطلب أن لا يناكحوهم و لا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (2).

و عن أبى رافع قال: قيل للنبى (صلى اللّه عليه و آله): ألا تنزل منزلک من الشعب؟

فقال: (و هل ترک لنا عقيل منزلا)؟

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 230 و 231 و قال فى هامشه: أخرجه البخارى 3/ 526 فى الحج (1588) (3058، 4282، 6764)، و مسلم فى الحج (439، 440) و أبو داود حديث (2010) و فى الفرائض باب (10) و ابن ماجه (2730) و الطحاوى فى معانى الآثار 4/ 49، و أحمد 5/ 202 و الدار قطنى 3/ 62. و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 85 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ق 1 ص 79 و المصنف للصنعانى ج 6 ص 15 و ج 10 ص 344.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 231 عن البخارى و أحمد، و قال فى هامشه: أخرجه البخارى (4284) (1589)، و مسلم فى الحج (355) و البيهقى فى الدلائل 5/ 93 و أحمد 2/ 263، 322، 353، و الطبرانى فى الكبير 11/ 62 و انظر مجمع الزوائد 3/ 250. و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 85.

و كان عقيل قد باع منزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و منزل إخوته من الرجال و النساء بمكه، فقيل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله):

فانزل فى بعض بيوت مكه غير منازلک.

فأبى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قال: (لا أدخل البيوت).

و لم يزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتى المسجد لكل صلاه من الحجون (1).

و عن عطاء: لما هاجر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى المدينه لم يدخل بيوت مكه، فاضطرب بالأبطح، فى عمره القضيه، و عام الفتح، و فى حجته (2).

هذا منزلنا يا جابر:

عن جابر- رضى اللّه عنه- قال: كنت ممن لزم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فدخلت معه يوم الفتح، فلما أشرف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من أذاخر، و رأى بيوت مكه، وقف عليها، فحمد اللّه و أثنى عليه، و نظر إلى موضع قبته، فقال:

(هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت قريش علينا فى كفرها).

قال جابر: فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلک بالمدينه: (منزلنا إذا فتح اللّه علينا مكه فى خيف بنى كنانه، حيث تقاسموا على الكفر).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 231 عن الواقدى و السيره الحلبيه ج 3 ص 85 و المغازى للواقدى ج 2 ص 829.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 829.

و كنا بالأبطح، و جاه شعب أبى طالب، حيث حصر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و بنو هاشم ثلاث سنين (1).

و نقول:

إننا هنا نشير إلى الأمور التاليه:

الحكمه فى اختيار موضع النزول:

قال الصالحى الشامى:

(الحكمه فى نزول النبى (صلى اللّه عليه و آله) بخيف بنى كنانه، الذى تقاسموا فيه على الشرك، أى تحالفوا فيه على إخراج النبى (صلى اللّه عليه و آله) و بنى هاشم إلى شعب أبى طالب، و حصروا بنى هاشم و بنى المطلب فيه، كما تقدم ذلك فى أبواب البعثه، ليتذكر ما كان فيه من الشده، فيشكر اللّه تعالى على ما أنعم عليه من الفتح العظيم، و تمكنه من دخول مكه ظاهرا على رغم من سعى فى إخراجه منها، و مبالغه فى الصفح عن الذين أساؤوا، و مقابلتهم بالمن و الإحسان، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء) (2).

غير أننا نقول:

إن الأمر لا يقتصر على ما ذكر آنفا، فهناك أمور أخرى نشير إليها فى الفقرات التاليه:

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 230 عن الواقدى و مجمع الزوائد ج 9 ص 23 و السيره الحلبيه ج 3 ص 85 و المغازى للواقدى ج 2 ص 828.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 267.

النبى صلّى اللّه عليه و آله يصل الماضى بالحاضر:

قد عرفنا فيما سبق: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد نزل فى نفس الموقع الذى حصره فيه أهل الكفر هو و سائر بنى هاشم، حينما تظاهروا عليه و عليهم بالإثم و العدوان، و قد مكثوا فيه حوالى ثلاث سنوات يقاسمون الآلام، و لا يقدرون على الاتصال بأحد من الناس، إلا خفيه، و قد منع الناس من إقامه أيه صله بهم، حتى صله البيع و الشراء لأبسط الأشياء، فضلا عن منعهم الناس من مجالستهم، و من التزوج منهم، و التزويج إليهم، و ما إلى ذلک.

و ها هو (صلى اللّه عليه و آله) قد عاد إلى مكه، و معه أكثر من عشره آلاف مقاتل .. و أصبح محاصروه بالأمس هم أسراه، و طبيعى أن يتوقعوا محاصرتهم من قبله، جزاء لهم على ما كسبت أيديهم.

نعم، لقد أصبح من لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه، أو يقيم معه أيه صله و لو عابره، موضع الحفاوه و التكريم، و التبجيل و التعظيم، و يتلهف الناس للاقتراب منه، و التماس البركه به، و بكل شى ء ينسب إليه، و يتمنون أن تشملهم منه نظره أو لفته، حتى لو كانت عابره ..

بل إن أعداءه بالأمس، الذين تشهد تلک الشعاب التى نزل فيها على شده ظلمهم له، و بغيهم عليه، يتوافدون إليه فى نفس المكان الذى اضطهدوه فيه بالأمس، لتقديم فروض الولاء، و التفنن فيما يزجونه إليه من مدح و ثناء. فيتذكرون ما ارتكبوه فى حقه، و فى حق الشيوخ و الأطفال و النساء من صحبه و أهله، فهل يخجلون من أنفسهم؟! أو هل يندمون؟! و هل يتوبون إلى اللّه و يستغفرون؟!

و هل يفيدهم ذلک فی إعاده النظر و المقارنه بين ما كانوا عليه، و ما آلت أمورهم إليه؟! فيضعون الأمور فی نصابها، و يتأكد لديهم أن اللّه هو الراعی، و الحامی، و المدبر لنبيه، و المعين و الناصر لعباده و أوليائه ..

أين نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قال الصالحی الشامی أيضا:

(لا مخالفه بين حديث نزوله (صلى اللّه عليه و آله) بالمحصب، و بين حديث أم هانئ: أنه (صلى اللّه عليه و آله) نزل فی بيت أم هانئ. لأنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يقم فی بيت أم هانئ، و إنما نزل به حتى اغتسل و صلى، ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبی طالب. و هو المكان الذی حصرت فيه قريش المسلمين قبل الهجره كما تقدم) (1).

إرث عقيل لأبی طالب دون على و جعفر:

و عن إرث عقيل لأبی طالب دون على و جعفر نقول:

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصح:

أولا: لأننا قدمنا فی هذا الكتاب الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد على إيمان أبی طالب (عليه السلام) .. و قد كتب فی إثبات إيمانه عشرات المؤلفات، بأقلام العلماء من السنه و الشيعه، بالإضافه إلى بحوث كثيره جدا كتبت حول هذا الموضوع.

ثانيا: إن المسلم يرث الكافر بلا ريب، و لكن الكافر لا يرث المسلم،

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 268.

فعلى (عليه السلام) يرث أبا طالب، لأنهما كانا مسلمين، و لا يرثه عقيل لأنه كان كافرا حين موت أبى طالب المؤمن .. فراجع كتابنا: (ظلامه أبى طالب)، ففيه بعض ما يفيد فى هذا المجال.

إن قلت: لعلهم قد جروا فى هذا الإرث على أحكام الجاهليه و قوانينها ..

قلت:

ألف: إن الذين ذكروا هذا الأمر لا يقصدون بكلامهم أحكام الجاهليه.

ب: لم يكن لأهل الجاهليه أحكام و قوانين فى هذا الأمر، بل كان هناک ظلم و تعد على المؤمنين، فلو فرضنا: أن عقيلا كان قويا بحيث استطاع أخذ أموال النبى (صلى اللّه عليه و آله) و على و جعفر (عليهما السلام)، فهل كان قويا إلى حد أنه يأخذ حصه أخواته و أخيه طالب، الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد، حسب قول هؤلاء الرواه؟!

و لماذا رضى سائر أقارب النبى (صلى اللّه عليه و آله) و على و جعفر (عليهما السلام) بتسلط خصوص عقيل على أموال أبيه، و على أموال ابن عمه- أعنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)- دونهم.

ثالثا: إن عقيلا لم يبع خصوص ما ورثه هو من أبيه، بل باع أيضا منزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و منزل إخوته من الرجال و النساء، كما صرحت به النصوص المتقدمه.

فإن كان على و جعفر (عليهما السلام) قد أسلما، و سلمنا جدلا أنهما لا يرثان- و سلمنا على مضض أيضا بموت أبى طالب على الشرک- فإن رسول

اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن من ورثه أبى طالب .. فلما ذا يبيع عقيل أملاكه، و لماذا رضى العباس من عقيل بأن يفعل ذلک، و العباس أقرب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) منه، فكيف لم يعترض عليه؟!

كما أن أم هانى أخت على (عليه السلام) كانت هى و أخواتها- كما يزعمون- على الشرک أيضا، فلما ذا باع عقيل منزلها و منازل و رباع أخواتها؟! و لماذا باع منزل طالب أيضا؟!

فلما ذا لم يمنعوه من إتمام هذا البيع، و لماذا تركوا أهل مكه يشترون من هذا البائع ما ليس له؟!

رابعا: كان بإمكان النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن ينزل فى أحد بيوت مكه على سبيل العاريه، أو الشراء، فلما ذا لم يفعل ذلک؟!

بل لقد كان يمكنه أن ينزل فى بيت عمه العباس، أو فى أى بيت آخر من بيوت المؤمنين الذين كانوا فى مكه، و ما أكثرهم!! و سيدخل ذلک عليهم السرور بلا ريب.

و قد نزل على أبى أيوب حين هاجر (صلى اللّه عليه و آله) إلى المدينه مده شهر أو أشهر أو سنه.

خامسا: إن قول الرسول (صلى اللّه عليه و آله): (لا أدخل البيوت) ثم لم يدخل بيتا أبدا لا فى عمره القضاء، و لا فى عام الفتح، و لا فى حجه الوداع، يشير إلى أن الأمر ليس لأجل عدم وجود بيت ينزل فيه، بل هو يتعدى ذلک ليكون قرارا إلهيا نبويا، و قد بدا بمثابه قاعده يلتزم بها ..

و أما دخوله بيت أم هانى فلم يكن دخول سكنى، بل دخول تكريم لها و لأخيها على (عليه السلام).

الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلّى اللّه عليه و آله:

إن الحديث المتقدم عن اختيار موضع نزوله (صلى اللّه عليه و آله) فى مكه يدل على أن القرار بذلک لم يكن وليد ساعته، بل يدخل ضمن خطه كانت قد رسمت منذ وقت طويل، حيث إنه (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أخبر جابرا بذلک فى المدينه، قبل مده، فلما سمعه جابر يذكر ذلک فى مكه تذكّر ما كان فى المدينه.

و إذا كان (صلى اللّه عليه و آله) لا ينطق عن الهوى، و لا يفعل إلا ما يريده اللّه سبحانه، و يرضاه، فالنتيجه هى أن ذلک لا بد من أن يكون من مفردات السياسه الإلهيه فى تربيه أهل الإيمان، و تقديم العبر و العظات للناس جميعا، مؤمنهم و كافرهم، فيقيم الحجه على الكافر ليكبته بها، و يرسخ يقين المؤمن ليسعده به، و يبعث فيه نفحه أخرى من الوعى للحقائق و يثبّته بالقول الثابت و الصادق.

لا ينزل النبى صلّى اللّه عليه و آله بيوت مكه:

كأن هؤلاء الناس حين يذكرون امتناع النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن النزول فى بيوت مكه، يريدون الإيحاء بأن السبب فى ذلک: أنه لم يكن له (صلى اللّه عليه و آله) بيت ينزل فيه، لأن عقيلا كان قد باع الرباع و المنازل.

و الحقيقه هى: أن هذا يدخل فى سياق تزوير الحقائق الذى طالما شاهدناه فى المواضع المختلفه .. إذ عدم وجود بيت يملكه النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يعنى أن يتخذ قرارا بعدم دخول أى بيت من بيوت مكه، و لو كضيف على عمه العباس إن لم يكن يريد شراء بيت فيها .. تماما كما جرى له

(صلى اللّه عليه و آله) حينما هاجر إلى المدينه، فإنه نزل على أبى أيوب الأنصارى .. و بقى عنده شهرا، أو سبعه أشهر، أو سنه (1).

و لنفترض: أن عقيلا قد باع البيوت، لكن أم هانى كان لها بيت تسكن فيه، و بيت عمه العباس لا يزال على حاله، و لم يبعه عقيل، و كذلک بيوت سائر بنى هاشم. ألم يكن يمكنه أن ينزل فى أحدها؟! ألم يكن العباس و غيره من المؤمنين الذين كانوا فى مكه، و ما أكثرهم، فى غايه اللهفه لنيل هذا الشرف العظيم؟! و هو نزول النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى بيوتهم، و إذا كان (صلى اللّه عليه و آله) قد أكرم أم هانى، فأكل عندها .. فلما ذا لا يكرمها بالنزول فى بيتها أياما يسيره؟!

فإن كانت لا تزال على شركها، و لا يريد أن تكون لها منه عليه، فلما ذا أكل و صلى و اغتسل عندها؟! (2) ألا يدل ذلک على أنها كانت مسلمه؟!

و الخلاصه: إن ذلک كله يدل على أن ما يذكرونه من الاستناد إلى ما فعله عقيل من بيع البيوت و الرباع لم يكن هو السبب فى اتخاذ هذا القرار.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يدخل دور مكه:

و فى سياق آخر نقول:

بالنسبه لما تقدم: من أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا يدخل دور مكه، لا فى الفتح و لا فى عمره القضاء، و لا فى حجه الوداع: فقد روى عن

1- راجع: البدء و التاريخ ج 4 ص 178 و وفاء الوفاء ج 1 ص 265 و السيره الحلبيه ج 2 ص 64.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 267.

الإمام الصادق (علیه السلام) أنه کره المقام بمکه، و ذلک أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أخرج عنها، و المقیم بها یقسو قلبه (1).

و روی أیضا عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال: (إذا قضی أحدکم نسکه فلیرکب راحلته، و لیلحق بأهله، فإن المقام بمکه یقسی القلب) (2).

و عن الإمام الصادق (علیه السلام): أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نهی أهل مکه أن یؤاجروا دورهم، و أن یعلقوا علیها أبوابا. و قال:

سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ (3).

و فی حدیث آخر: لم یکن ینبغی أن یصنع علی دور مکه أبوابا، لأن للحاج أن ینزل فی دورهم فی ساحه الدار، حتی یقضوا مناسکهم.

و إن أول من جعل لدور مکه أبوابا معاویه) (4).

و عن جعفر بن عقبه، عن أبی الحسن الرضا (علیه السلام): إن علیا (علیه السلام) لم یبت بمکه بعد أن هاجر منها حتی قبضه اللّه عز و جل إلیه.

قال: قلت: و لم ذلک؟

1- البحار ج 96 ص 80 و سفینه البحار ج 8 ص 92 و 93 و عن علل الشرائع ص 446.
2- البحار ج 96 ص 81 و سفینه البحار ج 8 ص 93 و عن علل الشرائع ص 446.
3- الآیه 25 من سوره الحج. و الحدیث فی سفینه البحار ج 8 ص 93 عن قرب الإسناد و البحار ج 96 ص 81 عن قرب الإسناد ص 65.
4- البحار ج 96 ص 82 عن علل الشرائع ص 396 و سفینه البحار ج 8 ص 93.

قال: يكره أن يبيت بأرض هاجر منها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و كان يصلى العصر و يخرج منها و يبيت بغيرها (1).

و لسنا بحاجه إلى التذكير: بأن امتناع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من المبيت بمكه لم يكن استجابه لحنق شخصى فرض عليه هذا القرار، بل هو- كما أشرنا إليه- قرار يرضاه اللّه و يريده، و هو من مظاهر طاعه اللّه سبحانه .. و قد كان (صلى اللّه عليه و آله) قد ذكر هذا القرار و هو فى المدينه قبل الفتح، و قد ذكره مره أخرى فى مكه ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إن التحدى الذى واجهه الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن لشخصه، إنما هو لنبوته و لرسوليته، و لذلک أخرج من مكه.

و حين فتح مكه، فإن أهلها انقادوا له لأنه قوى، لا مجال لمقاومته، و لم تقبل قلوبهم نبوته و رسوليته، إلا على سبيل الإقرار اللسانى .. و لذلک احتاج إلى أن يتألفهم على هذا الدين، و يصبر على الكثير من الأذايا و البلايا التى أوصلوها إليه بنحو أو بآخر. و كان كثير منهم يتخذ سبيل النفاق، فهو يظهر الإسلام، ثم يكيد له و لأهله الحقيقيين المخلصين.

أى أن محمدا (صلى اللّه عليه و آله) كرسول، لم يدخل مكه بعد .. بل ما جرى هو مجرد نسيم هب على مكه، لا بد من العمل على أن يتحول إلى ريح تقل سحابا ثقالا بماء الحق و الصدق الذى ينعش الأرواح، و تحيا به النفوس ..

1- سفينه البحار ج 8 ص 93 عن علل الشرائع ص 396 و عن عيون أخبار الرضا ج 2 ص 84 و البحار ج 96 ص 82 عنهما.

فدخول النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى منازل يستولى عليها أولئک الذين حاربوه لربما يستتبع الكثير من التخمينات و الحيثيات التى تثير مخاوف أهل مكه و شكوكهم، و لكنه إذا لم يدخل منزلا، و اكتفى بخيمه تنصب له، فإن ذلک سوف يطمئنهم إلى أن هذا النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يريد المقام فى البلاد و لا يرغب فى الهيمنه على العباد، و إنما يريد أن يفسح الطريق أمام الناس للتعرف على الإسلام، و أن يمنع أعداءه من التعرض له بفنون من المكر و الكيد ليمنعوه من الوصول إلى العقول و القلوب ..

إنه لا يريد أموالا، و لا بلادا، و لا دارا، و لا عقارا، بل يريد لهم العيش الرغيد و السعيد فى بلادهم و ديارهم، و بين أهلهم، فهو حتى فى أحرج ساعه تواجههم، يقدم لهم الدليل تلو الدليل على أنه لا مطمع له بشى ء من دنياهم، و أنه يتعامل معهم بالإنصاف، و بالرحمه، و الإيثار، لا بمنطق المنتصر الحانق الذى يتعامل بالنقمه، و يريد أخذ الثار.

تكريم النبى صلّى اللّه عليه و آله لأم هانى:

عن ابن عباس قال: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال لأم هانئ يوم الفتح: (هل عندک من طعام نأكله)؟

قالت: ليس عندى إلا كسر يابسه، و إنى لأستحى أن أقدمها إليک. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 22 139 تكريم النبى صلى الله عليه و آله لأم هانى: ..... ص : 139

فقال: (هلمّى بهنّ) فكسّرهنّ فى ماء.

و جاءت بملح فقال: (هل من أدم)؟.

فقالت: ما عندى يا رسول اللّه إلا شى ء من خل.

فقال: (هلميه)، فصبّه على الطعام، و أكل منه، ثم حمد اللّه، ثم قال:

(نعم الأدم الخلّ، يا أم هانئ لا يفقر بيت من أدم فيه خلّ) (1).

و نقول:

ما أروع و أجمل هذا التكريم النبوى العفوى، و ما أجلّ هذه المبادره للإعلان عن صافى الموده، و جميل الوفاء و الإخاء لامرأه فاضله و نبيله، يريد أن يعلن للناس كلهم، و للأجيال اللاحقه، بعظيم احترامه و تقديره لها و لفضلها و نبلها، فيخصها بشرف لم ينله أحد من رجالات مكه و عظمائها، فيدخل منزلها، و يصلى و يأكل عندها .. و يعاملها بعفويه ظاهره، و موده طافحه بالإجلال و التعظيم، و الموده و التكريم ..

و قد تجلت وحده الحال فى قوله (صلى اللّه عليه و آله) لها: هل عندک من طعام نأكله؟!

و لم يكن لديها إلا كسر يابسه من خبز، و إلا شى ء من خلّ، جعله (صلى اللّه عليه و آله) إداما .. ثم أثنى على هذا الإدام، و بيّن أن له قيمه كامنه فى عمق ذاته، فقال: (نعم الإدام الخل).

ثم شفع ذلک ببشاره نبويه، من شأنها أن تدخل السرور و الرضا على قلب هذه المرأه الجليله، فقال: (يا أم هانى، لا يفقر بيت من أدم فيه خلّ).

على عليه السّلام و أم هانى:

و فى الروايات حديث عن إجاره أم هانى لرجلين من المشركين، و قبول النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذلک منها. و نحن نذكر أولا هذه النصوص، ثم

1- مجمع الزوائد ج 6 ص 176 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 235 عن الطبرانى.

نشير إلى بعض ما يمكن أن يقال حولها، فنقول:

بلغ عليا (عليه السلام): أن أم هانى بنت أبى طالب آوت ناسا من بنى مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، و قيس بن السائب، (و عند الواقدى عبد اللّه بن ربيعه)، فقصد (عليه السلام) نحو دارها مقنّعا بالحديد، فنادى:

(أخرجوا من آويتم).

فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى، خوفا منه.

فخرجت إليه أم هانئ- و هى لا تعرفه- فقالت: يا عبد اللّه، أنا أم هانئ، بنت عمّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أخت على بن أبى طالب، إنصرف عن دارى.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أخرجوهم).

فقالت: و اللّه لأشكونّک إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، و قالت:

فديتک، حلفت لأشكونک إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فقال لها: (إذهبى، فبرى قسمک، فإنه بأعلى الوادى).

قالت أم هانئ: فجئت إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و هو فى قبه يغتسل، و فاطمه (عليها السلام) تستره، فلما سمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كلامى، قال: (مرحبا بک يا أم هانئ و أهلا).

قلت: بأبى أنت و أمى، أشكو إليک ما لقيت من على (عليه السلام) اليوم.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (قد أجرت من أجرت).

فقالت فاطمه (عليها السلام): (إنما جئت يا أم هانئ تشتكين عليا

(علیه السلام) فی أنه أخاف أعداء اللّه و أعداء رسوله)؟!

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قد شکر اللّه لعلی (علیه السلام) سعیه، و أجرت من أجارت أم هانئ، لمکانها من علی بن أبی طالب) (1).

و عند الواقدی: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یکن حین تکلمت أم هانئ مع فاطمه (علیها السلام) ..

ثم جاء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأجار لأم هانی من أجارت، ثم طلب من فاطمه (علیها السلام) أن تسکب له غسلا، فاغتسل، ثم صلی ثمان رکعات (2).

و عن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه، دخلت أنا و عبد اللّه بن أبی ربیعه دار أم هانئ، ثم ذکر: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أجاز جوار أم هانئ.

قال: فانطلقنا، فأقمنا یومین، ثم خرجنا إلی منازلنا، فجلسنا بأفنیتها لا یعرض لنا أحد، و کنا نخاف عمر بن الخطاب، فو اللّه إنی لجالس فی ملاءه مورّسه (3) علی بابی ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عده من المسلمین، فسلم و مضی.

و جعلت أستحی أن یرانی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أذکر رؤیته

1- البحار ج 21 ص 131 و 132 عن إعلام الوری و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 829 و 830.
2- المغازی للواقدی ج 2 ص 830.
3- مورسه: مصبوغه بلون أحمر.

إیای فی کل موطن مع المشرکین، ثم أذکر بره و رحمته و صلته، فألقاه و هو داخل المسجد، فلقینی بالبشر، فوقف حتی جئته فسلمت علیه، و شهدت بشهاده الحق، فقال: الحمد للّه الذی هداک، ما کان مثلک یجهل الإسلام.

قال الحارث: فو اللّه ما رأیت مثل الإسلام جهل (1).

و عن أم هانئ- رضی اللّه عنها- قالت: لما کان عام یوم الفتح فرّ إلیّ رجلان من بنی مخزوم فأجرتهما، قالت: فدخل علیّ علیّ فقال: أقتلهما.

قالت: فلما سمعته یقول ذلک أغلقت علیهما باب بیتی، ثم أتیت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و هو بأعلی مکه، فلما رآنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) رحّب و قال: (ما جاء بک یا أم هانئ).

قالت: قلت: یا رسول اللّه، کنت أمنت رجلین من أحمائی، فأراد علی (علیه السلام) قتلهما.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قد أجرنا من أجرت).

ثم قام رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی غسله، فسترته فاطمه (علیها السلام)، ثم أخذ ثوبا فالتحف به، ثم صلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ثمان رکعات سبحه الضحی (2).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 149 و 150 عن الواقدی و المغازی للواقدی ج 2 ص 831 و السیره الحلبیه ج 3 ص 102.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 231 و فی هامشه عن صحیح مسلم (صلاه المسافرین) (82) و عن أبی داود (2763) و عن مسند أحمد ج 6 ص 341 و 342 و 343 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 75 و مستدرک الحاکم ج 4 ص 45 و السیره الحلبیه ج 3 ص 93 و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 830 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 84.

لکن فی الحلبیه و غیرها: فوجدته یغتسل من جفنه فیها أثر العجین، و فاطمه ابنته تستره بثوب، فسلمت علیه، فقال: من هذه؟

إلی أن قال: و فی الروایه الأولی: فلما اغتسل أخذ ثوبه و توشح به، ثم صلی ثمانی رکعات من الضحی.

ثم أقبل علی، فقال: مرحبا یا أم هانی، ما جاء بک؟.

فأخبرته الحدیث.

فقال: (أجرنا من أجرت الخ ..) (1).

و قیل: إن الرجلین هما: الحارث بن هشام، و زهیر بن أمیه بن المغیره (2).

و عنهما: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) اغتسل یوم فتح مکه فی بیتها، و صلی ثمان رکعات، قالت: لم أره صلی صلاه أخف منها، غیر أنه یتم رکوعها و سجودها (3).

و أطلقوا علی صلاته هذه اسم (صلاه الفتح). و کان الأمراء یصلونها إذا فتحوا بلدا. و لا یفصل بینهما. و تصلی بغیر إمام.

قال السهیلی: و لا یجهر فیها بالقراءه (4).

و سموها أیضا صلاه الضحی، و صلاه الإشراق، و قد اختلفوا فی

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 93 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 84.
2- راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 84.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 231 و 232 عن البخاری، و البیهقی، و تاریخ الخمیس ج 2 ص 84 عن المواهب اللدنیه، و البخاری.
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 269.

أمرها بين منكر و مثبت. فراجع (1).

و عن معاويه بن وهب، قال: لما كان يوم فتح مكه ضربت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) خيمه سوداء من شعر بالأبطح، ثم أفاض عليه الماء من جفنه يرى فيها أثر العجين، ثم تحرى القبله ضحى، فركع ثمان ركعات، لم يركعهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قبل ذلک و لا بعد (2).

و أما الحديث عن أنها (رحمها اللّه) قد ذهبت إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هو بأعلى مكه، فوجدته يغتسل و فاطمه (عليها السلام) تستره (3). و يؤيده ما روى عنها: من أن أبا ذر ستره لما اغتسل (4). فيحمل على أن ذلک قد تكرر منه. و يحتمل أن يكون نزل فى بيتها بأعلى مكه، و كانت هى فى بيت آخر فى مكه، فجاءت إليه فوجدته يغتسل الخ .. (5).

و نقول:

إننا نعلق على ما تقدم بما يلى:

الأمان .. و الجوار:

تقدم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد اعلن بالأمان لأهل مكه، و عين مواضع يلجأ إليها المستأمنون، مثل: المسجد، و دار أبى سفيان، و رايه

1- راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 93 فإنه ذكر شطرا من اختلافاتهم فى هذا الأمر.
2- البحار ج 21 ص 135 عن الكافى ج 1 ص 125 و 126.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 268 عن مسلم.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 268 عن ابن خزيمه
5- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 268.

أبى رويحه، و إلقاء السلاح، و دخول الإنسان داره و إغلاق بابه، و ما إلى ذلک ..

و لكننا نقرأ هنا: أن عليا (عليه السلام) يلاحق هذين الرجلين إلى دار أخته أم هانى ليقتلهما.

و نقرأ أيضا: أن أم هانى قد أجارتهما، و لكن عليا (عليه السلام) لم يقتنع منها بذلک، حتى قبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه جوارها ..

فالإعلان السابق لا يشير إلى وجود حرب و قتال، بل هناک أمان و سلام.

و حادثه على (عليه السلام) و أم هانئ تدل على: أن حاله الحرب كانت قائمه، و أن الحاكم هو أعرافها و قوانينها .. فكيف نوفق بين هاتين الحالتين المتخالفتين؟!

و يمكن أن نجيب بما يلى:

أولا: لماذا لم يلجأ هذان الرجلان إلى أى من تلک المواضع التى حددها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لطالبى الأمان؟!

ألا يدل ذلک: على أنهما كانا فى حاله قتاليه، احتاجا إلى الخروج منها إلى جوار أم هانى؟!

ثانيا: إننا نعرف مدى طاعه على (عليه السلام) لأوامر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مدى دقته فى تنفيذها مما جرى فى خيبر، حيث قال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): اذهب و لا تلتفت.

فسار (عليه السلام) قليلا ثم وقف و لم يلتفت، و سأل النبى (صلى اللّه

علیه و آله): علام أقاتلهم؟! الخ .. (1).

فملاحقته لهذین الرجلین یدل علی: أنهما کانا محاربین، و یدل علی ذلک أیضا ثناء رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی علی (علیه السلام): (قد شکر اللّه سعیه، و أجرت من أجارت أم هانی لمکانها من علی) (2).

و عند الحلبی: (قد آمنا من آمنت، و أجرنا من أجرت، فلا نقتلهما) (3).

ثم هو یقول: (فلا نقتلهما). و هو تعبیر یشیر إلی أن التصمیم علی قتلهما کان من قبل النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه.

من الذین آوتهم أم هانی؟!:

ذکرت بعض الروایات: أن الرجلین اللذین آوتهما أم هانی هما الحارث بن هشام، و زهیر بن أبی أمیه.

و بعضها ذکرت: الحارث و عبد اللّه بن ربیعه.

و ذکرت ثالثه: الحارث، و قیس بن السائب.

1- صحیح البخاری (ط محمد علی صبیح بمصر) ج 5 ص 171 و صحیح مسلم ج 7 ص 21 و مسند أحمد ج 5 ص 333 و الخصائص للنسائی ص 6 و حلیه الأولیاء ج 1 ص 62 و السنن الکبری ج 9 ص 107 و تذکره الخواص ص 24 و أسد الغابه ج 4 ص 28 و مشکاه المصابیح (ط دهلی) ص 564 و البدایه و النهایه ج 4 ص 184 فما بعدها و ذخائر العقبی (ط مکتبه القدسی) ص 74 و راجع: الریاض النضره (ط محمد أمین بمصر) ج 2 ص 184 و 188.
2- البحار ج 21 ص 131 و 132 عن إعلام الوری.
3- السیره الحلبیه ج 3 ص 93.

و الظاهر: أنها (رحمها اللّه) آوت الجميع، و ربما كان معهم غيرهم أيضا و ذلک لروايه الطبرسى المتقدمه، التى تقول: (آوت ناسا من بنى مخزوم، منهم الحارث الخ ..).

لقاء على عليه السّلام بأم هانى:

و اللافت هنا: أن عليا (عليه السلام) يأتى إلى دار أخته مقنعا بالحديد، و لا يعرّف أخته بنفسه فى بادئ الأمر، و لكنه لا يقتحم الدار، و لعله لأنه لا يريد أن يروع أخته، بل ينادى من خارج الدار: أخرجوا من آويتم !!

فخرجت إليه أخته، فلم يبادر إلى تعريفها بنفسه، بل تركها تعرّف هى بنفسها، بأنها بنت عم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و أخت على (عليه السلام)، ثم تأمره بالانصراف عن دارها ..

و لكن عليا (عليه السلام) لا يزال مصرا على موقفه، و يعيد النداء:

أخرجوهم.

فلم تضعف، و لم تتراجع، بل قالت له: و اللّه، لأشكونک إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و فى هذه اللحظه ينزع على (عليه السلام) المغفره عن رأسه، فعرفته أخته، فجاءته تشتد حتى التزمته.

فنلاحظ: أن عليا (عليه السلام) قد أجرى الأمور على طبيعتها، و فى أيه حاله أخرى، و فى أى بيت أو شخص آخر، و هو (عليه السلام) رغم أنه كان يواجه أخته لم يتراجع عن أداء واجبه الشرعى مراعاه لها، أو انسياقا مع عاطفته تجاهها، كما أنه أراد لها أن تبر بقسمها الذى أطلقته.

و هی تری أنها محقه فی إعطائها الأمان لأولئک المشرکین فلم یمنعها من ممارسه حقها فی الدفاع عنهما، بل کان هو الذی دلها علی مکان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالتحدید، و طلب منها أن تذهب إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و تشکوه عنده، لیأتی القرار بالعفو من مصدره الأساس، و هو رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله). و بذلک یسقط التکلیف عن أمیر المؤمنین بصوره تلقائیه ..

خوف الجبناء:

لقد أظهرت بعض الروایات المتقدمه: مدی خوف أولئک الظالمین من سیف عدل علی (علیه السلام)، رغم أن عددهم کان وافرا، حتی جعلوا یذرقون کما یذرق الحبار ی خوفا من رجل واحد، و لم یجرؤوا علی الخروج إلی ساحه المواجهه؟

فبماذا قوی علی (علیه السلام) علیهم؟! أ لیس بإیمانه الراسخ باللّه، و اعتزازه و ثقته بربه و دینه؟! و عزوفه عن زخارف هذه الدنیا؟! و طلبه لما عند اللّه الذی هو خیر و أبقی؟!

لم تصرح أم هانی بما تطلب:

و فی روایه الطبرسی: أن أم هانی لم تصرح لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بما تشکوه من علی (علیه السلام)، بل هی بمجرد أن ذکرت له: أنها لقیت من علی (علیه السلام) أمرا شدیدا علیها، قال لها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قد أجرت من أجرت).

ألا یشیر إلی أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان عارفا بتفاصیل ما یجری، من

دون حاجه إلى إخبار أحد؟! كما أن فيه إشاره لأم هانى بأن تثق بالغيب، و تيقن بأنه (صلى اللّه عليه و آله) يستمد معرفته من الوحى الإلهى، الذى يسدده و يرعاه ..

موقف الزهراء عليها السّلام من أم هانى:

و لم تكن الزهراء (عليها السلام) بصدد تأنيب أم هانى لشكواها عليا (عليه السلام)، و إنما أرادت أن تطمئن إلى سلامه أهداف أم هانى من هذه الشكوى، و أنها لم تكن بصدد الدفاع عن أعداء اللّه، و لا لأنه أخاف أعداء اللّه، بل هى تسعى كما يسعى أخوها على (عليه السلام) إلى دفع شر أولئک الأشرار بأقل قدر ممكن من الخسائر.

و إنما قلنا ذلک: لأننا نعلم أن أم هانى المؤمنه باللّه، و التى تلجأ إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، لا يمكن أن تشتكى ناصر رسول اللّه و من يخيف أعداءه و أعداء اللّه.

و قد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أوضح لها: أن عليا (عليه السلام) يسعى إلى رضا اللّه تعالى، فكان أن تصرفت بنحو لم يغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل هى قد فعلت ما هو حقها، و المتوقع منها ..

أم هانى لا تجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و النقطه التى تحتاج إلى بيان هى: أن أم هانى لم تجر أولئک المشركين لتحميهم من قرار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و حكمه فيهم.

بل أجارتهم لتحميهم من سائر المقاتلين حتى يصلوا سالمين إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ثم يكون هو الذى يحكم فيهم بما يرضى اللّه سبحانه.

و الشاهد على ما نقول: شكواها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه.

و لكنّ أبا سفيان حين ذهب إلى المدينه يطلب تأكيد عهد الحديبيه بعد نقضه طلب من الزهراء (عليها السلام) أن تجير بين الناس، لأنه أراد ذلک منها ليحمى به أولئک القتله للنساء، و الصبيان، و الضعفاء من حكم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيهم.

فهو جوار ضد حكم و قرار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى الظالمين و الناكثين .. و ليس لحمايتهم من الناس إلى أن يصلوا إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليكون هو الحاكم فيهم.

ما مثلک يجهل الإسلام:

و ذكروا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قال للحارث بن هشام: (ما مثلک يجهل الإسلام).

و يبدو أنهم أرادوا بهذا الكلام التنويه برجاحه عقل الحارث، و سلامه تفكيره، و سداد رأيه، باعتبار ثناء حظى به على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من بين الكثير من أقرانه.

غير أننا نرى: أن هذا الكلام لا يقصد منه الثناء عليه بقدر ما يقصد به تقريعه، و تأنيبه على اتباعه لأهوائه، و على ضعفه أمام شهواته و انقياده لميوله و رغباته، و ترک ما يحكم به عقله، و ما ترشده إليه فطرته، و تقوده إليه الدلائل الظاهره، و الحجج القاهره ..

خوف المشركين من عمر:

و قد تحدث الحارث بن هشام: بأنه بعد أن أجاز النبى (صلى اللّه عليه و آله) جوار أم هانى، خرج أولئک النفر إلى منازلهم، و جلسوا بأفنيتها، لا يعرض لهم أحد، لكنهم كانوا يخافون من عمر .. ثم مر بهم عمر فى نفر من المسلمين، فسلم و مضى ..

و نقول:

إن هذا الثناء التبرعى على عمر قد يفهم هنا على أنه ذم له، من حيث دلالته على أن عمر يتطفل على الناس، و يبادر إلى أذيتهم، حتى مع علمه بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أجاز جوار بعض الناس فيهم، فهو إذن إنسان متهور، لا يبالى بما يصدر عنه، و لا يراعى أبسط قواعد التعامل الصحيح و الموزون حتى مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. أو أن ذلک كان على الأقل هو الانطباع الشائع فيهم عن عمر بن الخطاب.

رنه إبليس .. و حديث نائله و ..:

عن ابن عباس قال: لما فتح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه رنّ (1) إبليس رنه، فاجتمعت إليه ذريته، فقال: إيأسوا أن تردّوا أمه محمد إلى الشرک بعد يومكم هذا، و لكن أفشوا فيها- يعنى مكه- النوح و الشعر (2).

و قيل: إنه رن ثلاث رنات: رنه حين لعن، فتغيرت صورته عن صوره

1- رنّ: صوّت و صاح.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 232 عن أبى يعلى، و أبى نعيم.

الملائکه، و رنه حین رأی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یصلی قائما بمکه، و رنه حین افتتح (صلی اللّه علیه و آله) مکه، فاجتمعت ذریته فقال: إیأسوا أن تردوا أمه محمد إلی الشرک الخ .. (1).

و عن مکحول: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما دخل مکه تلقته الجن یرمونه بالشرر، فقال جبریل (علیه السلام): تعوّذ یا محمد بهؤلاء الکلمات:

(أعوذ بکلمات اللّه التامات التی لا یجاوزهن بر و لا فاجر، من شر ما ینزل من السماء و ما یعرج فیها، و من شر ما بث فی الأرض، و ما یخرج منها، و من شر اللیل و النهار، و من شر کل طارق یطرق إلا بخیر، یا رحمن) (2).

و عن ابن أبزی قال: لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه جاءت عجوز حبشیه شمطاء، تخمش وجهها، و تدعو بالویل، فقال (صلی اللّه علیه و آله): (تلک نائله، أیست أن تعبد ببلدکم هذا أبدا) (3).

و نقول:

ألف: أما بالنسبه للحدیث عن رنه إبلیس، فقد ورد فی ذیله: أن إبلیس قال لذریته: إیأسوا من أن تردوا أمه محمد إلی الشرک، و لکن أفشوا فیها- یعنی مکه- النوح و الشعر.

و نحن نشک فی صحه ذلک، إذ لیس فی النوح و الشعر ما یصلح لأن

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 841 و 842.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 232 عن ابن أبی شیبه.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 232 عن البیهقی فی دلائل النبوه ج 5 ص 75 و المغازی للواقدی ج 2 ص 841.

يكون بديلا- حسب منطق إبليس لعنه اللّه- عن الشرک باللّه، مهما بالغنا فی الحديث عما يوجبه الشعر من الفساد و الإفساد، فلذلک نقول:

إن الصحيح هو ما روی عن الإمام الباقر (عليه السلام): إن إبليس رن أربع رنات: يوم لعن، و يوم أهبط إلی الأرض، و يوم بعث النبی (صلی اللّه عليه و آله)، و يوم الغدير (1).

و هذا الحديث هو الأولی بالصحه، و الأقرب إلی الاعتبار، فإن يوم الغدير قد جعل إبليس ييأس من طمس الحق، لأن ولايه أمير المؤمنين (عليه السلام) هی سبب بقاء هذا الدين، و بها تمت النعمه علی الخلق، حسبما نصت عليه الآيات الكريمه، فراجع كتابنا: (الغدير .. و المعارضون) ففيه بعض ما يفيد فی هذا الموضوع.

ب: بالنسبه لحديث رمی الجن للنبی (صلی اللّه عليه و آله) بالنار حين دخول مكه، فنزل جبرئيل و علّم النبی (صلی اللّه عليه و آله) أن يتعوذ بكلمات اللّه التامات، نقول:

روی: أنه (صلی اللّه عليه و آله) كان يعوّذ الحسنين، فيقول: أعيذكما بكلمات اللّه التامات، من كل شيطان و هامه، و من كل عين لامه.

و كان إبراهيم يعوذ بها إسماعيل و إسحاق (عليهم السلام) (2).

علی أن هذه الروايه إنما رويت عن مكحول، الذی لم يكن فی زمان

1- البحار ج 37 ص 121 عن قرب الإسناد ص 7.
2- البحار ج 43 ص 282 عن حليه الأولياء، و سنن ابن ماجه، و السمعانی فی الفضائل.

رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلما ذا لم يروها صحابه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أنفسهم؟

فلعلهم كانوا قد شاهدوا ذلک بأنفسهم، لکی يصفوا لنا الجن، و أشکالهم، و سماتهم!! و لنعرف إن کان الشرر قد أصاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أم لم يصبه؟!

و بعد .. فيا ليتهم ذکروا لنا کيف انصرف الجن عنه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

و هل تصدى أحد من المسلمين لهم حتى أجبرهم على الإنصراف؟! أم أن تلک العوذه التى جاءه بها جبرئيل (عليه السلام) هى التى أوجبت انصرافهم؟!

ج: و أما حديث مجى ء نائله فى صوره عجوز شمطاء (عريانه)، فقد ذکروا نفس هذا الحديث بالنسبه للعزى أيضا.

و ذکروا: أن خالدا ضربها بسيفه فقطعها نصفين فماتت.

و يذکرون مثل ذلک أيضا: عن مناه، و أن سعيد بن زيد قتلها أيضا ..

و قد ناقشنا هذه القضيه فى قصه قتل العزى، و طرحنا العديد من الأسئله التى لن تجد لها جوابا مقنعا و مقبولا ..

على أننا نستغرب: أن لا يکون حديث نائله قد تداولته الرواه، و نقله لنا العشرات ممن حضروا و شاهدوها، و هى عاريه. و هو أمر لافت للأنظار، مثير للفضول .. و کان من المناسب أيضا أن يذکروا لنا بعض صفاتها، و ترکيبتها الجسديه، فإن للجن أحوالا تختلف عن أحوال الإنس لا محاله ..

ص: 157

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافه

اشاره

إسلام أبی قحافه:

عن أسماء بنت أبی بکر الصدیق قالت: لما کان عام الفتح، و نزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بذی طوی، قال أبو قحافه لابنه له- قال البلاذری: اسمها أسماء، و قال محمد بن عمر تسمی: قریبه- کانت من أصغر ولده: یا بنیه، أشرفی بی علی أبی قبیس- و قد کف بصره- فأشرفت به علیه.

فقال: أی بنیه!! ماذا ترین؟

قالت: أری سوادا مجتمعا کثیرا، و أری رجلا یشتد بین ذلک السواد مقبلا و مدبرا.

فقال: ذلک الرجل الوازع (1)، ثم قال: ما ذا ترین؟

قالت: أری السواد قد انتشر و تفرق.

فقال: و اللّه إذن انتشرت الخیل، فاسرعی بی إلی بیتی.

فخرجت سریعا حتی إذا هبطت به الأبطح لقیتها الخیل، و فی عنقها طوق لها من ورق، فاقتلعه إنسان من عنقها.

1- الوازع: الموکّل بإصلاح الصفوف فی الحرب.

فلما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المسجد، خرج أبو بكر بأبيه يقوده، و كان رأس أبى قحافه ثغامه (1)، فلما رآه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه)؟

فقال أبو بكر: يا رسول اللّه، هو أحق أن يمشى إليک من أن تمشى أنت إليه.

فأجلسه بين يدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فمسح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) صدره، و قال: أسلم تسلم، فأسلم.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشدكم باللّه و الإسلام طوق أختى، فو اللّه ما جاء به أحد. ثم قال الثالثه فما جاء به أحد.

فقال: يا أخيه، احتسبى طوقک، فو اللّه إن الأمانه فى الناس اليوم لقليل (2).

و قال البلاذرى: و رمى بعض المسلمين أبا قحافه فشجه، و أخذت قلاده أسماء ابنته، فأدركه أبو بكر و هو يستدمى، فمسح الدم عن وجهه (3).

و روى البيهقى بسند جيد قوى، عن ابن وهب قال: أخبرنى ابن جريج، عن أبى الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافه،

1- الثغام: شجر أبيض الزهر واحدته: ثغامه. يقال: صار الرأس ثاغما. أى أبيض.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 232 و 233 عن الواقدى، و أحمد و الطبرانى، و البيهقى، و دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 95 و الرياض النضره ج 1 ص 65 و 66 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 88 و 89 و المغازى للواقدى ج 2 ص 824 و 825 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 82 و 95 و تاريخ مدينه دمشق ج 30 ص 23 و مسند أحمد ج 6 ص 349.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 233.

فأتى به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلما وقف به على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: غيروه، و لا تقربوه سوادا (1).

و روى مسلم عن جابر نحوه، لكنه لم يذكر من الذى جاء بأبى قحافه (2).

قال ابن وهب: و أخبرنى عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هنأ أبا بكر بإسلام أبيه (3).

و عن أنس قال: كأنى أنظر إلى لحيه أبى قحافه كأنه ضرام عرفج (4) من شده حمرته، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه)- تكرمه لأبى بكر- (5).

و عن أنس أيضا قال: جاء أبو بكر بأبيه أبى قحافه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه يحمله حتى وضعه بين يديه، فقال لأبى بكر:

(لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه)- تكرمه لأبى بكر-.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 233 و دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 96 و المستدرک على الصحيحين ج 3 ص 244 و تلخيص المستدرک للذهبى (مطبوع معه) نفس الجزء و الصفحه. و مسند أحمد ج 6 ص 349 و الرياض النضره ج 1 ص 65 و 66.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 233 عن مسلم، و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 88 و تاريخ الخميس ج 2 ص 95.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 233 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 244 و السيره الحلبيه ج 3 ص 88.
4- العرفج: شجر صغير سريع الإشتعال بالنار. و هو نبات الصيف.
5- المستدرک على الصحيحين ج 3 ص 245 و تلخيص المستدرک للذهبى بهامشه.

فأسلم و رأسه و لحيته كالثغامه، فقال: غيروهما.

قال قتاده: هو أول مخضوب فى الإسلام (1).

و الثغامه: نبت أبيض الثمر و الزهر، يشبه بياض الشيب.

و فى نص آخر: غيروا السواد، و لا تتشبهوا باليهود و النصارى.

و فى روايه: اليهود و النصارى لا يصبغون، فخالفوهم (2).

و عند ذلک قال أبو بكر للنبى (صلى اللّه عليه و آله): و الذى بعثک بالحق لإسلام أبى طالب أقر لعينى من إسلامه، و ذلک أن إسلام أبى قحافه كان أقر لعينک (3).

عن محمد بن عمر بن سالم، بن الجعابى، عن أبى شعيب عبد اللّه بن الحسن الحرانى، عن جده أحمد بن أبى شعيب، عن محمد بن سلمه، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لأبى بكر: لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه.

و روى الحاكم أيضا: عن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن أبى بكر: أنه

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 223 عن أحمد، و ابن حبان.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 88 و فيه أحاديث أخرى عن الخضاب.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 88 و راجع: الإصابه ج 4 ص 116 و 117 و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 69 و حياه الصحابه ج 2 ص 344 و مجمع الزوائد ج 6 ص 174 عن الطبرانى، و البزار، و مسند أحمد ج 1 ص 131 و عن المصنف لابن أبى شيبه ج 4 ص 142 و 95 و نصب الرايه ج 6 ص 281 و 282 و المصنف للصنعانى ج 6 ص 39 و الحاكم و صححه على شرط الشيخين، و عن أبى يعلى، و أبى بشر سفويه فى فوائده، و عمر بن شبّه.

(صلى اللّه عليه و آله) قال له: هلا تركت الشيخ حتى آتيه.

فقلت: بل هو أحق أن يأتيک.

فقال: إنا لنحفظه لأيادى ابنه عندنا (1).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هى:

الحديثان الأخيران:

إننا نبدأ بالحديثين الأخيرين، حيث نلاحظ ما يلى:

أولا: قال الذهبى معقبا على روايه أبى بكر: (القاسم لم يدرک أباه، و لا أبوه أبا بكر) (2).

و هذا صحيح، فإن محمدا ولد عام حجه الوداع سنه عشر من الهجره، و توفى أبوه فى جمادى الآخره سنه ثلاث عشره من الهجره.

كما أن محمد بن أبى بكر توفى سنه 38 ه، و توفى ولده القاسم سنه 108 ه أو 109 ه (3) و هو ابن سبعين سنه، أو اثنتين و سبعين، فيكون قد ولد سنه وفاه أبيه، أو نحوها.

و قال ابن سعد: إن القاسم قد توفى سنه 112 ه و عمره سبعون سنه،

1- المستدرک على الصحيحين ج 3 ص 244 و تلخيص المستدرک للذهبى بهامش نفس الجزء و الصفحه و مجمع الزوائد ج 9 ص 50 عن البزار.
2- تلخيص المستدرک ج 3 ص 244.
3- صفه الصفوه ج 2 ص 90.

فیکون عمره حین وفاه والده حوالی أربع سنین (1).

ثانیا: إن الجعابی لا یمکن أن یروی عن أبی شعیب، لأن الجعابی ولد سنه 285 ه و توفی أبو شعیب سنه 292 ه.

و الغریب فی الأمر هنا: سکوت الذهبی عن هذا الحدیث، بل هو قد وافق الحاکم علی تصحیحه، لکن الحاکم قال: إنه صحیح علی شرط الشیخین.

أما الذهبی فصححه علی شرط البخاری (2).

ثالثا: بالنسبه لأیادی أبی بکر عند رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نقول:

قد تقدم بعض الحدیث عن ذلک، حین الکلام حول هجره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و عن شرائه الراحلتین من أبی بکر بالثمن، فراجع فصل: هجره النبی (صلی اللّه علیه و آله).

رابعا: إن من المعیب جدا أن یزعم هؤلاء: أن آیه: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزی (3) قد نزلت فی أبی بکر (4). ثم یقولون: إنه قد کانت لأبی بکر أیاد عند رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لم یستطع أن یجازیه علیها.

1- الطبقات الکبری ج 5 ص 74.
2- راجع: المستدرک للحاکم و تلخیصه للذهبی ج 3 ص 244.
3- الآیه 19 من سوره اللیل.
4- راجع: الدر المنثور ج 6 ص 358- 360 و السیره الحلبیه ج 1 ص 299 و العثمانیه ص 35 و شرح النهج للمعتزلی ج 13 ص 273.

أبو بكر يريد طوق أخته:

و أما ما ذكرته الروايه: من أن أبا بكر طلب من الناس أن يرجعوا لأخته طوقها .. و أنه ناشدهم اللّه ثلاثا، فلم يجبه أحد، ثم قال: إن الأمانه فى الناس اليوم قليل .. ففيه أكثر من مورد يحتاج إلى بحث.

فأولا: إن أموال المشركين ليست من قبيل الأمانات عند المسلمين، بحيث يجب عليهم ردّها لأصحابها، بل هى غنائم إن أخذت من محارب منهم. و إن أخذت من قبل أن يعلموا بمقتضى الأمان الذى أعطاهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) إياه، أى قبل دخولهم فى البيوت و إغلاق الأبواب، و قيل: دخول المسجد، أو دار أبى سفيان، أو اللجوء إلى رايه أبى رويحه.

و أقصى ما يمكن أن يقال: هو أن أمرها فى كيفيه تقسيمها، و فى إرجاعها إلى أصحابها، إن اقتضت المصلحه ذلک، أو تسويغها لآخذيها ..

يرجع إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا يحق لأبى بكر و لا لغيره أن يطالب من أخذها بها ..

ثانيا: هل يمكن أن يرضى القائلون بعداله الصحابه باتهام أبى بكر لأحد أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالخيانه، أو بقله الأمانه؟!

ثالثا: من أين حصل أبو قحافه على الورق (أى الفضه)، ليصنع منه طوقا لابنته، و هو رجل فقير لا مال له؟! و من أين يكون له المال، و هو إنما كان صيادا ثم صار ينش الذباب عن مائده ابن جدعان بشبع بطنه، و ستر عورته (1).

1- تلخيص الشافى ج 3 ص 238، و دلائل الصدق ج 2 ص 130، و الإفصاح ص 135 و راجع الغدير ج 8 ص 51.

و لم نسمع أن حاله قد تغير إلى الأفضل، و بماذا و كيف؟!

و حتى لو كان يملک أموالا، فهل يمكن أن يلبس ابنته الصغيره طوق فضه، ثم يتركها تتجول فى أزقه مكه، و لا يسلبها سالب من كل أولئک الناس المعدمين الذين كانت مكه تعج بهم؟! مع العلم بأنه لم يكن لأبى قحافه قبيله تمنعه، و لم يكن قادرا على ملاحقه المعتدى بسبب عماه.

رابعا: إنه لم يثبت وجود بنت صغيره لأبى قحافه فى فتح مكه، بل لا يعرف لأبى قحافه بنت إلا أم فروه، التى كانت تحت تميم الدارى، ثم أنكحها أبو بكر الأشعث بن قيس.

و قد زعم الحلبى الشافعى: أن أم فروه هى صاحبه الطوق المأخوذ فى فتح مكه (1)، ثم احتمل أن يكون المقصود: بنتا أخرى اسمها عريبه، زعموا أنها كانت لأبى قحافه (2).

أربعه أسلمواهم و آباؤهم:

و قال بعضهم: لم يكن أحد من الصحابه، المهاجرين و الأنصار، أسلم هو و والده، و جميع أبنائه و بناته غير أبى بكر (3).

و قال بعضهم: (لا يعرف فى الصحابه أربعه أسلموا، و صحبوا النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و كل واحد أبو الذى بعده إلا فى بيت أبى بكر: أبو قحافه، و ابنه أبو بكر، و ابنه عبد الرحمن، و ابن عبد الرحمن محمد، و يكنّى

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 89.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 89.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 89.

بأبى عتيق) (1).

و فى نص آخر: أربعه رأوا النبى (صلى اللّه عليه و آله)، كلهم ابن الذى قبله، و هم من الذكور الذين أسلموا (2).

و نقول:

إن هذا الكلام غير دقيق، فهناک: (حارثه أبو زيد، فإنه أسلم- كما ذكره الحافظ المنذرى- و رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و ابنه زيد، و ابنه أسامه، و جاء أسامه بولد فى حياته (صلى اللّه عليه و آله) (أى يحتاج إلى إثبات كونه (صلى اللّه عليه و آله) رأى ذلک المولود).

إلا أن يقال: كان من شأنهم إذا ولد لأحدهم مولود جاء به إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فيحنكه، و يسميه) (3).

و كذلک الحال بالنسبه لأياس بن عمرو، بن سلمه، بن لال.

و زعم الحلبى: أنه لا اتفاق على صحبه هؤلاء (4). فراجع.

إسلام أبوى أبى بكر:

عن عائشه قالت: ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبى بكر (5).

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 89.
2- المصدر السابق.
3- المصدر السابق.
4- المصدر السابق.
5- تاريخ الخلفاء ص 100 و تاريخ مدينه دمشق ج 30 ص 24 و تاريخ الإسلام للذهبى (عهد الخلفاء الراشدين) ص 106.

و عن على (عليه السلام): أنه قال فى أبى بكر: أسلم أبواه جميعا، و لم يجتمع لأحد من الصحابه المهاجرين أن أسلم أبواه غيره (1).

و نقول:

أولا: قال مسدد: لم يكن فى المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمار بن ياسر (2).

ثانيا: ذكر التاريخ لنا عشرات من المهاجرين أسلم آباؤهم أيضا ..

و يكفى أن نذكر:

1- عمار بن ياسر، فإنه أسلم هو و أبوه ياسر، و أمه سميه ..

2- عبد اللّه بن عمرو و أمه زينب بنت مظعون، أسلم هو و أبواه.

3- على (عليه السلام)، فإنه كان مسلما هو و أبوه أبو طالب، و أمه فاطمه بنت أسد.

4- عبد اللّه بن الزبير، و أمه أسماء بنت أبى بكر ..

5- سلمه بن أبى سلمه بن عبد الأسد، و أمه أم سلمه ..

إلى عشرات آخرين، ذكرهم العلامه الأمينى فى كتاب الغدير، فيمكن الرجوع إليه.

آيات فى بر أبى بكر بأبويه:

روى عن على (عليه السلام) و عن ابن عباس (رحمه اللّه) أن قوله تعالى:

1- الرياض النضره ج 1 ص 68 و الجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 194 و عن الواحدى، و نور الأبصار.
2- تهذيب التهذيب ج 7 ص 357.

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَیْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِینَ (1). قد نزل فی أبی بکر.

فقد کان حمله و فصاله ثلاثین شهرا، حملته أمه تسعه أشهر، و أرضعته واحدا و عشرین شهرا، أسلم أبواه جمیعا، و لم یجتمع لأحد من المهاجرین أن أسلم أبواه غیره، فأوصاه اللّه تعالی بهما، و لزم ذلک من بعده.

فلما نبئ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و هو ابن أربعین سنه، صدّق أبو بکر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و هو ابن ثمان و ثلاثین سنه، فلما بلغ أربعین سنه قال: (ربّ أوزعنی أن أشکر نعمتک الّتی أنعمت علیّ و علی والدیّ) و استجاب اللّه له، فأسلم و والداه و أولاده کلهم (2).

و نقول:

إن للعلامه الأمینی ملاحظات علی هذا الحدیث المزعوم نشیر إلیها و إلی غیرها فی ضمن النقاط التالیه:

أولا: إن کون أم أبی بکر أرضعته واحدا و عشرین شهرا، و حملت به

1- الآیه 15 من سوره الأحقاف.
2- الجامع لأحکام القرآن ج 16 ص 193 و 194 و الکشاف ج 4 ص 303 و فتح القدیر ج 5 ص 20 و الریاض النضره ج 1 ص 68 و تفسیر الخازن ج 4 ص 132 و تفسیر النسفی (مطبوع بهامش الخازن) ج 4 ص 132 و عن مرقاه الوصول ص 121 و الدر المنثور ج 6 ص 40 و 41 عن ابن عساکر، و عن ابن مردویه.

تسعه أشهر .. لا يختص بأبى بكر، فإن سائر الناس تحمل أمهاتهم بهم تسعه أشهر، و لعل كثيرات منهن يرضعن أبناءهن واحدا و عشرين شهرا، فلا خصوصيه تستحق التنويه بهذا الأمر، و لذلک نقول:

إن الأقرب فى معنى الآيه هو: الإخبار عن أمر له آثار تشريعيه، و من حيث هو خصوصيته فى التكوين، و هو ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام): من أن ضم هذه الآيه إلى قوله تعالى: وَ فِصالُهُ فِى عامَيْنِ (1).

أو قوله تعالى: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ (2).

ينتج: أن أقل مده الحمل سته أشهر (3).

ثانيا: إن أبا بكر أسلم فى سنه سبع من البعثه، أى بعد أن تجاوز سن الأربعين بعده سنوات، حسبما قدمناه فى تاريخ إسلامه .. و أما أبوه فلم

1- الآيه 14 من سوره لقمان.
2- الآيه 233 من سوره البقره.
3- راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 4 ص 157 و تيسير الوصول ج 2 ص 9 و 11 و الموطأ ج 2 ص 176 و عمده القارى ج 21 ص 18 و البرهان ج 14 ص 174. و راجع: المصنف للصنعانى ج 7 ص 350 و 352 و السنن الكبرى للبيهقى ج 7 ص 442 و تذكره الخواص ص 148 و الدر المنثور ج 1 ص 288 و ج 6 ص 40 و المناقب للخوارزمى ص 94 و مختصر جامع بيان العلم ص 265 و الرياض النضره ج 3 ص 142 و كفايه الطالب ص 226 و تفسير النيسابورى ج 6 ص 120 و ذخائر العقبى ص 82 و التفسير الكبير للرازى ج 28 ص 15 و الأربعين للرازى ص 466 و كنز العمال ج 5 ص 457 و ج 6 ص 205 و عن ابن أبى حاتم، و العقيلى، و ابن السمان، و عبد بن حميد، و جامع بيان العلم ص 311.

يسلم إلا بعد سنه الفتح .. أى بعد أكثر من عشرين سنه من البعثه النبويه الشريفه. و حيث كان لأبى بكر- كما يقال- ست و خمسون سنه أو أكثر ..

و أما أمه فأسلمت بعد البعثه أيضا بسنوات، فما معنى قولهم: إنه حين بلغ أبو بكر أربعين سنه قال: (ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتک الّتى أنعمت علىّ و على والدىّ)؟!. مع أنه قد أسلم هو و أبواه بعد هذا السن بسنوات عديده. !!

و ما معنى قولهم: إن اللّه تعالى قد استجاب لأبى بكر، فأسلم والداه، و أولاده كلهم؟!

ثالثا: قد تقدم عدم صحه ما صرحت به الروايه: من أنه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبى بكر ..

و نضيف إلى ما تقدم أيضا ما يلى:

1- ما معنى قولهم: (فأوصاه اللّه بهما، و لزم ذلک من بعده)؟! فهل لم تكن الوصيه بالوالدين موجوده قبل ذلک التاريخ؟! ..

2- قالت عائشه ردا منها على مروان: ما أنزل اللّه فينا شيئا من القرآن غير أنه أنزل عذرى (1).

فإن قيل: هى تقصد: أنه لم ينزل اللّه فى ذمهم شيئا من القرآن ..

فالجواب: إن عذرها الذى استثنته يراد به آيات حديث الإفک، و إنما

1- الدر المنثور ج 6 ص 41 عن البخارى، و صحيح البخارى (ط 1309 ه) ج 3 ص 121 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 159 و فتح القدير ج 4 ص 21 و راجع: الغدير ج 8 ص 247.

يقصد بها: التبرئه و المدح و الثناء على من نزلت فيه لا الذم له ..

3- هناک نصوص کثيره تقول: إن هذه الآيه قد نزلت فى الإمام الحسين (عليه السلام)، و قد ولد لسته أشهر (1). فراجع.

أبو بكر يضرب أباه:

روى من طريق ابن جريج: أن أبا قحافه سب النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فصكه أبو بكر ابنه صكه، فسقط منها على وجهه.

ثم أتى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فذكر له ذلک، فقال: أو فعلته؟! لا تعد له.

فقال: و الذى بعثک بالحق نبيا، لو كان السيف منى قريبا لقتلته، فنزل قوله تعالى:

لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِکَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِکَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (2).

1- تفسير البرهان ج 4 ص 172 و 173 و 174.
2- الآيه 22 من سوره المجادله، و راجع الحديث فى: الدر المنثور ج 6 ص 186 عن المنذر، و الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 307 و تفسير الآلوسى ج 28 ص 36 و الكشاف ج 4 ص 497 و مرقاه الوصول ص 121.

و نقول:

أولا: روى: أن هذه الآيه نزلت فى الجرّاح، الذى كان يتصدى لابنه أبى عبيده يوم بدر، فكان أبو عبيده يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيده فقتله (1).

ثانيا: قال سفيان عن هذه الآيه: إنها نزلت فى من يخالط السلطان (2).

ثالثا: إن قتل إنسان لا يتوقف على وجود سيف بالقرب منه، فيمكنه أن يقتله بغير السيف كالخنق، أو ضرب رأسه على صخره، أو بإلقائه من شاهق. كما أن بإمكانه استحضار السيف، لو كان قاصدا لذلک الفعل.

رابعا: إن ما صدر من أبى بكر لا يتناسب مع ما ادّعاه: من أنه لو كان السيف قريبا منه لقتل أباه، فإن هذا الحرص على إلحاق الأذى لا يتناسب مع مجرد صكه أوجبت سقوط المصكوک على الأرض.

خامسا: يقول اللّه تبارک و تعالى: وَ إِنْ جاهَداکَ عَلى أَنْ تُشْرِکَ بِى ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِى الدُّنْيا مَعْرُوفاً (3). فما معنى أن يقدم أبو بكر على مخالفه هذه الأوامر الإلهيه الصارمه؟!

سادسا: إن الآيه المذكوره قد نزلت بعد بدر و أحد. و آيه: .. رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَ عَلى والِدَىَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً

1- الدر المنثور ج 6 ص 186 عن ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و الحاكم، و أبى نعيم فى الحليه، و البيهقى فى سننه، و ابن عساكر.
2- الدر المنثور ج 6 ص 186 عن ابن مردويه.
3- الآيه 15 من سوره لقمان.

تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَیْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِینَ (1) قد نزلت فی أوائل بعثه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، أی قبل أکثر من عشر سنوات (2).

سابعا: إن سوره المجادله مدنیه، و لم یأت أبو قحافه إلی المدینه فی کل تلک السنوات.

ثامنا: إن ما ذکر فی هذه الروایه لا یتناسب مع ما زعموه: من بره بوالدیه الذی بلغ إلی حد أن اللّه تعالی أنزل فیه آیات الثناء، و هی آیات سوره الأحقاف: وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ ...

أسلم تسلم:

و نکاد نلمس قدرا کبیرا من عدم الإنسجام بین ما زعمته الروایات:

من أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أظهر استعداده للذهاب إلی منزل أبی قحافه، الذی کان لا یزال علی شرکه، تکرمه لابنه، و لأیادی ابنه عنده، و بین قوله لأبی قحافه: (أسلم تسلم)، المتضمن للتهدید بالعقوبه علی ما کان یقترفه من جرائم إذا استمر علی شرکه ..

أی أن هذه الکلمه تعنی: أن الأمان الذی أعلنه النبی (صلی اللّه علیه و آله) لأهل مکه لا یشمل أبا قحافه لو أصر علی ما هو علیه ..

و قد یفهم من هذا: أن أبا قحافه کان له دور سیئ فی مناهضه هذا الدین، و فی الکید للإسلام و المسلمین.

1- الآیه 15 من سوره الأحقاف.
2- التفسیر الکبیر ج 29 ص 276 و تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ج 4 ص 330.

مفارقات لا علاج لها:

و يلاحظ هنا: وجود العديد من المفارقات فى إسلام أبى قحافه.

فروايه تزعم: أن عمر بن الخطاب هو الذى جاء بأبى قحافه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و أخرى تقول: إن أبا بكر هو الذى جاء بأبيه.

و فى حين نجد روايه تقول: إن أبا بكر لم يعلم بإسلام أبيه حتى بشره به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1)

هناک روايات أخرى تتحدث: عن أن أبا بكر هو الذى جاء بإبيه، و أسلم أبوه بحضوره.

و روايه تقول: إنه جاء بأبيه يحمله حتى وضعه بين يدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و أخرى تقول: أخذ بيد أبيه فأتى به.

الأمانه اليوم قليل:

ثم إن قول أبى بكر: (.. فو اللّه إن الإمانه فى الناس اليوم لقليل) لا يخلو عن مجازفه .. خصوصا مع إضافه كلمه (اليوم) التى قد تفهم على أن الأمانه كانت موجوده لدى المشركين، و أهل الجاهليه، و قد تناقصت و قلّت بمجى ء الإسلام ..

على أن من الواضح: أن خيانه رجل للأمانه لا يعنى أن الباقين لا أمانه لهم ..

1- المحاسن و المساوئ ج 1 ص 57.

بل ربما كانت الأمانه قليله، ثم تنامت و زادت أضعافا كثيره عما كانت عليه فى الجاهليه، و إن لم تبلغ حد الإستقطاب التام.

فما معنى: أن يحكم أبو بكر، بل هو يقسم للناس: بأن الأمانه قد قلّت فيهم، بمجرد أن سالب طوق أخته لم يبادر إلى الإقرار به؟!

يضاف إلى ذلک كله: أنه إذا كان فى الذين نفروا مع الرسول (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه المسلم و غير المسلم، و من هو حديث عهد بالإسلام، فلا يمكن أن نتوقع منهم الالتزام التام بحدود الشريعه، و بالأحكام العقليه و الأخلاقيه، و ما تقضى به الفطره.

إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه:

و تعود نفس الترنيمه السابقه لتردد من جديد و تؤكد إصرار هؤلاء الناس على نسبه الشرک إلى أبى طالب رضوان اللّه عليه.

و قد ذكرنا فى الفصول المتقدمه فى الأجزاء الأولى من هذا الكتاب فصولا أثبتنا فيها إيمان أبى طالب بما لا مجال للريب فيه إلا لمكابر جاحد و شانئ ..

أبو قحافه أول مخضوب فى الإسلام:

و قد ذكرت بعض الروايات عن قتاده: أن أبا قحافه أول مخضوب فى الإسلام (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 223 عن أحمد، و ابن حبان.

و نقول:

1- إن قتاده لم يكن فى زمن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لنكتفى بقوله فى تحديد الشخص الذى كان أول مخضوب فى الإسلام. على اعتبار أنه إنما يتحدث عما عاينه و شاهده.

2- إننا نكاد نطمئن إلى أن الخضاب قد كان قبل فتح مكه بزمان .. فإنه كان فى زمان قله المسلمين، و ضعفهم، فأريد من خلال أمر المسلمين به الإيحاء بالقوه للأعداء، و بعث الرهبه فى قلوبهم. و كان المسلمون فى فتح مكه أكثر من عشره الآف مقاتل، فإن كان ثمه خضاب فهو فى عمره القضاء أو قبلها ..

و يؤيد ذلک: الروايات التاليه:

1- ما ورد: من أن الخضاب تفرح به الملائكه، و يستبشر به المؤمن، و يغيظ به الكافر (1).

2- عن أبى عبد اللّه (عليه السلام): أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال عن الخضاب بالسواد: نور و إسلام، و إيمان، و محبه إلى نسائكم، و رهبه فى قلوب عدوكم (2).

3- عن أبى عبد اللّه (عليه السلام): الخضاب بالسواد مهابه للعدو، و أنس للنساء (3).

1- البحار ج 73 ص 97 و 99 عن ثواب الأعمال ص 21 و الخصال ج 2 ص 90 و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص 79.
2- البحار ج 73 ص 100 و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص 79.
3- البحار ج 73 ص 100 و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص 80.

4- عن الإمام السجاد (علیه السلام): أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه فی غزوه غزاها أن یخضبوا بالسواد، لیقووا به علی المشرکین (1).

5- عن أبی الحسن (علیه السلام) قال: فی الخضاب ثلاث خصال:

مهیبه فی الحرب، و محبه إلی النساء، و یزید فی الباه (2).

6- سئل أمیر المؤمنین (علیه السلام) عن قول النبی (صلی اللّه علیه و آله): (غیروا الشیب و لا تتشبهوا بالیهود)، فقال:

إنما قال (صلی اللّه علیه و آله) ذلک، و الدین قلّ. و أما الآن و قد اتسع نطاقه و ضرب بجرانه فامرؤ و ما اختار (3).

و واضح: أن الدین کان قبل فتح مکه، أی فی عمره القضاء و الحدیبیه و قبلهما، أضعف و أقل منه فی فتح مکه، فالأمر بالخضاب فی عمره القضاء أولی.

1- البحار ج 73 ص 100 و 101 و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص 80.
2- البحار ج 73 ص 102 و مکارم الأخلاق (ط دار البلاغه) ص 81.
3- نهج البلاغه (بتحقیق عبده) ج 4 ص 5 و الوسائل (ط أهل البیت) ج 2 ص 87 و البحار ج 73 ص 104 و شرح النهج للمعتزلی ج 18 ص 122 و مکارم الأخلاق.

الفصل السادس: طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله و تحطیم الأصنام

اشاره

طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله بالبیت:

قالوا: دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه بغیر إحرام، و علیه السلاح، و مکث فی منزله ساعه من النهار حتی اطمأن الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدنیت إلی باب قبته، و عاد للبس السلاح و المغفر علی رأسه، و قد حف الناس به، فرکب راحلته و الخیل تمعج (1) بین الخندمه إلی الحجون.

فلما انتهی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الکعبه، فرآها و معه المسلمون، تقدّم علی راحلته، و استلم الرکن بمحجنه (2)، و کبّر، فکبّر المسلمون بتکبیره، فرجّعوا التکبیر، حتی ارتجت مکه تکبیرا، حتی جعل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یشیر إلیهم أن اسکتوا، و المشرکون فوق الجبال ینظرون.

و طاف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالبیت، آخذا بزمام الناقه محمد بن مسلمه، فأقبل علی الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبیت (3).

1- معجت الخیل: کانت سریعه السیر سهله.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 233 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 244 و السیره الحلبیه ج 3 ص 88.
3- المحجن: العصا المنعطفه الرأس کالصولجان.

تحطیم الأصنام فی المسجد الحرام:

عن ابن عمر، و سعید بن جبیر، و ابن عباس: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) دخل مکه یوم فتح مکه، و حول الکعبه ثلاثمائه و ستون صنما مرصعه بالرصاص (1). (و فی الحلبیه و غیرها: لکل حی من أحیاء العرب صنم. قد شد إبلیس (أو الشیاطین) أقدامها بالرصاص (و النحاس) (2).

فأخذ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کفا من حصی فرماها فی عام الفتح، و قال: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً (3) فما بقی صنم إلا خر لوجهه، فأمر بها، فأخرجت من المسجد، فطرحت فکسرت (4)).

و کان هبل أعظمها، و هو و جاه الکعبه، و إساف و نایله حیث ینحرون و یذبحون الذبائح، و فی ید رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قوس (عود) (مخصره) و قد أخذ بسیه القوس (5)، فجعل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) کلما مر بصنم منها یشیر إلیه، و یطعن فی عینه (أو فی بطنه) و یقول: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ کانَ زَهُوقاً.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 234 و البحار ج 21 ص 117 عن إرشاد المفید ص 63 و عن الخرائج و الجرائح.
2- السیره الحلبیه ج 3 ص 85 و 86 و راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 86 عن أبی نعیم.
3- الآیه 81 من سوره الإسراء.
4- البحار ج 21 ص 117 عن إرشاد المفید ص 63 و عن الخرائج و الجرائح.
5- سیه القوس: ما عطف من طرفیها.

فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. و فى لفظ: لقفاه، من غير أن يمسه (1).

و قال الكلبى: فجعل ينكب لوجهه إذا قال ذلک، و أهل مكه يقولون:

ما رأينا رجلا أسحر من محمد (2).

و فى ذلک يقول تميم بن أسد الخزاعى:

ففى الأصنام معتبر و علم لمن يرجو الثواب أو العقابا قال أئمه المغازى: فطاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سبعا على راحلته، يستلم الركن الأسود بمحجنه كل طواف، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته (3).

و عند ابن أبى شيبه عن ابن عمر، قال: فما وجدنا مناخا فى المسجد حتى أنزل على أيدى الرجال، ثم خرج بها.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 234 عن أبى نعيم، و البيهقى، و ابن إسحاق، و ابن منده، و الواقدى، و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 832 و تاريخ الخميس ج 2 ص 86 و دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 71 و عن البخارى فى المظالم، باب هل تكسر الدنان التى فيها الخمر، و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 85 و 86 و البحار ج 21 ص 92 و 106 و 116 عن مجمع البيان ج 6 ص 435 و عن أمالى ابن الشيخ ص 214.
2- البحار ج 21 ص 92 و 110 عن مجمع البيان ج 6 ص 435 و عن سعد السعود ص 220.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 235 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 85 و المغازى للواقدى ج 2 ص 832 و تاريخ الخميس ج 2 ص 84 و البحار ج 96 ص 210.

قالوا: و جاء معمر بن عبد اللّه بن نضله، فأخرج الراحله فأناخها بالوادى.

ثم انتهى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى المقام، و هو لاصق بالكعبه، و الدرع عليه، و المغفر، و عمامته بين كتفيه، فصلى ركعتين.

ثم انصرف إلى زمزم، فاطلع فيها، و قال: (لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقايتهم) لنزعت منها دلوا).

فنزع له العباس بن عبد المطلب- و يقال الحرث بن عبد المطلب- دلوا، فشرب منه، و توضأ (1)، و المسلمون يبتدرون وضوء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يصبونه على وجوههم، و المشركون ينظرون إليهم، و يتعجبون، و يقولون: ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به (2).

زاد فى الحلبيه قوله: (لا تسقط قطره إلا و فى يد إنسان، إن كان قدر ما يشربها شربها، و إلا مسح بها جلده، و المشركون يقولون: ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به) (3).

و أمر بهبل فكسر و هو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبى سفيان بن حرب: يا أبا سفيان، قد كسر هبل، أما إنک قد كنت منه يوم أحد فى غرور، حين تزعم أنه أنعم.

فقال أبو سفيان: دع عنک هذا يابن العوام، فقد أرى لو كان مع إله

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 235 و المغازى للواقدى ج 2 ص 832.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 235 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 87 و 88 و تاريخ الخميس ج 2 ص 85.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 88.

محمد غیره لکان غیر ما کان (1).

ثم انصرف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فجلس ناحیه من المسجد و الناس حوله (2).

و عن أبی هریره قال: کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یوم الفتح قاعدا، و أبو بکر قائم علی رأس رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالسیف (3).

إحالات علی ما سبق:

اشاره

ثم إن النصوص المتقدمه قد تضمنت أمورا کنا قد تحدثنا عنها فیما سبق، فلا حاجه إلی إعاده البحث فیها، و التحلیل لمضامینها، و هی التالیه:

ألف: المسلمون یبتدرون وضوء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

تحدثنا مرات و مرات عن تبرک المسلمین برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و بفضل وضوئه، و تأثیر ذلک علی عتاه المشرکین، فراجع غزوه الحدیبیه، و راجع أیضا ما جری لأبی سفیان حین جاء إلی المدینه بعد نقضهم عهد الحدیبیه یطلب تجدید العهد، و الزیاده فی المده، و مواضع کثیره أخری.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 235 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 87 عن روضه الأحباب.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 235 و المغازی للواقدی ج 2 ص 832.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 235 عن البزار و مجمع الزوائد ج 6 ص 176 و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 86.

ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا:

و أما قول المشركين، و هم يرون تبرک الصحابه بفضل وضوء نبيهم:

(ما رأينا و لا سمعنا ملكا قط بلغ هذا)، فقد تحدثنا حين ذكرنا مقاله أبى سفيان حين قدم المدينه، و قد رأى مثل ذلک، و ثم حين رأى ما يشبهه فى مرّ الظهران، فلا بأس بالرجوع إلى تلک الموارد و سواها.

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم إننا قد تحدثنا فى بعض فصول هذا الكتاب، و بالتحديد فى غزوه الحديبيه: عن أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن يرضى بأن يقوم الناس على رأسه بالسيف، و ذكرنا بعض الشواهد على ذلک فلا بأس بالرجوع إلى ذلک المورد للاطلاع على ما ذكرناه.

د: المشركون فوق الجبال ينظرون:

و أخيرا نقول:

قد سبق فى عمره القضاء الإشاره إلى أن المشركين كانوا ينظرون من أعالى الجبال إلى المسلمين حين دخلوا مكه، فأمرهم (صلى اللّه عليه و آله) أن يظهروا لهم بعض القوه.

و قد تكرر نفس هذا المشهد فى فتح مكه حيث كان المشركون يراقبون من أعالى الجبال المحيطه بالكعبه حركه النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين فيها ..

و قد أظهر المسلمون التكبير حتى ارتجت مكه من ذلک، و هذا التكبير

يرعب أهل الشرک، و يمثل طعنه لهم فی أکثر المواضع حساسیه و ألما لهم، لأنه یستهدف أساس الشرک، و حبه قلبه.

ثم شاهدوا طوافه (صلی اللّه علیه و آله) علی راحلته، و استلامه الرکن بالمحجن حسبما تقدم ..

و الأشد علیهم، و الأکثر ألما، و الأعظم أثرا: أنهم قد شاهدوا تحطیم أصنامهم علی ید علی (علیه السلام) الذی رأوه یصعد علی کتفی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و من ثم علی ظهر الکعبه ..

و هم یعرفون علیا (علیه السلام) حق المعرفه، فی مکه قبل الهجره، و فی شعب أبی طالب، و سواه، و حین الهجره فی مبیته علی الفراش لیله الغار، و بعد الهجره فی ساحات الجهاد، فی بدر و أحد و الخندق، و ذات السلاسل، یضاف إلی ذلک جهاده لحلفائهم من الیهود فی خیبر و بنی النضیر و قریظه و سواها، و هو یقتل شجعانهم، و فراعنتهم، و یبیر کیدهم، و یبطل أحدوثتهم ..

تأسی عمر برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

قد تقدم: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد استلم الحجر الأسود، و لم یزل المسلمون یستلمونه تأسیا برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی یومنا هذا.

و لکن عمر بن الخطاب، و إن کان قد استلم الحجر أیضا، و لکنه قد اطلق فی هذا المورد کلاما خطیرا، لم تزل آثاره ظاهره إلی یومنا هذا ..

فقد ذکروا: أنه حج فی أمرته، فلما افتتح الطواف و استلم الحجر

الأسود و قبله، قال: قبلتک و إنی لأعلم أنّک حجر، لا تضر و لا تنفع، و لکن کان رسول اللّه بک حفیا، و لو لا أنی رأیته (صلی اللّه علیه و آله) یقبلک ما قبلتک!! (أو ما یقرب من هذه الکلمات).

و کان علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) حاضرا، فقال له: بلی و اللّه، إنه لیضر و ینفع.

قال: و بم قلت ذلک یا أبا الحسن؟!

قال: بکتاب اللّه تعالی.

قال: أشهد أنک لذو علم بکتاب اللّه، فأین ذلک من الکتاب؟

قال: قول اللّه عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا .. (1).

ثم ذکر کیف أخذ اللّه تعالی علی العباد میثاقهم بالعبودیه، و ألقمها الحجر الأسود .. إلی أن تقول الروایه:

فقال عمر: لا عشت فی أمه لست فیها یا با الحسن (2).

و لکن اعتراض أمیر المؤمنین (علیه السلام)، و اعترف عمر، لم ینه القضیه، بل بقی العمریون یصرحون: بأنه حجر لا یضر و لا ینفع، و ینهون الناس عن استلامه (3).

و الأحادیث حول أن اللّه تعالی أودع الحجر مواثیق الخلائق، و أنه

1- الآیه 172 من سوره الأعراف.
2- راجع: البحار ج 96 ص 216 و 217 و راجع ص 221 و 227 و 228 عن علل الشرایع ص 49 و راجع ص 426 و تفسیر العیاشی ج 2 ص 38.
3- راجع: البحار ج 96 ص 217 و 218 عن علل الشرایع ص 425.

يشهد لمن وافاه بالموافاه كثيره (1).

و هذا الموقف من عمر قد أعطى الانطباع لدى الكثيرين من أتباعه و محبيه بأن القيمه الحقيقيه للبناء، و الحجر و الشجر، و كل ما هو جسم ماديه و ليست معنويه، فلا قداسه لها فى نفسها، و لا تكتسب قداسه من إضافاتها إلى ما هو مقدس، كما أنها لا تزيدها تلك الإضافات قداسه، و لا تعطيها قيمه معنويه زائدا على ما لها من قيمه ما ديه.

و خلاصه الأمر: إن كلمه عمر الآنفه الذكر قد أفرغت تقبيله للحجر من أى مضمون معنوى، و رفد روحى، و توهج مشاعرى، و جعلته عملا خاويا، وجافا، لا يتضمن سوى المحاكاه الفارغه لفعل صدر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و رغم أن إجابه على (عليه السلام) قد تضمنت العوده إلى أغوار المضمون الروحى، و أوغلت فى مداه العقائدى، و معناه الإيمانى، حين شرحت كيف أن اللّه سبحانه قد أودع الحجر الأسود مواثيق الخلائق منذ عالم الذر، فإن ذلک لم يمنع محبى الخليفه الثانى من الإصرار على المنحى الذى نحاه عمر بن الخطاب .. و سعوا إلى التنظير له بعد تعميمه و توسعته، حتى اعتبروا التبرک بالأماكن المقدسه، أو بأى شى ء يرتبط برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و بآثاره، من الشرک، الذى يستحق فاعله العقوبه بأقصى مدى .. فما ظنک بالتبرک بآثار الأوصياء و الأولياء و الصالحين !!

و قد ضربوا بعرض الحائط مئات النصوص التى تحدثت عن توجيه

1- البحار ج 96 ص 215- 228.

النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه للناس من الصحابه و التابعین إلی التبرک بآثار الأنبیاء و المرسلین، و جمیع عباد اللّه الصالحین، و مفردات ما جری من ذلک عبر الأجیال ..

و قد جمع العلامه الأحمدی طائفه من هذه النصوص فی کتابه (التبرک) و جمع غیره أیضا الکثیر منها فراجع.

استلام الرکن بالمحجن:

و قد ذکرت الروایات المتقدمه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) استلم الحجر، ثم طاف بالبیت.

و تقدم أیضا: أنه کان یستلم الرکن بمحجنه.

فهل المراد بالرکن هنا: الرکن الیمانی؟ أم رکن الحجر الأسود؟!

لقد صرحت الروایه المتقدمه: بأن المراد به الرکن الأسود.

و لکن قد یقال: لعل الرکن الذی استلمه (صلی اللّه علیه و آله) بالمحجن هو الیمانی، الذی یستحب استلامه .. فإذا أطلق الکلام فی استحباب استلام الرکن، فالیمانی هو المتبادر إلی الذهن.

و فی البحار و غیره أطلق القول: بأنه (صلی اللّه علیه و آله) قد استلم الرکن بالمحجن .. الأمر الذی یرجح احتمال إراده الیمانی ..

و لکن الرواه أضافوا کلمه: (الأسود) إلی الروایه التی ذکرت آنفا اجتهادا منهم، أو لحاجه فی أنفسهم.

و لکن هذا یبقی مجرد احتمال.

استلم الحجر ثم ركب راحلته:

كما أن ظاهر عباره الروايه التى تقدمت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد استلم الحجر قبل الطواف .. ثم طاف و هو راكب، و صار يستلم الركن بمحجنه ..

فإذا صح هذا، فيرد السؤال عن سر عودته إلى الركوب، و ترجيحه الطواف كذلک على الطواف ماشيا!

و قد يقال فى الجواب: إن المراد هو التشريع العملى للطواف فى حال الركوب، فإن الناس قد يصعب عليهم قبول بعض مفردات التشريع، و يرون أنها مظنه النقص، بل هى عندهم مظنه الخطر .. فإذا رأوا النبى (صلى اللّه عليه و آله) يمارسها بنفسه، فإن تأسيهم به يهوّن الأمر عليهم.

و ذلک نظير قصر الصلاه، و إفطار المريض، و الإفطار فى السفر، فإنک تجد تحرّجا من الناس فى الإقدام على ذلک، و يصعب عليهم فعله، و لأجل ذلک جاء التعبير بنفى (الجناح) فى قوله تعالى: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاهِ .. (1).

و لعل جميع الآيات التى عبرت ب (لا جناح)، وارده فى موارد توهم الحرمه فيها، أو التحرج من مباشره الفعل الوارد بعدها (2).

و يمكن أن يضاف إلى ذلک أيضا: أن ثمه تعمدا من رسول اللّه (صلى

1- الآيه 101 من سوره النساء.
2- راجع الآيات: 158 و 229 و 230 و 233 و 234 و 235 و 236 و 240 و 282 من سوره البقره، و 23 و 24 و 102 من سوره النساء.

اللّه علیه و آله) أن یراه مشرکو مکه، الذین کانوا ینظرون إلی ما یجری حتی من علی الجبال المحیطه، و الحشود المجتمعه، و هو فی حاله متمیزه، یمارس أمرا لعلهم لم یعهدوه من ذی قبل، و هو الطواف علی الراحله .. و هو أمر شرعه اللّه بالوحی الذی لا یزالون یجحدونه و ینکرونه، رغم ما یرونه من آیات باهره و معجزات ظاهره، و دلالات للعقل قاهره.

محاوله اغتیال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

قال ابن هشام: حدثنی بعض أهل العلم: أن فضاله بن عمیر بن الملوح اللیثی أراد قتل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و هو یطوف بالبیت عام الفتح؛ فلما دنا منه قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (أفضاله)؟

قال: نعم.

قال: (ماذا کنت تحدث به نفسک)؟

قال: لا شی ء، کنت أذکر اللّه، فضحک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ثم قال: (إستغفر اللّه). ثم وضع یده علی صدره فسکن.

و کان فضاله یقول: و اللّه ما رفع یده عن صدری حتی ما خلق شی ء أحب إلی منه.

و رجع فضاله إلی أهله، قال: فمررت بامرأه کنت أتحدث إلیها.

فقالت: هلم إلی الحدیث.

فقال: لا. و انبعث فضاله یقول:

قالت هلم إلی الحدیث فقلت لایأبی علی اللّه و الإسلام

إذ ما رأیت محمدا و قبیله بالفتح یوم تکسر الأصنام

لرأيت دين اللّه أضحى بيناو الشرک يغشى وجهه الإظلام (1) و نقول:

ليس غريبا أن نرى بين الفينه و الفينه من يتآمر على حياه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو من يحدث نفسه بقتله صلوات اللّه و سلامه عليه و على آله الطاهرين ..

و قد ظهرت هذه المحاولات فى المشركين، و فى اليهود، و المنافقين، و فى جميع تلک المحاولات كانت تظهر لهم الرعايه الإلهيه له (صلى اللّه عليه و آله).

و قد كان الشيطان ينسيهم ذلک، و يزين لهم تكرار المحاوله، قال تعالى:

أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ (2).

و قال: وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ (3).

و قد يترک الشيطان أولئک الناس إلى غيرهم، ليزين هذا الأمر لفريق أو لشقى جديد، فتواجهه أو تواجههم الخيبه، و يقيم اللّه عليه أو عليهم الحجه.

تبقى الإشاره هنا: إلى هؤلاء الذين تنتهى بهم شقوتهم و عنادهم للحق

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 236، و قال: ذكره أبو عمر فى الدرر، و لم يذكر فى الإستيعاب، و هو على شرطه، و ذكره القاضى فى الشفاء بنحوه. و السيره الحلبيه ج 3 ص 102 و تاريخ الخميس ج 2 ص 87.
2- الآيه 8 من سوره فاطر.
3- الآيه 24 من سوره النمل، و الآيه 38 من سوره العنكبوت.

و أهله إلى حد التفكير باغتيال سيد الرسل، مع ما يرونه من آيات باهره، و معجزات قاهره، فإنک تراهم يدّعون لأنفسهم أحوالا رائعه و مميزه، و درجات عاليه من الإيمان و الإخلاص كما هو الحال بالنسبه لدعاوى فضاله الآنفه الذكر، و لكن النفس لا تسكن إلى صحه دعاواهم تلک، فلا بد أن يبقى الريب بهم، و الحذر منهم. فإن هذا هو القرار الحازم، حتى لو كان لابد من السكوت عن الجهر باتهامهم.

فهذا هو الخيار الحكيم، و الرأى الصحيح و السليم، و لا حول و لا قوه إلا باللّه العلى العظيم.

أين كان مقام إبراهيم عليه السّلام؟!:

و قد ادعت الروايات المتقدمه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) بعد أن طاف صار إلى خلف مقام إبراهيم، و كان لاصقا بالكعبه، فصلى ركعتين. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 22 194 أين كان مقام إبراهيم عليه السلام؟!: ..... ص : 194

و نقول:

إن دعوى لصوق المقام بالكعبه لا تصح، فإن المقام كان حينئذ بعيدا عن الكعبه، و النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أرجعه إلى موضعه الملاصق للكعبه.

و المقام هو حجر فيه آثار قدمى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، حيث إن اللّه تعالى أمره أن يؤذّن فى الناس بالحج، فأخذ (عليه السلام) ذلک الحجر فوضعه بحذاء البيت، لاصقا به، بحيال الموضع الذى هو فيه اليوم.

ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره اللّه عز و جل به، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر، فغرقت رجلا إبراهيم فيه، فقلع (عليه السلام)

رجليه من الحجر قلعا.

فلما كثر الناس، و صاروا إلى الشر و البلاء ازدحموا عليه، فرأوا أن يضعوه فى هذا الموضع الذى هو فيه اليوم، ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت.

فلما بعث اللّه عز و جل محمدا (صلى اللّه عليه و آله) رده إلى الموضع الذى وضعه فيه إبراهيم (عليه السلام)، فما زال فيه حتى قبض رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و فى زمن أبى بكر، و أول ولايه عمر.

ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأيكم يعرف موضعه فى الجاهليه؟

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر.

قال: و القدر عندک؟

قال: نعم.

قال: فأت به.

فجاء به، فأمر بالمقام فحمل ورد إلى الموضع الذى هو فيه الساعه (1).

لقد كدت تركن إليهم:

و عن ابن أبى يعفور، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: سألته عن قول اللّه وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا (2).

قال: لما كان يوم الفتح أخرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أصناما

1- البحار ج 96 ص 232 عن علل الشرايع ص 423.
2- الآيه 74 من سوره الإسراء.

من المسجد، و كان منها صنم على المروه، و طلبت إليه قريش أن يتركه، و كان استحيا، فهمّ بتركه، ثم أمر بكسره، فنزلت هذه الآيه (1).

و نقول:

أولا: إن ما ذكرته الروايه من مناسبه نزول الآيه تعارضه روايات أخرى حول هذا الموضوع، و لعل من بينها ما هو أصح و أولى بالقبول.

1- فمنها ما روى فى مصادر شيعه أهل البيت (عليهم السلام) ما يدل على أن هذه الآيه قد نزلت بإياک أعنى و اسمعى يا جاره، فلاحظ ما يلى:

ألف: روى عن الإمام الرضا (عليه السلام): إن هذه الآيه مما نزل بإياک أعنى، و اسمعى يا جاره، خاطب اللّه تعالى بذلک نبيه (صلى اللّه عليه و آله)، و أراد أمته (2).

ب: و عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا عنى بذلک غيره (3).

2- و منها ما دل على أنها نزلت فى من أراد أن يصرف النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن التنويه بشأن على (عليه السلام).

و نشير هنا: إلى أن هذه الروايات لا تتنافى مع سابقاتها و ذلک ظاهر، و من هذه الروايات:

1- نور الثقلين ج 3 ص 198 و البرهان (تفسير) ج 2 ص 434 و البحار ج 21 ص 124 و تفسير العياشى ج 2 ص 306 و مجمع البيان المجلد الثالث ج 6 ص 431.
2- نور الثقلين ج 3 ص 197 و 198 و البرهان (تفسير) ج 2 ص 434.
3- نور الثقلين ج 3 ص 198.

ألف: عن عبد اللّه بن عثمان البجلی، عن رجل: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) اجتمعا (1) عنده و ابنتیهما، فتکلموا فی علی (علیه السلام). و کان (2) من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یلین فی بعض القول، فأنزل اللّه: .. لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلًا إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَیاهِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَیْنا نَصِیراً (3) ثم لا تجد لک مثل علی ولیا (4).

ب: عن أبی جعفر (علیه السلام): وَ إِنْ کادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ (5) فی علی بن أبی طالب (علیه السلام) (6).

ج: و عن أبی الحسن موسی بن جعفر، عن أبیه صلوات اللّه علیهما: أن القوم أرادوا النبی (صلی اللّه علیه و آله) لیربط رایه (7) فی علی (و لیمسک عنه بعض الإمساک، حتی إن بعض نسائه ألححن علیه فی ذلک، فکاد یرکن إلیهم بعض الرکون، فأنزل اللّه عز و جل: وَ إِنْ کادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنا غَیْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوکَ خَلِیلًا وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلًا.

1- أی اجتمع عنده أبو بکر و عمر و ابنتاهما. و الواو فی قوله: و ابنتیهما للمعیه.
2- کذا فی المصدر.
3- الآیتان 74 و 75 من سوره الإسراء.
4- نور الثقلین ج 3 ص 198 و 199 و البرهان (تفسیر) ج 2 ص 434.
5- الآیه 73 من سوره الإسراء.
6- البرهان (تفسیر) ج 2 ص 434.
7- لم أفهم معنی هذه العباره و لعلها محرفه أو مصحفه. لکن العباره التی بعدها توضح المراد.

قال محمد بن العباس: (المخاطب بذلک ظ) رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله). و لکن فی التخویف لأمته، لئلا یرکن أحد من المؤمنین إلی أحد من المشرکین (1).

3- أما روایات أهل السنه فهی مختلفه فی ما بینها، و لکنها هی الأخری متفقه علی خلاف ما ورد فی تلک الروایه التی نتحدث عنها أیضا.

و مع غض النظر عن ذلک کله نقول:

ألف: روی: أن هذه الآیه نزلت قبل الهجره، حین جاء أمیه بن خلف، و أبو جهل إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و طلبوا منه أن یستلم آلهتهم، لکی یدخلوا معه فی دینه. و کان یشتد علیه فراق قومه فرقّ لهم. فنزلت الآیه (2).

ب: عن سعید بن جبیر: کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) یستلم الحجر، فقالوا: لا ندعک تستلمه حتی تستلم آلهتنا.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): و ما علیّ لو فعلت، و اللّه یعلم منی خلافه، فنزلت (3).

ج: عن ابن شهاب: أن المشرکین کانوا یقولون لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إذا طاف: استلم آلهتنا کی لا تضرک، فکاد یفعل، فنزلت (4).

1- البرهان ج 2 ص 434.
2- الدر المنثور ج 4 ص 194 عن ابن إسحاق، و ابن أبی حاتم، و ابن مردویه.
3- راجع: مجمع البیان المجلد الثالث ج 6 ص 431 و الدر المنثور ج 4 ص 194 عن ابن جریر، و ابن أبی حاتم.
4- الدر المنثور ج 4 ص 194 عن ابن أبی حاتم.

د: عن جبير بن نفير: أن قريشا طلبوا منه (صلى اللّه عليه و آله) أن يطرد الذين اتبعوه من سقاط الناس و مواليهم، ليكونوا هم اصحابه، فركن إليهم، فنزلت (1).

ه: عن ابن عباس: أن ثقيفا قالوا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله):

أجّلنا سنه، حتى نهدى لألهتنا، فإذا قبضنا الذى يهدى للآلهه أحرزناه، ثم أسلمنا، و كسرنا الآلهه، فهمّ أن يؤجلهم، فنزلت (2).

ثانيا: إن الآيات تقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يركن، بل هو لم يقترب من الركون إليهم، لأن تثبيت اللّه له كان حاصلا فعلا و من أول الأمر .. و ذلک بقرينه كلمه (لو لا) الداله على نفى الحصول.

فكل الروايات المفيده لركونه (صلى اللّه عليه و آله)، أو مقاربته للركون لا تصح، لأنها تنافى ظاهر الآيه الكريمه.

ثالثا: إن الحديث فى الآيه إنما هو عن أمر أنزل و أوحى إليه من اللّه تعالى، و هم يريدون منه (صلى اللّه عليه و آله) أن يفترى على اللّه غيره ..

و هذا لا ينطبق على مورد الروايه السابقه، لأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يقل لهم: إن اللّه أوحى إليه أن أترک الصنم على المروه، بل هو- حسب ما تقوله الروايه- قد همّ بتركه، لأنه استحيا منهم.

رابعا: إن هذه السوره مكيه، و قد ذكرنا فى ثنايا هذا الكتاب: أن السور

1- الدر المنثور ج 4 ص 194 عن ابن أبى حاتم، و مجمع البيان المجلد الثالث ج 6 ص 431.
2- الدر المنثور ج 4 ص 194 عن ابن جرير، و ابن مردويه، و مجمع البيان المجلد الثالث ج 6 ص 431.

كانت تنزل دفعه واحده، ثم تبدأ تطبيقاتها بالحصول تدريجا إلى أن تنزل (بسم اللّه الرحمن الرحيم) مره أخرى، فيعرف الناس: أن السوره السابقه قد انتهت، و أن سوره جديده قد بدأت (1).

1- راجع: الدر المنثور ج 1 ص 7 و ج 3 ص 208 عن أبى داود، و البزار، و الدار قطنى فى الافراد، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى فى المعرفه و فى شعب الإيمان، و فى السنن الكبرى، و عن أبى عبيد، و الواحدى، و فتح البارى ج 9 ص 39 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 16 و نيل الأوطار ج 2 ص 228 و مستدرک الحاكم ج 1 ص 231 و 232 و صححه على شرط الشيخين، و تلخيص المستدرک للذهبى، بهامشه، و أسباب النزول للواحدى ص 9 و 10 و السنن الكبرى ج 2 ص 42 و 43 و محاضرات الأدباء المجلد الثانى، الجزء 4 ص 433 و الإتقان ج 1 ص 78 و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص 56 و 57 و راجع ص 55 عن بعض من تقدم، و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 95 و عمده للقارئ ج 5 ص 292 و نصب الرايه ج 1 ص 327 و المستصفى ج 1 ص 103 و فواتح الرحموت بهامشه ج 2 ص 14 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 34 و التفسير الكبير ج 1 ص 208 و غرائب القرآن، بهامش الطبرى ج 1 ص 77 و المصنف للصنعانى ج 2 ص 92 و مجمع الزوائد ج 6 ص 310 و ج 2 ص 109 عن أبى داود و البزار و كنز العمال ج 2 ص 368 عن الدار قطنى فى الافراد و التمهيد فى علوم القرآن ج 1 ص 212 عن الحاكم و اليعقوبى، و سنن أبى داود ج 1 ص 209 و المنتقى ج 1 ص 380 و تبيين الحقائق ج 1 ص 113 و كشف الأستار ج 3 ص 40 و مشكل الآثار ج 2 ص 153 و تفسير العياشى ج 1 ص 19 و عنه فى التمهيد فى علوم القرآن ج 1 ص 212 و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص 56 و مصباح الفقيه [كتاب الصلاه] ص 276 و الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 95.

و حتی لو قلنا بما یقوله أولئک الناس: من أنه (صلی اللّه علیه و آله) کان یقول: ضعوا هذه الآیه فی مکان کذا من سوره کذا (1)، فإننا لا نری مبررا

1- الجامع الصحیح للترمذی ج 5 ص 272 و تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 43 و الإتقان ج 1 ص 62 و البرهان للزرکشی ج 1 ص 241 عن الترمذی، و الحاکم. و التمهید ج 1 ص 213 و تاریخ القرآن للصغیر ص 81 عن: مدخل إلی القرآن الکریم لدراز ص 34. لکن فی غرائب القرآن للنیسابوری، بهامش جامع البیان للطبری ج 1 ص 24 و مناهل العرفان ج 1 ص 240 هکذا: (ضعوا هذه السوره فی الموضع الذی یذکر فیه کذا). و مستدرک الحاکم ج 2 ص 330 و 221 و تلخیصه للذهبی بهامشه و غریب الحدیث ج 4 ص 104، و البرهان للزرکشی ج 1 ص 234 و 235 و راجع ص 61 و غرائب القرآن بهامش جامع البیان ج 1 ص 24 و فتح الباری ج 9 ص 19 و 20 و 39 و 38، و کنز العمال ج 2 ص 367 عن أبی عبید فی فضائله، و ابن أبی شیبه، و أحمد، و أبی داود، و الترمذی، و ابن المنذر، و ابن أبی داود، و ابن الأنباری معا فی المصاحف، و النحاس فی ناسخه، و ابن حبان، و أبی نعیم فی المعرفه، و الحاکم و سعید بن منصور، و النسائی، و البیهقی، و فواتح الرحموت بهامش المستصفی ج 2 ص 12 عن بعض من ذکر، و الدر المنثور ج 3 ص 207 و 208 عن بعض من ذکر، و عن أبی الشیخ، و ابن مردویه و مشکل الآثار ج 2 ص 152 و البیان ص 268 عن بعض من تقدم، و عن الضیاء فی المختاره، و منتخب کنز العمال بهامش مسند أحمد ج 2 ص 48 و راجع: بحوث فی تاریخ القرآن و علومه ص 103 و مناهل العرفان ج 1 ص 347 و مباحث فی علوم القرآن ص 142 عن بعض من تقدم، و تاریخ القرآن للصغیر ص 92 عن أبی شامه فی المرشد الوجیز .. و جواهر الأخبار و الآثار بهامش البحر الزخار ج 2 ص 245 عن أبی داود و الترمذی و سنن أبی داود ج 1 ص 209 و السنن الکبری للبیهقی ج 2 ص 42 و أحکام القرآن للجصاص ج 1 ص 10 و مسند أحمد ج 1 ص 57 و 69.

لبقاء هذه الآيات معلقه فى الهواء، فى حين أن عشرات السور تنزل عليه، ثم بعد عشرين سنه تنزل آيه أو أكثر، فيقول: ضعوها فى السوره الفلانيه فى الموضع الفلانى.

خامسا: ما هى خصوصيه الصنم الذى كان على المروه حتى تطلب قريش من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يتركه؟! و لماذا لم تطلب منه أن يترک لها هبلا أو غيره مما هو بنظرها أهم و أعظم من سائر الأصنام؟!

صنم لكل قبيله، و حىّ، و بيت!!:

و قد صرحت الروايات: بأن ثلاث مائه و ستين صنما كانت موجوده فى المسجد الحرام، و بأنه كان لكل قبيله و لكل حى صنم، بل كان فى كل بيت صنم أيضا.

و قد نعى اللّه تعالى على لسان يوسف (عليه السلام) على المشركين هذا الأمر بالذات، فقال: .. أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (1).

و للعلامه الطباطبائى رحمه اللّه إشارات لطيفه فى معنى هذه الآيه، لا بأس بمراجعتها (2).

و نكتفى هنا بالقول: بأن هناک أمورا ثلاثه وقع فيها أولئک الناس، لا يقبلها عقل، و لا ترضاها فطره، و هى:

1- عباده غير اللّه من مخلوقات اللّه تعالى العاقله، ممن لا يملک لنفسه نفعا و لا ضرا، مثل البشر، و الملائكه و الجن ..

1- الآيه 39 من سوره يوسف.
2- الميزان (تفسير) ج 11 ص 175- 178.

2- عباده الأحجار، و الأشجار، و سواها مما لا يعقل، و لا يبصر و لا يسمع، و لا يضر، و لا ينفع.

3- التعدد و التفرق فى الأرباب. فإن تفرق الأرباب يعنى:

أولا: إما اعتقادهم لجامعيه كل واحد منها لصفات الألوهيه غير المحدوده و المطلقه فى كل شى ء .. فيصبح تعددها عبثا مع نشوء أسئله كثيره عن حالها لو تعارضت إراداتها فيما بينها فى جميع أنحاء التصرفات، و أسئله عن وحده إدراكها للمصالح أو المفاسد، و عن شمول قدرتها على التصرف بكل شى ء، حتى فى موارد تعلق إرادات الأرباب الأخرى أيضا، بل هناک أسئله عن حالها، لو تعلقت إرادتها بإلغاء سائر الأرباب.

ثانيا: و إما اعتقاد إطلاق القدره و سائر صفات الألوهيه فى رب واحد، أو أرباب بعينها، و عدم صلاحيه ما عداه أو ما عداها، بسبب ما تعانيه- بنظره- من نقص و عجز، و جهل، و فقر، و ما إلى ذلک ..

و هذا يعنى: أن يكون لكل واحد رب يخصه، ثم هو ينكر ما عداه؛ فهو لا يعترف بأرباب سائر القبائل، و لا بالأرباب التى يعبدها سائر الناس فى بيوتهم، و أحيائهم، و بلادهم. و بذلک تصبح نفس تلک الأرباب سببا للضعف، و التفرّق، و التلاشى، و التمزق للوحده الإجتماعيه، و ماده للخلاف، و التناحر، و التباين، و التدابر فيما بين الناس.

كف حصى يرمى به الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و عن أخذ النبى (صلى اللّه عليه و آله) كفا من حصى، ثم رميه له باتجاه الأصنام، و قراءته الآيه الشريفه نقول:

إن هذا الفعل يختزن التعبير عن رفض الباطل عملا، فضلا عن القول، و قد كان رمى الجمرات فى منى يعطى معنى رفض الباطل عملا، فضلا عن القول بالإضافه إلى دلالات أخرى لا مجال لشرحها الآن، غير أن الناس استمروا على تداول هذه الطريقه للتعبير عن هذا المعنى فى مواقفهم الرافضه لأقوال أو أفعال بعينها ..

غير أن ما يميز هذه الواقعه هو:

أولا: أنها قد صدرت من نبى كريم، شأنه هدايه البشر إلى ما يرضى اللّه تبارک و تعالى.

ثانيا: إن رمى هذه الحصيات قد رافقه ظهور المعجزه، و هو أن تلک الأصنام قد خرت لوجهها.

ثالثا: إنه رمى يتجاوز مجرد إعلان الرفض و الإدانه إلى كونه إظهارا و تجسيدا لانتصار الحق، و زهوق الباطل، بصوره حقيقيه، و واقعيه، و عمليه.

رابعا: إن هذه الواقعه قد بينت مدى معاناه هذا النبى الكريم و العظيم (صلى اللّه عليه و آله) مع قومه، الذين لم تنفع جميع تلک الآيات و المعجزات فى ردعهم عن جحودهم، و عن تعمد الإفتراء و التجنى، و الإتهام له بالسحر، و الكهانه، و الشعر، و بغير ذلک مما هم على يقين من زيفه و بطلانه ..

كما أن كل ما عاينوه من ألطاف و تأييدات إلهيه لهذا النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، و انتصارات له تصل إلى حد الإعجاز لم يستطع أن يردعهم عن غيهم، و عن تعمد الباطل فى حقه.

فهم حتى حين يرون بأم أعينهم كيف تتبخر آخر آمالهم، و تتلاشى حتى أضغاث أحلامهم، و يرون الكرامه تلو الكرامه، و المعجزه إثر

المعجزه، و يسقط من يدهم آخر حجر، و ينمحى عن صفحه الواقع العملى للشرک آخر أثر .. ما فتئوا يقولون: ما رأينا أسحر من محمد!!

فهل ترى قوما أسوأ رأيا و محضرا منهم؟! و هل هناک أصبر من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

على عليه السّلام يكسر أصنام الكعبه:

قال الصالحى الشامى: عن على (عليه السلام) قال: انطلق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى أتى بى الكعبه، فقال: (اجلس)، فجلست بجنب الكعبه، فصعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على منكبى، فقال:

(انهض)، فنهضت، فلما رأى ضعفى تحته قال: (اجلس)، فجلست.

ثم قال: (يا على، اصعد على منكبى)، ففعلت، فلما نهض بى خيّل إلى لو شئت نلت أفق السماء.

فصعدت فوق الكعبه، و تنحى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال:

(ألق صنمهم الأكبر)، (و فى نص آخر: لما ألقى الأصنام، لم يبق إلا صنم خزاعه) و كان من نحاس موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (عالجه)، و يقول لى: (إيه إيه) جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً.

فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

زاد فى سائر المصادر قوله:

حتى إذا استمكنت منه، قال لى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير. ثم نزلت، فانطلقت أنا و رسول

اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشيه أن يرانا أحد من الناس، أو من قريش (1).

قال الحاكم: فما صعدت حتى الساعه (2).

و قيل: إن هذا الصنم كان من قوارير صفر، و قيل: من نحاس (3).

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعلى (عليه السلام): ارم به، فحمله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى صعد فرمى به فكسره،

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 236 عن ابن أبى شيبه، و الحاكم، و تاريخ الخميس ج 2 ص 86 و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص 429 و التبصره لابن الجوزى ص 442 و مناقب الأخيار ص 3 و مسند أحمد ج 1 ص 84 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 5 و ج 2 ص 367 و تلخيص المستدرک بهامشه، و المصنف لابن أبى شيبه ج 14 ص 488 و نظم درر السمطين ص 125 و السيره الحلبيه ج 3 ص 86 عن خصائص العشره للزمخشرى و بدايع الأمثال ص 148 و ينابيع الموده ص 139 و 420 و راجع: و تاريخ بغداد ج 13 ص 302 و المناقب للخوارزمى ص 73 و خصائص الإمام على (عليه السلام) للنسائى (ط التقدم بمصر) ص 31 و صفه الصفوه ج 1 ص 119 و تذكره الخواص ص 31 و مجمع الزوائد ج 6 ص 24 و مفتاح النجا ص 27 و ذخائر العقبى (ط مكتبه القدس) ص 85 و منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج 5 ص 54 و فرائد السمطين، و تفريح الأحباب ص 316 و بذل القوه للسندى الحنفى ص 224 و كنز العمال (ط حيدرآباد) ج 5 ص 151 و غاليه المواعظ ج 2 ص 88.
2- مستدرک الحاكم ج 2 ص 367 و تاريخ الخميس ج 2 ص 86 عن الطبرانى، و أحمد، و الترمذى، و الصالحانى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 86.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 86 و تاريخ الخميس ج 2 ص 86.

فجعل أهل مكه يتعجبون، و يقولون: ما رأينا أسحر من محمد (1).

(ثم إن عليا (عليه السلام) أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدبا و شفقه على النبى (صلى اللّه عليه و آله).

و لما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن تبسمه.

فقال لأنى ألقيت نفسى من هذا المكان الرفيع، و ما أصابنى ألم.

قال: كيف يصيبک ألم و قد رفعک محمد، و أنزلک جبريل)؟! (2).

و فى نص آخر: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان بمنزل خديجه، فدعا عليا (عليه السلام) فى إحدى الليالى، فذهبا إلى الكعبه فكسرا الأصنام، فلما أصبح أهل مكه قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ الخ .. (3).

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: يا على، اصعد على منكبى، و اهدم الصنم.

فقال: يا رسول اللّه، بل اصعد أنت، فإنى أكرمک أن أعلوک.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): إنک لا تستطيع حمل ثقل النبوه، فاصعد أنت ..

إلى أن قال: ثم نهض به.

قال على (عليه السلام): فلما نهض بى، فصعدت فوق ظهر الكعبه

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 86 و تاريخ الخميس ج 2 ص 86.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 86 عن الزرندى، و الصالحانى، و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص 202.
3- إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 689.

الخ .. (1).

و جاء فی نص آخر قوله (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): لو أن ربیعه و مضر جهدوا أن یحملوا منی بضعه و أنا حی ما قدروا، و لکن قف یا علی، فضرب بیده إلی ساقیه، فرفعه حتی تبین بیاض إبطیه، ثم قال: ما تری یا علی؟

قال: أری أن اللّه قد شرفنی بک، حتی لو أردت أن أمس السماء لمسستها الخ .. (2).

و فی نص آخر: قال علی (علیه السلام): أرانی کأن الحجب قد ارتفعت، و یخیل إلیّ أنی لو شئت لنلت أفق السماء.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): طوبی لک تعمل للحق، و طوبی لی أحمل للحق (3).

علی علیه السّلام یکسر الأصنام:

و قال بعض الشعراء، و قد نسب القندوزی الحنفی هذا الشعر إلی الإمام الشافعی، و نسبه عطاء اللّه بن فضل اللّه الحسینی الهروی فی الأربعین إلی حسان بن ثابت:

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 86.
2- المناقب لابن المغازلی ص 202 و المناقب المرتضویه ص 188 و البحار ج 38 ص 86 و کشف الیقین ص 447 و الطرائف ص 80 و العمده لابن البطریق ص 364 و 365.
3- تاریخ الخمیس ج 2 ص 86 و إحقاق الحق (الملحقات) ج 18 ص 162.

قيل لى قل فى علىّ مدحاذكره يخمد نارا مؤصده

قلت لا أقدم فى مدح امرئ ضل ذو اللب إلى أن عبده

و النبى المصطفى قال لناليله المعراج لما صعده

وضع اللّه بظهرى يده فأحسّ القلب أن قد برده

و على واضع أقدامه فى محل وضع اللّه يده (1)

و فى حديث يزيد بن قعنب عن فاطمه بنت أسد: أنها لما ولد على (عليه السلام) فى جوف الكعبه، و ارادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمه سميه عليا، فهو على ..

إلى أن قال عن على (عليه السلام): و هو الذى يكسر الأصنام، و هو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى الخ .. (2).

و فى بعض المصادر: أنه (عليه السلام) جمع الحطب، و أوقد نارا، ثم وضع قدمه على عضد النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و صار يأخذ الأصنام عن جدار الكعبه، و يلقيها فى النار (3).

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 87 و ينابيع الموده (ط إسلامبول) ص 139 و إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 683 و ج 18 ص 163.
2- إحقاق الحق (الملحقات) ج 5 ص 57 عن بشائر المصطفى، و عن تجهيز الجيش للدهلوى العظيم آبادى.
3- أنيس الجليس للسيوطى (ط سنه 1291 ه) ص 148 و إحقاق الحق (الملحقات) ج 18 ص 167.

و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمه وقفات، و محاكمات هى التاليه:

تحطيم الأصنام قبل الهجره، و يوم الفتح:

و رد فى الروايه الأولى المتقدمه عن على (عليه السلام): أنه بعد أن ذكر تكسير الأصنام، قال:

و نزلت من فوق الكعبه، و انطلقت أنا و النبى (صلى اللّه عليه و آله) نسعى حتى تواريا بالبيوت، و خشينا أن يرانا أحد من قريش، أو من الناس (1).

قال الحلبى الشافعى: (و هذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكه، فليتأمل) (2).

و نقول:

و هى ملاحظه صحيحه، فإن هذه الروايه تتحدث عن تحطيم الأصنام قبل الهجره إلى المدينه، و أنه (صلى اللّه عليه و آله) انطلق إليها من منزل خديجه، كما فى بعض الروايات، و هذا معناه:

أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) و عليا (عليه السلام) قد حطما الأصنام مرتين:

الأولى: فى مكه، و بصوره سريه، كما فعل إبراهيم الخليل (عليه السلام) بأصنام قومه الذين قالوا: من فعل هذا بآلهتنا .. و كذلك قال المكيون، فاستحق على (عليه السلام) بذلك أن يقول فى حقه النبى (صلى اللّه عليه

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 86.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 86.

و آله): إنه أول من حطم الأصنام بعد إبراهيم الخليل (عليه السلام).

و الثانيه: فى فتح مكه، أمام أعين مشركى مكه أنفسهم.

و لعل الرواه قد خلطوا بين الواقعتين .. و الأمر فى ذلک سهل.

لماذا التعرض للأصنام سرا؟!

و يرد سؤال: لماذا يتعرض النبى (صلى اللّه عليه و آله) للأصنام سرا قبل الهجره؟ مع علمه بأن ذلک لا يرغم أهل مكه على تغيير موقفهم، بل قد يزيدهم ذلک إصرارا على غيهم، و على مناصره أصنامهم، و التشدد فى المحافظه عليها.

و يمكن أن يجاب: بأن المقصود: هو تقديم العبره لهم بصوره عمليه، و إقامه الحجه عليهم بها، ليحيا من حيى عن بينه، و يهلک من هلک عن بينه .. و لعله يكون من بينهم من يستفيق من سكرته، و يثوب إلى رشده، فيدرک عجز تلک الأصنام عن الدفاع عن نفسها، فكيف تتمكن من الدفع عن غيرها؟!

فما يدّعى لها من قدرات و آثار، ما هى إلا مزاعم ليس فقط لا تستند إلى برهان، بل لقد أثبت البرهان بوارها و بطلانها.

و هذا البرهان و الحجه ليس مجرد معادله ذهنيه، و افتراضات تجريديه، بل هو عمل جوارحى، و فعل مباشر يستهدف الأصنام نفسها .. و لا يستهدف غيرها، ليقال لعلها لم تنتصر له، لأنها كانت غاضبه عليه، فتركته نهبا للبلاء، و حجبت رعايتها له، و لطفها به.

و هذا هو نفس الدرس الذى أراد إبراهيم (عليه السلام) أن يلقنه

لقومه حين حطم أصنامهم.

و قد جاءت كلمه قوم إبراهيم (عليه السلام): (من فعل هذا بآلهتنا)؟

متوافقه مع قول أهل مكه .. و هى كلمه مهمه، لأنها تتضمن اعترافا بوجود من هو أقوى من هذه الآلهه، و إقرارا بعجزها عن منعه من إلحاق الأذى بها، و حاجتها إلى غيرها ليحميها منه.

و بما أن عمل هذا القوى قد كان بصوره سريه، فذلک يعنى: أنه يتجنب الاصطدام بالناس العاديين، و هذا يدل على: أن قدراته ليست ذاتيه و لا مطلقه، فهو إذن ليس من جنس الآلهه، لكى يلتمس لها بعض العذر فى عجزها عن مواجهته و ردعه.

على عليه السّلام ينوء بثقل النبوه:

تقدم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى طلب من على (عليه السلام) أن يجلس، ليصعد (صلى اللّه عليه و آله) على ظهره .. و إذ به (عليه السلام) ينوء بثقل النبوه ..

و هنا سؤلان:

أولهما: ألم يكن النبى (صلى اللّه عليه و آله) يعلم بأن للنبوه ثقلا ينوء به على (عليه السلام)؟! فإن كان يعلم بذلک، فما هى الحكمه فى أن يطلب منه على (عليه السلام) أن يجلس أولا، ليصعد هو على ظهره؟!

ثانيهما: هل للنبوه ثقل؟! و ما هو نوعه، و حقيقته؟! و هل هو ثقل مادى كسائر الأثقال؟!

و نقول فی الجواب علی السؤال الأول:

إننا ننزه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عن أن ینسب إلیه عدم المعرفه بأن للنبوه ثقلا ینوء به علی (علیه السلام) .. و لذلک نرجح الروایات الأخری التی صرحت: بأن علیا (علیه السلام) آثر أن یصعد النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی ظهره، لأنه یجل النبی و یکرمه عن أن یصعد هو علی ظهره، فأخبره (صلی اللّه علیه و آله) بأن ثقل النبوه یمنع من ذلک.

غیر أن ذلک لا یمنعنا من أن نقول أیضا:

إن علیا (علیه السلام) کان یعلم بأن للنبوه ثقلا ینوء به مثله. و لعله أراد من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یصرّح بذلک، لیعلم الناس: أن صعوده علی ظهر النبی (صلی اللّه علیه و آله)، لا یتنافی مع إجلاله و تعظیمه له ..

أو لعله نظر إلی قانون البداء، الذی ربما یکون له تأثیره فی مثل هذا المورد، فی صوره حدوث أمر یقتضی إظهار معنی فی علی (علیه السلام)، أو فی النبی (صلی اللّه علیه و آله)، أو فی سیاق آخر، فینشأ عنه تمکین علی (علیه السلام) من القیام بثقل النبوه، أو یقضی بتخفیف ذلک الثقل، بحیث یتمکن علی (علیه السلام) من النهوض به.

و أما بالنسبه للسؤال الثانی، فنقول:

إنه لیس بإمکاننا تحدید ماهیه هذا الثقل، غیر أننا نقول:

لا ریب فی أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) یرکب الراحله، و البغله، و الفرس، و غیرها، و لکنه یعلن: أنه لو اجتمعت ربیعه و مضر علی أن یحملوا بضعه منه و هو حی لما قدروا علی ذلک.

و هذا معناه: أن للنبوه فی مضمونها المعنوی خصوصیه تحتم التدخل

الإلهى فى قدره البشر، لتعجزهم عن حمل النبى (صلى اللّه عليه و آله)، لأن ذلک قد يثير خطرات تسى ء إلى معنى النبوه، و نحن و إن ننزه عليا (عليه السلام) عن مثل هذه الخطرات، لأنه نفس النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى طهره و صفائه .. و لكننا لا نستطيع أن ننزه عنها غير على (عليه السلام) ممن رأوا ذلک و سمعوه.

هل خيّل إلى على عليه السّلام؟!:

إن التخييل لعلى (عليه السلام) هو إراءته عين الواقع، فلا تخييل للإمام المعصوم خارج دائره إراءه الحقائق، فالتعبير بكلمه (خيل إلىّ) إن كان يراد به الرفق ببعض ضعفاء النفوس، الذين قد لا يتمكنون من فهم الأمور بصوره معقوله و مقبوله، فهو مقبول .. و إن كان الأمر على خلاف ذلک، فلا بد من الإعراض عن هذه الروايه و الأخذ بالروايات التى استبعدت كلمه (خيل إلىّ)، و ذكرت أنه لو أراد أن ينال السماء لنالها، و قد تقدمت.

و مما يشير إلى أن القضيه حقيقيه، و ليست مجرد تخييل قول النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام): (رفعک محمد، و أنزلک جبريل)، فإن من يكون هذا حاله، لو أراد أن ينال السماء لنالها، من دون شک و لا شبهه.

تعمل للحق، و أحمل للحق:

و حين قال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام): طوبى لک تعمل للحق، و طوبى لى أحمل للحق .. فإنه يكون قد أوضح لكل قريب و بعيد: أن مباشره تحطيم الأصنام لم يكن عملا أملته روح التشفى

و الإنتقام، أو دعته إليه الرغبه فى جمع كل ثمرات الإنتصار، و الحرص على الإمساک بجميع خيوط المجد و الفخار ..

و إنما أملاه عليه واجب الدين و الحق، و الإخلاص للّه تعالى.

لماذا لم يباشر النبى صلّى اللّه عليه و آله تحطيم الأصنام؟!:

ثم إن ما يدعو إلى التأمل هنا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) تولى بنفسه مع أخيه على (عليه السلام) هذا العمل مع أنه كان من الممكن أن يوكل هذا الأمر إلى بعض من كان معه من المسلمين .. فلما ذا كان ذلک؟ و ما الحكمه فيه؟!.

و نقول:

لعل نفس مبادره نبى اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و وصيه (عليه السلام) إلى تحطيم مظاهر الشرک فى بيت اللّه تعالى، يقطع الطريق على أى تأويل أو اتهام لأحد فى أن يكون هو الذى بادر إلى تحطيم الأصنام، أو أنه بالغ و تجاوز الحد فى إجراء التوجيهات التى صدرت له من قبله (صلى اللّه عليه و آله) بشأنها ..

و قد يدّعى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يتخذ موقفا حادا منها، و إنما كان كل همه هو التسلط على مكه، و قهر قريش، و كسر عنفوانها. و لعله كان لا يمانع فى أن يعتقد الناس بأنها تقرب إلى اللّه زلفى.

أو لا يمانع فى اقتنائها للذكرى، أو لأى سبب آخر.

فجاءت مبادرته لتحطيمها بنفسه، لتدل على أن وجودها كله مبغوض للّه تبارک و تعالى، و لا يجوز الاحتفاظ بها تحت أى عنوان من العناوين.

لو نزع دلوا من زمزم:

و أما ما ينسب إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) من أنه قال: لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقايتهم) لنزعت منها دلوا .. فهو غير ظاهر المعنى.

فأولا: إن مجرد أن ينزع النبى (صلى اللّه عليه و آله) دلوا من ماء لا يوجب نزع السقايه من بنى عبد المطلب، و لا أن تصبح الأمور على درجه الفلتان و التسيب، بحيث يغلبون على سقايتهم.

و يجاب عن ذلک: بما قاله بعض الإخوه من أنه يحتمل أن يتخذ المسلمون من عمل النبى (صلى اللّه عليه و آله) سنه، فينتزع من يشاء منهم دلوا منها، أو دلاء، فتذهب السقايه من أربابها.

ثانيا: قد يقال: لو أوجب نزع الدلو من زمزم ذلک لكان أخذ المفتاح من بنى شيبه- سواء أخذ بالقوه، أو بالحسنى- يوجب نزع حجابه البيت منهم ..

فإن كان (صلى اللّه عليه و آله) قد عالج ذلک بإعلانه أن الحجابه لبنى شيبه، و أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ المفتاح منهم .. فإنه يمكنه أن يعالج أمر زمزم بنفس الطريقه، فينزع دلوا من زمزم، ثم يعلن عدم جواز مزاحمه بنى عبد المطلب فى أمر السقايه ..

إلا أن يقال: إن ثمه فرقا بين الأمرين، فإن أخذه (صلى اللّه عليه و آله) لمفتاح الكعبه معناه: إرجاع أمر ولايه الكعبه إلى صاحبها الحقيقى، و الاعتراف بولايته على الكعبه معناه: الإعتراف بولايته على كل ما عداها.

لأنها تمثل محوريه لا مجال لإنكارها فى هذا الأمر. فاقتضت المصلحه أن

يتعامل مع بنى شيبه بهذه الطريقه.

و ليس الأمر فى السقايه من زمزم بهذه المثابه ..

و لأجل ذلک لم يكن من المصلحه أن يكتفى بالطلب إلى حامل المفتاح أن يفتحه له .. بل كانت المصلحه فى أخذ المفتاح منه، ثم يكون هو الذى يعطيه إياه بنحو تكون شرعيه حجابته للكعبه مستنده إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دون سواه.

على أن فرقا آخر بين الحجابه و السقايه، و هو: أنه لا يمكن التعدى على موضوع الحجابه، و لا مجال لغلبه الناس عليها، لأنها مرهونه بمفتاح الكعبه، الذى يكون لدى شخص بعينه، أما السقايه، فيمكن لكل أحد أن يستقى من بئر زمزم، فيمكن الغلبه على الماء.

النداء بتكسير الأصنام فى البيوت:

قالوا: و لم يكن رجل من قريش فى مكه إلا و فى بيته صنم، إذا دخل مسحه، و إذا خرج مسحه تبركا به (1).

و قالوا: و نادى منادى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بمكه: من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فلا يدعن فى بيته صنما إلا كسره أو حرقه (2).

قال: فجعل المسلمون يكسرون تلک الأصنام.

و كان عكرمه بن أبى جهل لا يسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 870 و 871.
2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ق 1 ص 99 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 248 و السيره الحلبيه ج 3 ص 103 و المغازى للواقدى ج 2 ص 870 و 871.

مشى إليه حتى يكسره. و كان أبو تجراه يعملها فى الجاهليه و يبيعها (1).

عكرمه يكسر الأصنام:

و نقول:

إن ما زعموه من أن عكرمه كان يكسر الأصنام فى بيوت مكه يثير لدى الباحث أكثر من سؤال حول ما إذا كان هذا الرجل، الذى يزعمون أنه قاتل المسلمين يوم الفتح، و فر من المعركه، مخلصا فى فعله هذا أو أنه يتزلف للمسلمين به، و يخطط للوصول إلى منافع و الحصول على امتيازات يطمح إليها .. و هذا هو الأقرب إلى الاعتبار، إذ كيف انقلب هذا المقاتل للدين و لأهله بين لحظه و أخرى إلى ولى حميم، و متحمس صارم و حازم إلى هذا الحد؟!

1- راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 870 و 871.

الفصل السابع: النبی صلّی اللّه علیه و آله فی داخل الکعبه

اشاره

مفتاح الكعبه مع النبى صلّى اللّه عليه و آله:

عن أبى هريره، و علقمه بن أبى وقاص الليثى، و محمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض، قال عبد اللّه: كان عثمان بن طلحه قد قدم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالمدينه مسلما مع خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص قبل الفتح (1).

فلما فرغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من طوافه أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحه يأتيه بمفتاح الكعبه، فجاء بلال إلى عثمان، فقال: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يأمرک أن تأتى بالمفتاح (2).

فقال: نعم، هو عند أمى سلافه.

فرجع بلال إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأخبره أنه قال: نعم، و أن المفتاح عند أمه.

فبعث إليها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رسولا فجاء، فقالت: لا،

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 834 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 236 عن الواقدى و ابن أبى شيبه.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 236 عن الواقدى، و ابن أبى شيبه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 86.

و اللات و العزى، لا أدفعه إليک أبدا.

فقال عثمان: يا رسول اللّه، أرسلنى أخلصه لک منها، فأرسله، فقال:

يا أمّه ادفعى إلىّ المفتاح، فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أرسل إلىّ، و أمرنى أن آتيه به.

فقالت أمه: لا. و اللات و العزى، لا أدفعه إليک أبدا.

فقال: لا لات و لا عزى، إنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه، و إنک إن لم تفعلى قتلت أنا و أخى، فأنت قتلتنا. فو اللّه لتدفعنّه، أو ليأتين غيرى فيأخذه منک، فأدخلته فى حجزتها (1)، و قالت: أى رجل يدخل يده ههنا؟ (2).

و قالت له: أنشدک اللّه أن يكون ذهاب مأثره قومک على يديک (3).

قال الزهرى: فأبطأ عثمان و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قائم ينتظره، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق، و يقول: (ما يحبسه فيسعى إليه رجل) انتهى.

فبينما هما على ذلک و هو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر و عمر فى الدار، و عمر رافع صوته حين أبطأ عثمان: يا عثمان اخرج.

فقالت أمه: يا بنى خذ المفتاح، فإن تأخذه أنت أحب إلىّ من أن يأخذه تيم و عدى.

فأخذه عثمان، فخرج يمشى به حتى إذا كان قريبا من وجه رسول اللّه

1- الحجزه: موضع شد الإزار من الوسط.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 236 و 237 عن الواقدى و ابن أبى شيبه، و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 98 و المغازى للواقدى ج 3 ص 833.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 98.

(صلى اللّه عليه و آله) عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى المفتاح فحنى عليه بثوبه (1).

و عند الواقدى: أن عثمان جاء بالمفتاح إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فناوله إياه (2).

و عن ابن عمر: أن بنى أبى طلحه كانوا يقولون: لا (يستطيع أن) يفتح الكعبه إلا هم، فتناول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المفتاح، ففتح الكعبه بيده (3).

مفتاح الكعبه أخذ قهرا:

و روى بسند جيد عن أبى السفر، قال: لما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه دعا شيبه بن عثمان بالمفتاح- مفتاح الكعبه- فتلكأ، فقال لعمر: (قم فاذهب معه، فإن جاء به و إلا فاجلد رأسه).

فجاء به فأجاله فى حجره (4).

و قال أبان: و حدّثنى بشير النبال، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال:

لما كان فتح مكه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (عند من المفتاح)؟

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 237 عن عبد الرزاق و الطبرانى، و فى هامشه عن: أبى داود (2027)، و عن المطالب العاليه (4364). و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 98 و 99 و المغازى للواقدى ج 2 ص 833.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 833.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 237 عن الفاكهى، و تاريخ الخميس ج 2 ص 88.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 237 عن ابن أبى شيبه.

قالوا: عند أم شيبه.

فدعا شيبه، فقال: (اذهب إلى أمک، فقل لها: ترسل بالمفتاح).

فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا و تريد أن تأخذ منا مکرمتنا؟

فقال: لترسلنّ به أو لأقتلنک، فوضعته فی يد الغلام، فأخذه. و دعا عمر، فقال له: (هذا تأويل رؤياى من قبل).

ثم قام (صلى اللّه عليه و آله) ففتحه و ستره، فمن يومئذ يستر، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح، و قال: رده إلى أمک (1).

و فی نص آخر: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعث عليا (عليه السلام) إلى عثمان بن طلحه، فأبى أن يدفع المفتاح إليه، و قال: لو علمت أنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم أمنعه منه، فصعد إلى السطح، فتبعه علىّ (عليه السلام) و لوى يده، و أخذ المفتاح منه قهرا، و فتح الباب (2).

فلما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (3). أمره (صلى اللّه عليه و آله) أن يدفع المفتاح إليه، متلطفا به، (و يعتذر إليه. و قال له: قل له: خذوها يا بنى طلحه بأمنه اللّه، فاعملوا فيها بالمعروف، خالده تالده الخ ..) (4).

فجاء على (عليه السلام) بالمفتاح متلطفا، فقال له: أكرهت و آذيت، ثم جئت ترفق؟!

1- البحار ج 21 ص 132 عن إعلام الورى.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 87 و 88 و السيره الحلبيه ج 3 ص 98.
3- الآيه 58 من سوره النساء.
4- راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 88.

فقال (علیه السلام): لأن اللّه أمرنا بردها علیک.

فأسلم، فأقره النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی یده (1).

و فی نص آخر: أنه بعد أن أخذ علی (علیه السلام) المفتاح قهرا، و دخل النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الکعبه، فصلی رکعتین ثم خرج. سأله العباس أن یعطیه المفتاح، فنزلت الآیه: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها .. (2).

و ستأتی روایات أخری حول نزول هذه الآیه فی بنی شیبه، و ذلک حین الحدیث عن إعطائهم حجابه البیت و مفتاح الکعبه، و ذلک بعد خطبه النبی (صلی اللّه علیه و آله) علی باب الکعبه، فانتظر ..

إزاله الصور و التماثیل من داخل الکعبه:

روی: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) دخل البیت فی فتح مکه، و لم یدخله فی حج و لا عمره. و دخل وقت الظهر (3).

و فی حدیث صفیه بنت شیبه: وجد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی

1- راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 98 و البحار ج 21 ص 116 و 117 عن مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 404 و 405.
2- البحار ج 21 ص 116 و 117 عن مناقب آل أبی طالب ج 1 ص 404 و 405.
3- راجع: البحار ج 21 ص 136 و 132 و 133 و فی هوامشه عن تهذیب الأحکام للطوسی ج 1 ص 245 و عن المناقب لابن شهر آشوب، و إعلام الوری، و راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 83.

البیت حمامه من عیدان، فکسرها بیده، ثم طرحها (1).

و فی حدیث جابر: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما دخل البیت رأی فیه تمثال إبراهیم، و إسماعیل، و إسحاق. و قد جعلوا فی ید إبراهیم الأزلام یستقسم بها، فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (قاتلهم اللّه، لقد علموا ما کان إبراهیم یستقسم بالأزلام).

ثم دعا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بزعفران فلطخه بتلک التماثیل (2).

و رووا: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أمر عمر بن الخطاب- و هو بالبطحاء- أن یأتی الکعبه فیمحو کل صوره فیها، فلم یدخلها حتی محیت الصور، و کان عمر قد ترک صوره إبراهیم.

فلما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) رأی صوره إبراهیم (و عند الدیار بکری: رأی فیها صور الملائکه، و غیرهم، فرأی إبراهیم مصورا فی یده الأزلام یستقسم بها)، فقال: (یا عمر، ألم آمرک ألا تدع فیها صوره؟

قاتلهم اللّه، جعلوه شیخا یستقسم بالأزلام).

زاد الحلبی و غیره قوله: ما کانَ إِبْراهِیمُ یَهُودِیًّا وَ لا نَصْرانِیًّا وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (3)، ثم أمر بتلک الصور

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 239 عن ابن إسحاق، و السیره الحلبیه ج 3 ص 87 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 84.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 239 و السیره الحلبیه ج 3 ص 87 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 86.
3- الآیه 67 من سوره آل عمران.

فطمست (1).

ثم رأى صوره مريم، فقال: (امسحوا ما فيها من الصور، قاتل اللّه قوما يصورون ما لا يخلقون) (2).

و حسب نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) رأى الصور و هى صور الملائكه، و صور إبراهيم و إسماعيل فى أيديهما الأزلام يستقسمان بها، أى و إسحاق، و بقيه الأنبياء، و صوره مريم، فقال: (قاتل اللّه قوما يصورون ما لا يخلقون، قاتلهم اللّه، لقد علموا أنهما لم يستقسما بالأزلام قط) (3).

و عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- و عن عكرمه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما قدم مكه أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهه، يعنى الأصنام، فأمر بها فأخرجت: صوره إبراهيم، و إسماعيل فى أيديهما الأزلام، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (قاتلهم اللّه لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط).

زاد ابن أبى شيبه: ثم أمر بثوب فبلّ و محا به صورهما (4).

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 87 و تاريخ الخميس ج 2 ص 85.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 237 و 238 عن أبى داود، و ابن سعد، و الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 86 و 87 و راجع: قرب الإسناد ص 61 و البحار ج 21 ص 111.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 87.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 238 عن البخارى و ابن أبى شيبه و فى هامشه عن: البخارى (3352) و مسند أحمد ج 1 ص 365 و عن المصنف لابن أبى شيبه ج 14 ص 487 و دلائل النبوه للبيهقى ج 5 ص 73 و البحار ج 21 ص 106 و تاريخ الخميس ج 2 ص 56.

و عن أسامه بن زيد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دعا بدلو من ماء فضرب به الصور (1).

و فى نص آخر: أن الذى جاء بذنوب (2) الماء هو الفضل بن العباس، و أنه جاء به من زمزم، فطمس به الصور (3).

و عن ابن عمر: أن المسلمين تجردوا فى الأزر و أخذوا الدلاء، و انجروا على زمزم يغسلون الكعبه ظهرها و بطنها، فلم يدعوا أثرا من المشركين إلا محوه و غسلوه (4).

و عن الواقدى قوله: أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان أن يقدما البيت، و قال لعمر: لا تدع صوره حتى تمحوها إلا صوره إبراهيم.

فلما دخل (صلى اللّه عليه و آله) و رآها قال: يا عمر، ألم آمرک ألا تدع فيها صوره إلا محوتها.

فقال عمر: كانت صوره إبراهيم.

قال: فامحها (5).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 270 عن مسند الطيالسى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 87 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 834.
2- الذنوب: الدلو الكبير.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 272 عن الأزرقى.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 272 عن ابن أبى شيبه.
5- المغازى للواقدى ج 2 ص 734 و السيره الحلبيه ج 3 ص 87 عن سبط بن الجوزى.

صلاه النبی صلّی اللّه علیه و آله داخل الکعبه و خارجها:

و رووا: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أقبل یوم الفتح من أعلی مکه، علی ناقته القصواء، و هو مردف أسامه، و معه بلال، و عثمان بن طلحه، حتی أناخ فی المسجد عند البیت، و قال لعثمان: ائتنی بالمفتاح.

فذهب إلی أمه، فأبت أن تعطیه إیاه.

فقال: لتعطینّه أو لأخرجن هذا السیف من صلی. فلما رأت ذلک أعطته إیاه، فجاء به، ففتح عثمان له الباب، قالوا:

1- فدخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أسامه، و بلال، و عثمان بن طلحه.

و زاد بعضهم: الفضل بن عباس، و لم یدخلها أحد معهم، فاغلقوا علیهم الباب (1).

2- و لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الکعبه کبر فی زوایاها، و أرجائها، و حمد اللّه تعالی، و قد اختلفوا فی أمر صلاته فی الکعبه.

1- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 238 و 239 عن مصادر کثیره ذکرت الحدیث یزید بعضهم، أو ینقص و هم: البخاری، و مسلم، و مالک، و موسی بن عقبه، و النسائی، و أبی عوانه، و ابن ماجه، و أحمد، و الطبرانی، و ابن أبی شیبه، و الطحاوی، و ابن قانع، و الأزرقی، و أبی داود، و البزار، و الحاکم، و البهقی .. و فی هامشه عن البخاری فی المغازی ج 7 ص 611. و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 87 و المغازی للواقدی ج 2 ص 834 و 835 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 87 و 88.

و فی روایه: أنه (صلی اللّه علیه و آله) کبر فی نواحی البیت، و لم یصل (1).

3- و فی روایه أخری: أنه صلی رکعتین (2).

4- عن عبد الرحمن بن صفوان قال: لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه انطلقت فوافقت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خرج من الکعبه، و أصحابه قد استلموا البیت من الباب إلی الحطیم، و قد وضعوا

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 239 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 86 و 89 و السیره الحلبیه ج 3 ص 87 عن الترمذی.
2- راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 835 و السیره الحلبیه ج 3 ص 87 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 88 و 89 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 239 و 240 و 241 و ذکر تفاصیل و اختلافات الرواه فی العدید من المصادر، و هی التی تقدمت فی الهامش السابق. و قد ذکر الصالحی الشامی: أن صلاه النبی (صلی اللّه علیه و آله) رکعتین داخل الکعبه قد ورد فی روایه یحیی بن سعید عند الشیخین. و فی روایه أبی نعیم الفضل بن دکین عند البخاری و النسائی، و روایه أبی عاصم الضحاک بن مخلد عند ابن خزیمه، و روایه عمر بن علی عند الإسماعیلی، و روایه عبد اللّه بن نمیر عند الإمام أحمد، کلهم عن سیف بن أبی سلیمان عن مجاهد عن ابن عمر: و تابع سیفا عن مجاهد خصیف عند الإمام أحمد، و تابع مجاهدا عن ابن عمر بن أبی ملیکه عند الإمام أحمد و النسائی، و عمرو بن دینار عند الإمام أحمد، و فی حدیث جابر: دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) البیت یوم الفتح، فصلی فیه رکعتین، و رواه الإمام أحمد برجال الصحیح، و الطبرانی عن عثمان بن طلحه. و رواه الإمام أحمد، و الأزرقی عن عبد اللّه بن الزبیر. و رواه الطبرانی بسند جید، و ابن قانع و أبو جعفر الطحاوی من طریقین عن عثمان.

خدودهم على البيت و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) وسطهم، فسألت من كان معه، فقلت: كيف صنع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين دخل الكعبه؟

قال: صلى ركعتين (1).

5- روى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما خرج من البيت صلى ركعتين قبل الكعبه، و قال: هذه القبله (2).

و عن السائب يزيد قال: حضرت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح صلى فى قبل الكعبه، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، ثم استفتح بسوره المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى و عيسى أخذته سعله فركع (3).

النبى صلّى اللّه عليه و آله لم يدخل الكعبه إلا يوم الفتح:

إن أول سؤال يواجهنا فى النصوص المتقدمه هو: ما السبب فى أنه

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 241 عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح، و عن البزار، قال الصالحى الشامى و رواه أبو دادو، و الطحاوى عن عمر بن الخطاب. و البزار عن أبى هريره، و أنس بن مالک، و رواه الطبرانى.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 241 و 271 و فى هامشه عن: البخارى ج 1 ص 688 (504 و 505) و مسلم ج 2 ص 966 (388 و 389/ 1329 (390/ 1329) و مالک ج 1 ص 398 (193) و عن مسند أحمد و مجمع الزوائد، و الطبرانى فى الكبير، و السيره الحلبيه ج 3 ص 87 و تاريخ الخميس ج 2 ص 89 و المغازى للواقدى ج 2 ص 835.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 245 و 246 عن ابن أبى شيبه فى المصنف.

(صلى اللّه عليه و آله) لم يدخل الكعبه إلا فى يوم الفتح؟!

و يمكن أن يقال فى الجواب: إن الدخول إلى الكعبه يوم الفتح من شأنه أن يؤكد لقريش أن أمر الحرم لم يعد إليها، بل هو قد عاد إلى أهله رغما عن المعتدين و الغاصبين. و على الناس كلهم أن يلتزموا بما يرسمه لهم من لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى (1) ..

فأولى الناس ببيت اللّه، هو نبيه المبعوث لتعليم الأمه و هدايتها، و هو لم يجعل الدخول و الخروج من البيت شغله الشاغل، بل إنه لم يدخل إليه إلا حين استعاده من أيدى الأرجاس، ليزيل عنه و منه رجسهم، و مظاهر شركهم، و ليعيده إلى ما كان عليه من الطهر، و النزاهه، و الخلوص ..

فإن على الناس كلهم أن لا يتخذوا الدخول إليه و الخروج منه سنه، أو عاده و طريقه .. و أن لا يجعلوا ذلک من موارد التنافس و التفاخر و التباهى، إذ المطلوب الأهم هو أن تحفظ قداسه البيت، و يصان عزه، و تتأكد مكانته فى النفوس، و عظمته فى القلوب. و اعتياد الدخول و الخروج إليه ربما يكون مضرا بهذا الهدف.

إزاله الصور من داخل الكعبه:

إن ملاحظه الروايات المتقدمه التى تتحدث عن إزاله الصور من داخل الكعبه تثير علامات استفهام كبيره حول حقيقه ما فعله عمر بن الخطاب فى أمر الصور فى داخل الكعبه، حين أمره النبى (صلى اللّه عليه

1- الآيتان 3 و 4 من سوره النجم.

و آله) بمحوها.

فهل محاها حقا، أم أن الذى محاها هو أسامه، أم الفضل بن العباس؟!

و لو قبلنا: أن عمر قد امتثل أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) و محا الصور، فلما ذا ترک صوره إبراهيم (عليه السلام) و هو يستقسم بالأزلام؟!

و قد حاول الحلبى أن يرفع التنافى بين الروايات، فقال: إن عمر محا الصور كلها باستثناء صوره إبراهيم، و إسماعيل، و مريم و الملائكه (1).

و أغرب من ذلک: أن نجد الزهرى ينسب إبقاء صوره إبراهيم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه، فيقول: (لما دخل النبى (صلى اللّه عليه و آله) فرأى فيها صور الملائكه و غيرها، و رأى صوره إبراهيم (عليه السلام)، قال: قاتلهم اللّه، جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام.

ثم رأى صوره مريم، فوضع يده عليها، ثم قال: امسحوا ما فيها من الصور إلا صوره إبراهيم) (2).

و السؤال هنا هو: إذا كان وجود الصور جائزا فما الحاجه إلى محوها؟

و إن كان حراما، فلما ذا ترک صوره إبراهيم (عليه السلام)؟!

و إن كان لا مانع من بقاء الصور لكنه لاحظ عنوانا ثانويا، و هو أنه يخشى من أن تدخل فى اعتقادات الناس، و ينتهى الأمر بهم إلى نوع من الشرک فى العباده، فذلک المحذور موجود من خلال إبقائه صوره إبراهيم (عليه السلام) أيضا.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 87.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 834.

و سؤال آخر، و هو: كيف أبقى صوره إبراهيم (عليه السلام) و هو يستقسم بالأزلام؟ مع أن ذلک أمر مكذوب على إبراهيم (عليه السلام)؟! و إذا كان قد أزال من الصوره الأشكال التى تشير إلى الإستقسام، فلما ذا لم يذكر لنا ذلک فى التاريخ و الروايه؟!

و ثمه سؤال آخر أيضا، و هو: لماذا لم تبق صوره إبراهيم (عليه السلام) بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟ و من الذى أزالها من الكعبه؟! و لماذا لم يعترض المسلمون و علماء الأمه على من أبطل و أزال أمرا أبقاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

و أما الجمع بين الروايات الذى قرره الحلبى، فهو لا ينفع شيئا، بعد أن كان أصل إبقاء الصور ممنوعا ..

على أن إزاله صور الأشخاص، و الملائكه، و غيرهم من ذوى الأرواح أولى من إزاله غيرها، لأن الناس يفتنون بصور الناس و الملائكه أكثر من فتنتهم بصور الأشجار، و الأبنيه، و الأوانى و نحوها.

على أن مفتاح الكعبه قد كان مع بنى شيبه، و النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أخذه، ففتحها و دخل، فما معنى قولهم: إنه أرسل عمر بن الخطاب ليمحو الصور من داخل الكعبه؟! فهل كان مع عمر مفتاح خاص به؟! أم أن بنى شيبه هم الذين فتحوا باب الكعبه؟!.

إلا أن يقال: إن المراد: أن عمر قد دخل معه (صلى اللّه عليه و آله) إلى الكعبه فوكله بمحو تلک الصور، فمحاها و ترک صوره إبراهيم (عليه السلام).

و لكننا نقول:

إن هذا كلام غير صحيح، فقد ذكروا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين قد اشتغلوا بمحو الصور بواسطه الماء الذى كانوا يأتون به من زمزم ..

يضاف إلى ذلک: أنهم ذكروا أسماء الذين دخلوا مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى الكعبه، و ليس فيهم عمر بن الخطاب .. فما معنى حشر اسمه فى هذا المورد؟! إلا أن يكون الهدف هو ذر الرماد فى العيون، و نسبه فضيله إليه ليس له فيها نصيب.

التكبير فى زوايا الكعبه:

و التكبير فى زوايا الكعبه هو المناسب لموقعيه الكعبه، و شأنها، و مقامها، و هو المنسجم مع الوظيفه التى تؤديها، و الدلالات التى تتكفل بها، فهى رمز التوحيد، و مثال حى لتعظيم اللّه تبارک و تعالى، و هى أهم موقع لتنزيهه عن الأنداد و الشركاء، فكيف إذا كانت قد تعرضت للإهانه و للتدنيس بوضع الأصنام فيها، و رسم صور الأنبياء على جدرانها، و هم يستقسمون بالأزلام؟! افتراء من أولئک الكفره على أقدس الناس فى أقدس مكان، و أفضل بقعه على وجه الأرض.

صلاه النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبه:

إن الروايات المتقدمه: متناقضه فيما بينها، فقد دلت طائفه منها على أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد صلى فى داخل الكعبه ركعتين، و فى بعضها:

أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يصل فيها.

كما أن هناک اختلافات فی نفس دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلیها، فقد زعموا: أنه (صلی اللّه علیه و آله) دخل الکعبه بعد هجرته أربع مرات: یوم الفتح، یوم ثانی الفتح، و فی حجه الوداع، و فی عمره القضاء.

و فی کل هذه الدخلات خلاف، إلا الدخول الذی کان یوم فتح مکه (1).

و قالوا: إن سبب الاختلاف فی صلاته داخل الکعبه هو: تعدد دخوله إلیها، حیث صلی فی بعضها، و لم یصل فی بعضها الآخر (2).

و نقول:

لکن ظاهر النصوص هو: أنها تتحدث عن الدخول الأول إلی الکعبه الشریفه، و هو الذی کان محط أنظار الرواه، و نقله الأخبار.

و حول الصلاه فی داخل الکعبه نقول:

إنهم یقولون: أن المراد بالصلاه هو الدعاء (3).

و الجواب: أن التعبیر: بأنه صلی رکعتین، فی الروایه التی تقول عن بلال: (ذهب عنی أن أسأله کم صلی) تکذب هذا الإحتمال (4).

ثم إننا نقول:

إن هذه الإختلافات، خصوصا إذا کانت فی أمور التشریع، تحتاج إلی حسم الأمور فیها بصوره تقطع العذر، و تزیل الشبهه. و لا یکون ذلک إلا بالرجوع إلی أئمه الهدی و مصابیح الدجی، فقد روی الشیخ (رحمه اللّه) عن

1- تاریخ الخمیس ج 2 ص 87.
2- السیره الحلبیه ج 3 ص 87.
3- المصدر السابق.
4- المصدر السابق.

الطاطرى، عن محمد بن أبى حمزه، عن معاويه بن عمار، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال:

(سمعته يقول: لا تصلّ المكتوبه فى جوف الكعبه، فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يدخلها فى حج و لا عمره، و لكن دخلها فى فتح مكه، فصلى فيها ركعتين بين العمودين، و معه أسامه) (1).

سؤال .. و جوابه:

قد يقال: إذا كان (صلى اللّه عليه و آله) قد دخل الكعبه يوم عمره القضاء، فماذا كان موقفه من الأصنام التى كانت بداخلها؟! هل أزالها؟! أم تركها؟! و هل يجوز له ترک الأصنام فى الكعبه؟!

و يمكن أن يجاب: بأن المفروض: هو أن لا يتعرض لها فى عمره القضاء، كما لم يتعرض للأصنام التى كانت فى المسجد، و على الكعبه، لأن أى تعرض لها لابد من أن يعتبره المشركون نقضا للعهد. و سيعطى المبرر لقريش للتشنيع عليه، و إسقاط مصداقيته بين الناس. فلا بد من أن تترک الأمور إلى الوقت المناسب، و حيث لا يبقى لقريش أى ذريعه.

أبو بكر و عمر لم يدخلا الكعبه:

و قد صرحت الروايات بأسماء الذين دخلوا الكعبه، و أسماء الذين

1- البحار ج 21 ص 136 و 132 و 133 عن تهذيب الأحكام للطوسى ج 1 ص 245 و عن إعلام الورى، و عن المناقب لابن شهر آشوب. و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 83.

حطموا الأصنام على ظهر الكعبه، و فى المسجد الحرام، و لم نجد لأبى بكر و لا لعمر ذكرا، لا مع هؤلاء، و لا مع أولئک. فأين كان هذان الرجلان فى هذه اللحظات الحساسه؟!

و ما الذى منعهما من المشاركه فى هذا الأمر الجليل؟! هل كانا لا يرغبان فى خدش مشاعر قومهما فى هذه اللحظات الحرجه بالذات؟! أم أنهما كانا يؤديان واجبا آخر؟!

إننا لو سألنا عن على بن أبى طالب لقيل لنا: إنه كان يلاحق المشركين الذين أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمهم، لينفذ فيهم حكم اللّه تعالى، و قد تمكن من قتل بعضهم ممتثلا بذلک أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و هو لم يرع فيهم أخته أم هانى ..

أو يقال لنا: إنه حامل رايه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قائد جيوشه، فالمفروض أن يكون منشغلا بتدبير أمر ذلک الجيش العرمرم.

أو يقال لنا: إنه كان مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قد أصعده (صلى اللّه عليه و آله) على كتفيه إلى ظهر الكعبه ليحطم الأصنام عليها، و قد فعل ذلک ..

و لكن لو سألنا عن أبى بكر و عمر أين هما؟ فما هو الجواب الذى يمكن أن نتوقعه منهما، و عنهما؟!

و لماذا غابا عن الأنظار فى هذه اللحظات الحرجه بالذات؟! أم تراهما قد ذهبا لتفقد الأهل و العشيره، و المنازل و الرباع؟!

أو أنهما يتجاذبان أطراف الحديث مع الخلان و الإخوان؟!

لا ندرى!!

فإن التاريخ لم يفصح لنا عن شی ء فی هذا المجال .. إما خيانه منه!! أو عجزا، و فشلا!! و كلاهما غير مرضیّ له، و لا مقبول منه.

لا نريد الحديث عن التناقضات:

و قد أشرنا فی مناسبات عديده: إلى أن التناقض فيما بين الروايات يدل على أن واحده منها هی الصحيحه فی مورد الإختلاف، و يحكم على سائرها بالخطأ أو الكذب فی نفس ذلک المورد.

مع احتمال: أن يكون الجميع مكذوبا، أو مخطئا، و الصحيح شی ء آخر.

و لكن الحكم على مورد الإختلاف بالخطأ، أو الكذب، كلا أو بعضا لا يعنى أن سائر الفقرات كذلک، لجواز أن تكون صحيحه أيضا.

أی أن سقوط فقره من الروايه عن الحجيه، لا يعنى سقوط سائر فقراتها عنها ..

و لأجل وضوح هذا الأمر، و تكرر ذكرنا له فی الموارد المختلفه، آثرنا أن نعتمد من الآن فصاعدا على وعى القارئ لهذه الحقيقه، و نكل إليه أمر رصد تلک التناقضات و الإختلافات، ثم التعامل معها بصوره صحيحه و واقعيه.

هذا تأويل رؤياى:

تحدثنا فی جزء سابق: عن أن النبى (صلى اللّه عليه و آله)- كما ورد فی القرآن الكريم- كان فی عام الحديبيه قد أخبر أصحابه بأنه رأى رؤيا مفادها: أن المسلمين يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين .. ثم سار بهم نحو مكه، فصدهم المشركون فی ذلک العام، و كان عهد الحديبيه، فثارت

ثائره كثير من أصحابه (صلى اللّه عليه و آله)، و كان أشدهم عمر بن الخطاب.

ثم كانت عمره القضاء التى دخل المسلمون فيها إلى المسجد الحرام محلقين، قال تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِيباً (1)

و لعل المسلمين قد اعتبروا ما جرى فى عمره القضاء هو تأويل تلک الرؤيا (2).

و لكن الروايه المتقدمه عن الإمام الصادق (عليه السلام) تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) حين تسلم مفتاح الكعبه فى فتح مكه، دعا عمر بن الخطاب، و قال له: (هذا تأويل رؤياى).

فاللافت هنا:

أولا:

دعوته (صلى اللّه عليه و آله) خصوص عمر بن الخطاب، دون كل من عداه، ليسمعه هذا القول .. مما يعنى: أن عمر بن الخطاب كان لا يزال يشكک فى صدق رؤيا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، مع أن رؤياه (صلى اللّه عليه و آله) من الوحى.

ثانيا: إن الأمن الحقيقى فى مكه قد حصل يوم الفتح، و بلغ ذروته حين

1- الآيه 27 من سوره الفتح.
2- الدر المنثور ج 6 ص 80 و 81 عن ابن مردويه، و ابن جرير، و عن ابن أبى شيبه.

تسلم (صلى اللّه عليه و آله) مفتاح الكعبه، الذى يشير إلى انتهاء كل شى ء و استسلام عتاه المشركين، و قريش بالذات.

ثم جاءت حجه الوداع فدخل المسلمون إلى مكه آمنين أمنا حقيقيا، لا شبهه فيه، و كانوا محلقين رؤوسهم و مقصرين.

عثمان بن طلحه فى فتح مكه:

تقدم أنهم زعموا: أن عثمان بن طلحه أسلم بالمدينه مع خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص، و بقى فيها إلى أن جاء مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه يوم الفتح (1).

و لكن الروايات المتقدمه قد تناقضت فى بيانها لموقف عثمان بن طلحه، حتى لقد نسب إليه بعضها: أنه رفض تسليم المفتاح، و قال: لو أعلم أنه رسول اللّه لم أمنعه.

فإن كان حقا قد أسلم قبل ذلک، فهذا ارتداد صريح كما قاله ابن ظفر فى ينبوع الحياه (2).

على أن بعض الروايات المتقدمه قد صرحت: بأنه إنما أسلم حين أرجع على (عليه السلام) المفتاح إليه برفق.

و لعل ملاحظه الروايات المتقدمه و سواها تعطى: أن ثمه خلطا بين عثمان بن طلحه، و بين شيبه بن طلحه، فلعل المفتاح كان عند شيبه أولا، فرفض إعطاءه للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، ثم أودعه عند أمه سلافه، ثم

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 88 و السيره الحلبيه ج 3 ص 98 و 100.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 87.

أرسل النبى (صلى اللّه عليه و آله) عثمان بن طلحه فأخذه منها، بعد أن جرى معها له ما جرى.

و سيأتى قولهم: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أعطى المفتاح إلى عثمان ..

و يصرح البعض: بأن عثمان دفعه إلى أخيه شيبه، فهى فى ولده إلى اليوم (1).

آيه: أداء الأمانات إلى أهلها:

و قد زعمت بعض الروايات المتقدمه: أنه لما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (2) أرسل (صلى اللّه عليه و آله) المفتاح إليهم مع على (عليه السلام)، و أمره أن يدفعه إلى عثمان بن طلحه متلطفا، فأخذه منه، و أسلم ..

و سيأتى بعد إيراد خطبه النبى (صلى اللّه عليه و آله) الشهيره على باب الكعبه، بيان بعض ما فيها من إشارات و دلالات ترتبط بجعل حجابه البيت و إعطاء المفتاح لبنى شيبه، و سنتحدث إن شاء اللّه عن شأن نزول هذه الآيه أيضا هناك، فانتظر.

لمن هذا التهديد؟!:

إن قوله فى روايه بشر النبال عن الإمام الصادق (عليه السلام): لترسلن

1- شرح بهجه المحافل للأشخر اليمنى ج 1 ص 409 عن ابن كثير.
2- الآيه 58 من سوره النساء.

به (یعنی المفتاح) أو لأقتلنک، إن کان من کلام النبی (صلی اللّه علیه و آله) یهدد به شیبه، فلا بد من الإجابه علی سؤال:

ما معنی هذا التهدید من النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله) لعثمان بالقتل فی حین أن أمه هی التی امتنعت عن تسلیم مفتاح الکعبه إلیه، و قد قال اللّه تعالی: وَ لا تَزِرُ وازِرَهٌ وِزْرَ أُخْری؟.

و قد یجاب عن ذلک: بأن من الممکن أن یکون المفتاح بید شیبه، ثم أودعه عند أمه، فی محاوله منه للضغط الهادف إلی الإحتفاظ بهذه المکرمه، فیصح تهدیده، باعتبار أنه هو المسؤول عن أمر المفتاح.

و لکن هذا الجواب إنما یصح لو أن شیبه الذی کان لا یزال علی شرکه هو صاحب المفتاح، أما إن کان صاحبه و المسؤول عنه هو أخوه عثمان الذی کان قد أسلم قبل ذلک التاریخ، فلا یصح تهدیده بالقتل إلا إذا کان امتناعه عن تسلیم المفتاح قد بلغ حد التمرد علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و الإرتداد عن الدین.

و إن کانت عباره التهدید المتقدمه قد صدرت عن شیبه أو عثمان نفسه، فی مواجهه أمه سلافه .. فلا یرد إلا إشکال من ناحیه عصیان أمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، بل یصبح الإشکال أخلاقیا، کما هو ظاهر.

غیر أننا نرجح: أن الروایه: تتحدث عن تهدید صادر من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلی ولدها .. کما هو ظاهر سیاق الکلام.

و یؤیده: أن روایه أخری- تقدمت أیضا- قد ذکرت: أن عثمان بن طلحه قد قال لأمه: (إن لم تفعلی قتلت أنا و أخی؛ فأنت قتلتنا).

کما أننا نرجح: أن یکون علی (علیه السلام) هو الذی أخذ المفتاح من

عثمان بن طلحه بالقوه و القهر، و أن حديث إسلام عثمان هذا قبل ذلک فی المدينه، مع عمرو بن العاص، و خالد بن الوليد، موهون فی أكثر من جهه و سبب حسبما أوضحناه في موضعه، و لتكن هذه الروايات الداله على تمرده على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من دلائل و هن هذه المزاعم ..

ص: 245

الفصل الثامن: الخطبه الأولی فی مکه

اشاره

خطبه الرسول صلّى اللّه عليه و آله فى مكه:

لقد خطب النبي (صلى اللّه عليه و آله) خطبه هامه بمجرد خروجه من الكعبه أعزها اللّه تعالى، فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

(فتح باب الكعبه، فأمر بصور فى الكعبه فطمست، ثم أخذ بعضادتى الباب، فقال: الخ ..) (1).

و زعموا: أن خالد بن الوليد فى هذه الحال كان على باب الكعبه يذب عنه (صلى اللّه عليه و آله) الناس (2).

و قالوا: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما خرج من البيت استكفّ له الناس، و أشرف على الناس حول الكعبه و هم جلوس، فقام على بابه فقال:

(لا إله إلا اللّه وحده لا شريک له، صدق وعده).

و فى نص آخر أنه قال: (الحمد للّه الذى صدق وعده). ثم اتفقوا (و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما ذا تقولون؟ ماذا

1- البحار ج 21 ص 135 عن الكافى ج 1 ص 227.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 89 عن تاريخ مكه للأزرقى.

تظنون (أنى فاعل بكم؟

فقال سهيل بن عمرو:)؟ (1).

قالوا: نقول خيرا، و نظن خيرا. نبى كريم، و أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (فإنى أقول كما قال أخى يوسف: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (2).

إذهبوا فأنتم الطلقاء).

فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا فى الإسلام.

ثم قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (ألا إن كل ربا فى الجاهليه أو دم أو مأثره أو مال يدّعى فهو تحت قدمى هاتين، و أول دم أضعه دم ربيعه بن الحارث، إلا سدانه البيت، و سقايه الحاج (فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

ألا و فى قتيل العصا و السوط و الخطأ شبه العمد الديه مغلظه، مائه ناقه، منها أربعون فى بطونها أولادها.

ألا و إن اللّه تعالى قد أذهب عنكم نخوه الجاهليه، و تكبرها بآبائها، كلكم لآدم و آدم من تراب) (3).

ثم تلا هذه الآيه: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

1- هذه الفقره فى: السيره الحلبيه ج 3 ص 98 و البحار ج 21 ص 132 عن إعلام الورى.
2- الآيه 92 من سوره يوسف.
3- راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج 9 ص 118.

خَبِيرٌ (1).

(یا أیها الناس!! الناس رجلان، فبر تقی کریم، و کافر شقی هین علی اللّه.

ألا إن اللّه تعالی حرم مکه یوم خلق السماوات و الأرض، و وضع هذین الأخشبین، فهی حرام بحرام اللّه، لم تحل لأحد کان قبلی، و لن تحل لأحد کائن بعدی، لم تحل لی إلّا ساعه من نهار- یقصرها (صلی اللّه علیه و آله) بیده هکذا- و لا ینفر صیدها، و لا یعضد عضاهها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد، و لا یختلی خلاها).

فقال العباس، و کان شیخا مجربا: إلا الإذخر یا رسول اللّه، فإنه لا بد لنا منه للقین، و ظهور البیوت.

فسکت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ساعه ثم قال: (إلا الإذخر فإنه حلال.

و لا وصیه لوارث، و إن الولد للفراش و للعاهر الحجر، و لا یحل لامرأه أن تعطی من مال زوجها إلا بإذن زوجها، و المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوه، و المسلمون ید واحده علی من سواهم، تتکافأ دماؤهم، و هم یردّ علیهم أقصاهم، و یعقل علیهم أدناهم، و مشدّهم علی مضعفهم، و مثریهم علی قاعدهم، و لا یقتل مسلم بکافر، و لا ذو عهد فی عهده، و لا یتوارث أهل ملتین مختلفتین، و لا جلب و لا جنب.

و لا تؤخذ صدقات المسلمین إلا فی بیوتهم و بأفنیتهم، و لا تنکح المرأه

1- الآیه 13 من سوره الحجرات.

على عمتها و لا على خالتها. و البينه على من ادّعى، و اليمين على من أنكر، و لا تسافر امرأه مسيره ثلاث إلا مع ذى محرم، و لا صلاه بعد العصر، و بعد الصبح، و أنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحى، و يوم الفطر، و عن لبستين ألا يحتبى أحدكم فى ثوب واحد يفضى بعورته إلى السماء، و ألا يشتمل الصماء).

فقام رجل فقال: يا رسول اللّه، إنى قد عاهرت فى الجاهليه.

فقال: (من عاهر بامرأه لا يملكها، أو أمه قوم آخرين لا يملكها، ثم ادّعى ولده بعد ذلک فإنه لا يجوز له، و لا يرث و لا يورث، و لا إخالكم إلا قد عرفتموها.

يا معشر المسلمين كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر من ضحوه نهار الفتح إلى صلاه العصر منه).

فخبطوهم ساعه، و هى الساعه التى أحلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لم تحل لأحد قبله.

ثم قال لهم: (كفوا السلاح).

فقام أبو شاه، فقال: اكتب لى يا رسول اللّه.

فقال: (اكتبوا لأبى شاه).

أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم) (1).ک.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 242 و 243، و قال: أخرجه البخارى (2434)، و مسلم فى الحج (447، 448)، و أبو داود (2017) (3649، 4505) و الترمذى (2667) و أحمد 2/ 238 و البيهقى 8/ 52 و الدار قطنى 3/ 97. و ذكر الصالحى الشامى: أن رواه الخطبه المشار إليها هم: الإمام أحمد، و أبو داود، و النسائى، و ابن ماجه عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و البخارى فى صحيحه عن مجاهد. و ابن أبى شيبه .. و ابن إسحاق عن صفيه بنت شيبه، و البيهقى عن عبد اللّه بن عمر، و ابن أبى شيبه عن عبد اللّه بن عبيده.و واضح: أن نصوص الخطبه تتفاوت، من حيث

الإختصار و التطويل، و التقديم، و التأخير، و اختلافات أخرى. و كيف كان فهى موجوده فى المصادر التاليه: السيره الحلبيه ج 3 ص 98 و البحار ج 21 ص 132 و 135 و 136 و 105 و 106 و الكافى ج 3 ص 227 و 228 و 328 و عن صحيح مسلم ج 2 ص 988 و 989 و عن صحيح البخارى ج 1 ص 39 و ج 3 ص 165 و ج 4 ص 127 و ج 5 ص 194 و ج 9 ص 6 و 17 و مجمع البيان ج 1 ص 206 و ج 10 ص 557 عن إعلام الورى، و سنن أبى داود ج 2 ص 212 و ج 3 ص 319 و ج 4 ص 172 و الجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 39 و مسند أحمد ج 1 ص 259 و ج 2 ص 238 و مقدمه ابن الصلاح ص 170 و معالم السنن ج 4 ص 184 و جامع بيان العلم ج 2 ص 84 و تدريب الراوى ج 2 ص 66 و السنه قبل التدوين ص 305 عن فتح البارى ج 1 ص 183 و 184 و 217 و ج 5 ص 63 و ج 12 ص 181- 183 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 249 و معادن الجواهر ج 1 ص 10 و المحدث الفاصل ص 363 و 364 و إرشاد السارى ج 1 ص 168 و عمده القارى ج 1 ص 567 و ج 2 ص 163 و ج 12 ص 275 و ج 24 ص 42 و أسد الغابه ج 2 ص 384 و ج 5 ص 224 و تيسير الوصول ج 3 ص 176 و صحائف الصحابه ص 31 و الفقيه و المتفقه ج 1 ص 91 و سنن الدار قطنى ج 3 ص 97 و تدوين السنه ص 88 و عن المصنف لابن أبى شيبه ج 14 ص 495 و تاريخ الخميس ج 2 ص 84 و 85 و 90 و تهذيب الآثار ج 1 ص 255 و رسالات نبويه ص 53 و الدر المنثور ج 1 ص 122 و فتوح البلدان للبلاذرى ص 57 و معجم البلدان ج 5 ص 183 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1038 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ق 1 ص 99 و السنن الكبرى للبيهقى ج 8 ص 52 و الإصابه ج 2 ص 135 و ج 4 ص 10 و الكفايه للخطيب ص 53 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 50 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 306 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 281 و زاد المعاد ج 2 ص 166 و 185 و 203 و الإستيعاب ج 4 ص 106 و التاج الجامع للأصول ج 2 ص 172 و الفتح الربانى ج 23 ص 241 و 242 و البدايه و النهايه ج 4 ص 304 و مدينه البلاغه ج 1 ص 72 و المغازى للواقدى ج 2 ص 835 و 836 و 837 و جامع أحاديث الشيعه ج 10 ص 102 و الجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 118 و شرح المواهب اللدنيه للزرقانى ج 2 ص 327 و غير ذلک.

ص: 251

و فی نص آخر أنه قال: إن اللّه تبارک و تعالی حبس عن مکه الفیل، و سلط علیها رسوله و المؤمنین، و إنها لا تحل لأحد کان قبلی، و إنما أحلت لی ساعه من نهار، و إنها لا تحل لأحد بعدی .. فقام أبو شاه رجل من الیمن الخ .. (1).

نص آخر للخطبه:

و ذکر الشیخ الطبرسی (رحمه اللّه) نصا آخر للخطبه، و هو التالی: لما دخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه دخل صنادید قریش الکعبه، و هم یظنون أن السیف لا یرفع عنهم، فأتی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و وقف قائما علی باب الکعبه، فقال:

(لا إله إلا اللّه وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده،

ألا إن کل مال و مأثره و دم یدّعی تحت قدمی هاتین، إلا سدانه الکعبه،

1- تقیید العلم ص 86.

و سقایه الحاج، فإنهما مردودتان إلی أهلیهما.

ألا إن مکه محرمه بتحریم اللّه، لم تحل لأحد کان قبلی، و لم تحل لی إلا ساعه من نهار. و هی محرمه إلی أن تقوم الساعه، لا یختلی خلاها، و لا یقطع شجرها، و لا ینفر صیدها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد).

ثم قال: (ألا لبئس جیران النبی کنتم، لقد کذّبتم، و طردتم، و أخرجتم، و آذیتم، ثم ما رضیتم حتی جئتمونی فی بلادی تقاتلونی!! الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 22 253 نص آخر للخطبه: ..... ص : 252

اذهبوا فأنتم الطلقاء).

فیخرج القوم، فکأنما أنشروا من القبور، و دخلوا فی الإسلام، و قد کان اللّه سبحانه أمکنه من رقابهم عنوه، و کانوا له فیئا، فلذلک سمّی أهل مکه الطلقاء (1).

عن ابن رئاب، عن أبی عبیده قال: سمعت أبا عبد اللّه (علیه السلام) یقول: لما فتح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه قام علی الصفا، فقال:

(یا بنی هاشم، یا بنی عبد المطلب، إنی رسول اللّه إلیکم، و إنی شفیق علیکم، لا تقولوا: إن محمدا منا، فو اللّه ما أولیائی منکم و لا من غیرکم إلا المتقون، فلا أعرفکم تأتونی یوم القیامه تحملون الدنیا علی رقابکم، و یأتی الناس یحملون الآخره، ألا و إنی قد أعذرت فیما بینی و بینکم، و فیما بین اللّه عز و جل و بینکم، و إن لی عملی و لکم عملکم) (2).

1- البحار ج 21 ص 105 و 106 و 132 و مجمع البیان ج 10 ص 557 عن إعلام الوری.
2- البحار ج 21 ص 111 عن کتاب صفات الشیعه للصدوق ص 4.

وقفات مع الخطبه الشريفه:

إن هذه الخطبه الشريفه تحتاج إلى دراسه متأنيه لاستكناه معانيها، و الوقوف على مراميها، و لعل بيان ذلک يفرض إفراد كتاب مستقل، و يستغرق وقتا طويلا، و يحتاج إلى جهد مضن، يبذله أناس أكفاء، و متمرسون أفذاذ ..

فماذا عسانا نقدم فى هذه النظره العابره و المحدوده، و لكن ما لا يدرک كله لا يترک جله .. فتلک هى بعض اللمحات المختاره من هذا الروض الفواح بالأطياب .. و الزاخر بالمعانى العذاب، كأنها الشهد المذاب ..

و سنذكر هذه اللمحات اليسيره فى فقرات تبين وجهتها عناوين نختارها لها، و هى التاليه:

عتقهم دليل فتح مكه عنوه:

علق الديار بكرى على قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه:

إذهبوا، فأنتم الطلقاء، فقال:

(فأعتقهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قد كان اللّه أمكنه من رقابهم عنوه، فلذلک تسمى أهل مكه (الطلقاء) أى الذين أطلقوا، فلم يسترقوا، و لم يؤسروا، و الطليق هو الأسير إذا أطلق) (1).

و كنا قد تحدثنا عن هذا الأمر فى فصل سابق، و قلنا: إن هذه الكلمه من أدله فتح مكه عنوه، لا صلحا .. فلا بأس بمراجعه ما ذكرناه هناک ..

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 85.

الطلقاء .. و الخلافه:

إنه لا ريب فى أن الإمامه شأن إلهى و قرار ربانى، لا خيار لأحد فيه، و هى تثبت بالنص القاطع للعذر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لكن السياسه الإلهيه قد قضت بوضع معايير، و حدود، و ضوابط، و قيود، من شأنها أن تسقط أى تعلل، و ترد أيه شبهه، حتى حينما يحاصر الطامعون و الحاقدون النص بحرابهم، و سيوفهم، أو يثيرون حوله الشبهات و الأقاويل، و ينسجون حوله الترهات و الأباطيل.

و قد صرحت النصوص بكثير من الأمور التى حددها للناس أمين اللّه على وحيه، و عزائم أمره، و من هذه الأمور:

أن الطلقاء لا يحق لهم الاضطلاع بأمر الإمامه ..

و يبدو أن هذا الأمر كان متسالما عليه لدى السلف، فقد روى عن عمر بن الخطاب: أنه اعترف بذلك، و أنه قال:

هذا الأمر فى أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم فى أهل أحد، ثم فى كذا و كذا، و ليس لطليق و لا لولد طليق، و لا لمسلمه الفتح شى ء (1).

و قال أيضا: (إن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء، و لا لأبناء الطلقاء) (2).

و عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى كتاب له إلى معاويه: (و اعلم أنک من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافه، و لا تعقد معهم الإمامه، و لا يدخلون

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 342 و أسد الغابه ج 4 ص 387 و فتح البارى ج 13 ص 207.
2- الإصابه ج 2 ص 305.

فی الشوری) (1).

و کتب ابن عباس لمعاویه: (ما أنت و ذکر الخلافه؟! و إنما أنت طلیق و ابن طلیق. و الخلافه للمهاجرین الأولین، و لیس الطلقاء منها فی شی ء).

و فی نص آخر: ما أنت و الخلافه، و أنت طلیق الإسلام الخ .. (2).

و قال ابن عباس لأبی موسی: (اعلم یا أبا موسی أن معاویه طلیق الإسلام) (3).

و کتب المسور بن مخرمه إلی معاویه أیضا: (و ما أنت و الخلافه یا معاویه، و أنت طلیق، و أبوک من الأحزاب) (4).

و هذا المعنی بالذات روی عن سعنه بن عریض فی کلام له مع معاویه (5).

و نفس هذا المضمون قاله صعصعه بن صوحان لمعاویه (6).

و جاء فی کلام لعبد الرحمن بن غنم الأشعری الصحابی، یعاتب فیه أبا هریره، و أبا الدرداء قوله: (و أی مدخل لمعاویه فی الشوری، و هو من

1- الإمامه و السیاسه ج 1 ص 85 و (فی طبعه) 71 و (فی أخری) 81 و العقد الفرید ج 4 ص 136 و نهج البلاغه ج 2 ص 5 و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج 3 ص 76 و ج 14 ص 36.
2- راجع: الإمامه و السیاسه ج 1 ص 100 و (فی طبعه أخری) 85 و (فی طبعه ثالثه) 97 و شرح النهج للمعتزلی ج 8 ص 66.
3- شرح النهج للمعتزلی ج 2 ص 246.
4- الإمامه و السیاسه ج 1 ص 98 و (فی طبعه أخری) 75 و (فی طبعه ثالثه) 85.
5- الغدیر ج 10 ص 31.
6- مروج الذهب ج 3 ص 52.

الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافه)؟! (1).

تعظيم بيت اللّه:

إن اللّه سبحانه و تعالى قد جعل الكعبه و مكه حرما آمنا. و لكن هل حصل ذلک بدعاء إبراهيم حينما قال: رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً؟! (2).

و فى آيه أخرى: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً (3).

مع ملاحظه: أن الآيه الثانيه تشير إلى أن هذا الدعاء قد كان بعد صيروره مكه بلدا، و أما الآيه الأولى، فليس فيها دلاله على ذلک، بل هى تتلاءم مع ما قبل صيروره مكه بلدا، و مع ما بعد صيرورتها بلدا.

و لكن ثمه ما يدل: على أن إبراهيم قد دعا بذلک مرتين، و فى زمانين مختلفين، كما ربما يظهر من كلام العلامه الطباطبائى و غيره (4).

إذ ليس ثمه ما يحتم أن يكون إبراهيم يطلب من اللّه تشريع الأمن لمكه، و أن يجعلها حرما، ثم يلتزم الناس بأوامره سبحانه، لتنشأ عن ذلک حاله الأمن لها .. إذ لعله كان يطلب حصول الأمن الخارجى لذلک البلد و المنع من تعرضها للنكبات على أيدى الجبارين، و أن يوجد حرمه و هيبه لها فى نفوس الناس تردعهم عن التعرض لها بسوء، إذ لو كان (عليه السلام) يطلب أمرا تشريعيا لكان ذلک البلد قبل إبراهيم كسائر البلاد، مع أن ثمه ما يدل على أنها

1- الإستيعاب ج 2 ص 402 و أسد الغابه ج 3 ص 318.
2- الآيه 126 من سوره البقره.
3- الآيه 35 من سوره إبراهيم.
4- تفسير الميزان ج 12 ص 68 و 69 و التفسير الكبير للرازى ج 4 ص 55.

كانت حراما أيضا قبل ذلک، فقد ورد فی خطبه الرسول (صلی اللّه علیه و آله) المتقدمه فی فتح مکه: أن اللّه قد (حرّم مکه یوم خلق السماوات و الأرض، فهی حرام إلی أن تقوم الساعه، لم تحل لأحد قبلی، و لا تحل لأحد بعدی) (1). فراجع.

و یؤید ذلک، بل یدل علیه: أن إبراهیم (علیه السلام) قد وصف البیت ب (المحرم) بمجرد إسکانه لذریته فی تلک البقعه، فقال: رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاَهَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ .. (2).

و من الواضح: أن إبراهیم علی نبینا و آله و علیه الصلاه و السلام لم یؤسس البیت، بل رفع قواعده، و قد تقدم فی الجزء الثانی من هذا الکتاب:

أن البیت قد وضع من لدن آدم (علیه السلام) و هو البیت العتیق، و هو أول بیت وضع للناس، کما دلت علیه الآیات الکریمه.

کلکم لآدم، و آدم من تراب:

و قد ظهر من خلال تلک الخطبه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) یعالج أدواء کان یراها رأی العین فی الناس، و یعرف ما لها من آثار سلبیه علی حیاتهم، و علی علاقاتهم، و طریقه تعاملهم مع بعضهم، و علی روحیاتهم ..

و من ذلک ظاهره الطبقیه و التمییز علی أسس قبائلیه، و عرقیه، و غیر ذلک ..

فذکّرهم بأصلهم الأصیل، الذی یعطی الدلیل الصریح و الصحیح علی عدم وجود تمیز بین الناس فالأصل هو آدم، و أصل آدم هو التراب.

1- راجع نص خطبه النبی (صلی اللّه علیه و آله) فی مکه فی المصادر المختلفه المتقدمه.
2- الآیه 37 من سوره إبراهیم.

فإن حصل تميز من أى نوع، فلا بد أن يكون بأمور عارضه اختارها الإنسان و صنعها، و أما القبائل و الشعوب، فلم يكن لأحد فى صيرورتها كذلک أى اختيار، بل هى فعل إلهى، فما معنى: أن يدّعى الناس لأنفسهم امتيازات استنادا إلى أمر لم يختاروه، و لا بذلوا أى جهد فى سبيل الحصول عليه؟!

و لذلک يلاحظ: أنه بعد أن قال (صلى اللّه عليه و آله): كلكم لآدم و آدم من تراب ثنّى بذكر الآيه الكريمه، التى تقول: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (1). فقد صرح بأن الإختلاف فى الشعوب و القبائل هو من صنع اللّه تعالى، موضحا: أنه سبحانه إنما جعل فيهم هذه الخصوصيات من أجل أن يستفيد بعضهم من بعض، و يكتسبوا من هذا التنوع معرفه إلى معارفهم .. و يكون ذلک سببا فى إنشاء العلاقات، و إقرار الروابط المفيده، و الرشيده .. و لم يجعل ذلک سببا للتفاخر و التعالى، و الإنفصال و التباعد.

ثم بيّن أن التفاضل إنما هو بتقوى اللّه تبارک و تعالى حين قال سبحانه:

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ.

السلاح فى مكه فى عام الفيل و يوم الفتح:

و قد ورد فى كلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ما يلى: (إن اللّه تعالى حبس الفيل، و سلط عليهم (أو عليها)، رسوله و المؤمنين ..) (2).

1- الآيه 13 من سوره الحجرات.
2- راجع: المحلى لابن حزم ج 10 ص 497 و صحيح ابن حبان ج 9 ص 28 و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص 232.

و قد تقدمت فی غزوه الحدیبیه بعض الإشارات إلی بعض ما تضمنته قصه حبس الفیل من دلالات و عبر فراجع ما ذکرناه هناک، حین التعرض لقوله (صلی اللّه علیه و آله) عن ناقته: (حبسها حابس الفیل).

غیر أننا نشیر هنا: إلی أن ما ورد فی هذه الخطبه، حول نفس هذا الأمر، قد أرید به لفت النظر إلی أمر مهم، و هو:

أن دخوله (صلی اللّه علیه و آله) مکه بالسلاح، و بدون إحرام، و علی هیئه القتال، لیس علی حد دخول أبرهه الذی جاء للعدوان علی بیت اللّه، و هتک حرمه الحرم، إذ لیس کل دخول لمکه بالسلاح هتک لحرمتها، أو مناف لما یدعوهم اللّه إلیه من تعظیمها، إذ لو کان کذلک لتدخل اللّه تبارک و تعالی لمنعه (صلی اللّه علیه و آله) من ذلک، کما تدخل لمنع أبرهه و جیشه منه، حیث حبس الفیل عن مکه، لیکون آیه للمعتدین، و عبره للمعتبرین، فلما اصروا علی هتک حرمتها، و لم یعودوا إلی اللّه، و لم یتوبوا إلیه، أرسل علیهم طَیْراً أَبابِیلَ تَرْمِیهِمْ بِحِجارَهٍ مِنْ سِجِّیلٍ فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ.

و ذلک یدل و شواهد کثیره أخری علی: أن دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) و المسلمین کان دخول تعظیم للحرم و دفاع عن مکه و الکعبه. و لیس دخول إهانه أو استهانه ..

و حمل السلاح إنما هو من أجل رفع الحیف عن مکه و عن البیت، و إبعاد مظاهر الشرک، الذی هو أعظم مظاهر الإهانه، و تطهیرها من الظلم و العدوان، و إخراجها من أیدی العتاه و المستکبرین.

و الخلاصه: أن تسلیط المسلمین علی مکه، إنما هو لإعزازها، و إعزاز الکعبه، و لإحقاق الحق، و إبطال الباطل، و اقتلاع الشرک و الوثنیه، و إعلاء

كلمه اللّه تعالى، و نشر التوحيد، و توجيه الناس إلى عباده اللّه.

أما أهداف أصحاب الفيل، فهى أهداف شريره و باطله، و هى إطفاء نور اللّه، و ترسيخ قواعد الباطل و الشرک و الوثنيه.

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكها!!:

قال العلامه الأحمدى (رحمه اللّه تعالى) حول قوله (صلى اللّه عليه و آله) فى خطبته لا ينفر صيدها، و لا يختلى شوكها، ما يلى:

(هذه الجمل بيان لأخفى ما يحرم من مكه و أدنى ما هو حرام، لأنها حرم، فيحرم شوكها و لقطتها، و يحرم نفر الحيوان البرى الذى يصاد فى غيرها؛ ليعلم من ذلک حرمه الباقى.

فإنه إذا حرم الشوک الذى لا نفع فيه إلا الإحراق حرم ما سواه بالأولويه.

و إذا حرم نفر الحيوان البرى يعلم منه حرمه جرحه، و قتله، و أخذه و ..

و قتل الإنسان، و إخافته، و إزعاجه.

و إذا حرم لقطتها، حرم أموال الناس بأى نحو أخذت إلا برضا صاحبها، و إذا كانت أموال الناس حراما فى غير هذه البلده، كانت حرمتها فيها أشد و آكد) (1). و هذا كلام سديد رحم اللّه قائله، و حشره مع محمد و آله الطاهرين.

1- مكاتيب الرسول ج 3 ص 594.

الإعلان الأول: التوحيد:

إن أول إعلان أطلقه (صلى اللّه عليه و آله) فى خطبته الأولى فى مكه هو التوحيد، و رفض الشريک للّه تبارک و تعالى فقال (صلى اللّه عليه و آله): (لا إله إلا اللّه وحده لا شريک له).

و التوحيد هو غايه الغايات، و أساس الكمالات، و منشأ السعادات، شرط أن يكون حقيقيا، و تاما، و راسخا، و شاملا لكل مناحى الحياه، فى الفكر، و فى القول، و فى العمل، فلا يوحد اللّه بالقول، ثم تكون شهوته و نفسه، أو ولده، أو زوجته، أو زعيمه، أو أى شى ء آخر هو الذى يتحكم بقراراته، و يهيمن على مواقفه، و على حركته فى الحياه ..

و لا يكون ممن وصفهم اللّه تعالى بقوله: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (1).

لک بها دار فى الجنه:

و يقولون: إنه حين فرغ (صلى اللّه عليه و آله) من خطبته قام أبو أحمد، عبد اللّه بن جحش على جمل له على باب المسجد، و هو يصيح: أنشد باللّه يا بنى عبد مناف حلفى، و أنشد باللّه يا بنى عبد مناف دارى.

فدعا النبى (صلى اللّه عليه و آله) عثمان بن عفان فأسر إليه بشى ء، فذهب عثمان إلى أبى أحمد فسارّه، فنزل أبو أحمد عن بعيره، و جلس مع القوم.

1- الآيه 106 من سوره يوسف.

فما يسمع أبو أحمد ذاكرها حتى لقى اللّه تعالى.

و كان أبو أحمد قد حالف بنى حرب بن أميه. و كان أبو سفيان قد باع دار أبى أحمد بأربع مائه دينار، فثارت ثائره أبى أحمد، و قال أبياتا يلوم فيها أبا سفيان.

فقال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): لک بها دار فى الجنه (1).

و نقول:

أولا: إن عبد اللّه بن جحش قد استشهد فى غزوه أحد (2)، أى قبل فتح مكه بحوالى خمس سنوات.

و أما القول: بأن أبا أحمد هو عبيد اللّه بن جحش- كما ربما يظهر من الكلمات (3)- فلا يصح أيضا؛ لأن من المجمع عليه: أن عبيد اللّه بن جحش كان ممن هاجر إلى الحبشه، و تنصر، و مات هناک، و هو زوج أم حبيبه، التى زوجها النجاشى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، لا نجد خلافا فى ذلک (4).

و الظاهر: أن الصحيح هو: أن اسم أبى أحمد (عبد) بن جحش، بغير

1- راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 840 و 841.
2- طبقات ابن سعد ج 3 ق 1 ص 64 و أسد الغابه ج 3 ص 131 و الإصابه ج 2 ص 287 و صفه الصفوه ج 1 ص 386 و السيره الحلبيه ج 2 ص 300.
3- راجع: السيره الحلبيه ج 2 ص 300.
4- راجع: أسد الغابه ج 3 ص 131 و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج 2 ص 272- 274 و الإصابه ج 4 ص 4 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ق 1 ص 62 و التنبيه و الإشراف ص 223.

إضافه، و قالوا: كان ضريرا، و كانت عنده الفارعه بنت أبى سفيان (1).

ثانيا: ما أبعد ما بين موقف هذا الرجل، حيث وعده النبى (صلى اللّه عليه و آله) بدار فى الجنه فى مقابل داره، فنزل عن بعيره، و جلس مع القوم، فما سمع ذاكرها حتى لقى اللّه تعالى .. و بين موقف سمره بن جندب الذى كانت له نخله فى دار شخص آخر، فصار يدخل إليها من دون إذن، و رفض الإنصياع لطلب صاحب الدار بالإستئذان، و رفض طلب النبى (صلى اللّه عليه و آله) منه أن يستأذن، ثم رفض أن يبيعها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعذق فى الجنه، فلم يزل يزيده حتى بلغ عشره أعذاق.

فقال: لا أريد.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): إنک رجل مضار، و لا ضرر و لا ضرار على مؤمن.

ثم أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالنخله فقلعت، ثم رمى بها إليه، و قال له: اذهب فاغرسها حيث شئت (2).

1- راجع: الإصابه ج 4 ص 3 و 4 و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 12 و 13 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ق 1 ص 62.
2- الكافى ج 5 ص 294 و راجع ص 292 و راجع أيضا: من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 233 و 103 و تهذيب الأحكام ج 7 ص 147 و الوسائل ج 17 ص 340 و 341 و البحار ج 100 ص 127 و الفائق ج 2 ص 442 و مصابيح السنه للبغوى ج 2 ص 14 و النظم الإسلاميه ص 321 عن أبى داود، و عن عون المعبود ج 2 ص 352.

صدق وعده، و نصر عبده:

1- و قد بيّن (صلى اللّه عليه و آله): أن هذا الفتح العظيم قد كان وعدا من اللّه، و قد أنجز تبارک و تعالى وعده، و هذا يمثل دلاله أخرى لعبّاد الأصنام الذين ما زالوا يحاربونه حتى تلک اللحظه، و يجهدون للاحتفاظ بشركهم و بأصنامهم، على أن عليهم أن يتخلوا عن حاله الصلف و العناد، فهم أحقر و أعجز من أن يتمكنوا من تحدى إراده اللّه تبارک و تعالى ..

و ها هم يرون بأم أعينهم كيف أن اللّه أنجز وعده لنبيه الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، رغم كل ما كادوه به.

2- ثم إنه تعالى لم ينسب النصر إلى نفسه، و لا تبجح- و العياذ باللّه- بتدبيره الذكى، و خطته المحكمه، و لا فاخر بجيشه الكبير، بل نسبه إلى اللّه دون سواه، بل هو لم يفسح المجال لاحتمال أن يكون لغير اللّه أدنى تأثير فى هذا النصر حين صرح: بأن اللّه وحده قد هزم الأحزاب المختلفه التى كانت تتألب عليه، و تجمع الجموع من كل قبيله و حى، و من مختلف البلاد التى تجد فيها من يعينها، و يشاركها فى عدوانها على الحق و أهله ..

3- و قد احتفظ (صلى اللّه عليه و آله) لنفسه بسمه العبوديه التى يأنف الناس من إطلاقها على أنفسهم إلا بضروب من التأويلات، و فنون من الإيحاءات، و لو بمثل دعوى التواضع، و هضم النفس.

و الحرب مع المشركين هى فى واقعها حرب مع حاله الإستكبار عن الإنصياع لهذه الحقيقه، و الإباء عن الإعتراف بها. فإنهم لا يريدون أن يكونوا عبيدا للّه، بل يريدون أن يكونوا عبيدا لشهواتهم، و لأهوائهم، و لعتاتهم، و ساداتهم، و كبرائهم، الذين يتخذونهم أربابا من دون اللّه تعالى.

و لكن الرسول العظيم، و النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله) كان يرى أن أعظم و سام، و أسمى مقام هو و سام و مقام العبوديه للّه سبحانه، و كلما تحقق الإنسان فى هذه العبوديه، و أوغل فيها كلما سما فى مدارج الكمال، و حصل على مقام القرب و الزلفى من اللّه، و يكون مع اللّه، و يكون اللّه تعالى معه، يحب ما يحب، و يكره ما يكره، و يريد ما يريد .. فإن للّه عبادا إذا أرادوا أراد (1).

و فى الحديث القدسى: عبدى أطعنى تكن مثلى، تقول للشى ء: كن، فيكون (2).

نعم .. إنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يعط لنفسه ألقابا، و لا منحها أوصافا، بل هو لم يشر إليها بأيه كلمه تدل على أن لها أى درجه من الإستقلال، و الإنفصال، و لو بمقدار كلمه (أنا)، بل حين تحدث عن نفسه قد وصفها بما دل على سلب أيه خصوصيه من هذا القبيل، ألا و هو وصف العبوديه له تعالى ..

إلا الإذخر:

و ذكروا: أن العباس هو الذى استثنى الإذخر، من بين الأمور التى حرم على الناس العدوان عليها .. قالوا: (فقال العباس، و كان شيخا مجربا:

1- أضواء على السنه المحمديه لأبى ريه ص 125 و نظرات فى التصوف و الكرامات لمحمد جواد مغنيه 89.
2- مستند الشيعه ج 1 ص 6 و الإمام على للهمدانى ص 362 و الفوائد الرجاليه لبحر العلوم ج 1 ص 29 و راجع: الفوائد العليه ج 2 ص 394 و الجواهر السنيه 361 و البحار ج 102 ص 165 و شجره طوبى ج 1 ص 33 و مشارق أنوار اليقين ص 10.

إلا الإذخر يا رسول اللّه، فإنه لا بد لنا منه، للقين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ساعه، ثم قال: إلا الإذخر، فإنه حلال).

و نقول:

إن هذا الموقف يحتاج إلى تبصر و تأمل، و لكننا نكتفى هنا بالإلماح إلى بعض ما يظهر لنا فيه.

فأولا: هل كان النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، الذى لم يزل يخبر الناس بالمغيبات، لا يعرف أن الإذخر مما يحتاج إليه للقين، و لأسقف البيوت؟! و عرف ذلک العباس دونه؟!

ثانيا: هل عرف ذلک العباس و لم يعرفه سائر شيوخ قريش، و سواها من ساكنى مكه، من بنى بكر و خزاعه، و .. و ..؟!

ثالثا: هل كان النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) يحلل و يحرم من عند نفسه؟! أم كان يتكلم بوحى من اللّه تعالى؟!

فإن كان ما يأتى به هو الوحى الإلهى، فما معنى تدخل العباس فيه؟

فهل لم يكن اللّه- و العياذ باللّه- يعرف قيمه الإذخر، و أهميته لأهل مكه، حتى نطق العباس؟ أم انه كان يعرف ذلک، لكنه كان يريد تصعيب الأمور عمدا على أهل مكه؟! ثم تراجع استجابه لطلب العباس؟!

و إن كان ما يأتى به إنما يأتى به من عند نفسه، فلما ذا يقول القرآن عنه:

وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى؟! (1).

1- الآيتان 3 و 4 من سوره النجم.

و كيف نستطيع أن نفرق بين ما يكون من عند نفسه، و ما يكون من عند ربه، فنتدخل فى الأول، و نسكت فى الثانى؟!

و إذا كان يتكلم من عند نفسه، فهل هو يخطئ فيه، و يسهو و .. و ..

الخ ..؟! أم أنه معصوم فيه؟!

فإن كان يخطئ فيه، فلا شى ء يدعو إلى الوثوق بما يأتى به. و هل يمكن تجزئه العصمه؟ و إن كان معصوما فيه، فلما ذا يتدخل العباس أو غيره فى شأن لا يمكن أن يقع فيه خطأ و لا سهو، و لا تقصير؟! ..

رابعا: لماذا سكت النبى (صلى اللّه عليه و آله) هذا الوقت الطويل و لم ينطق بالحكم مباشره ألا يدل سكوته هذا على أنه قد تبرم و تضايق من تدخل العباس فى أمر إلهى، و وحى ربانى، و حكم شرعى، لا يحق لأحد التدخل فيه؟!

أم أنه سكت ليتأمل فى صحه كلام العباس، و خطئه، فلما ظهر له وجه الصواب فيه أقره؟!

ألا يعدّ هذا النوع من الإحتمالات إهانه لمقام النبوه الأقدس، و إساءه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ما بعدها إساءه؟!

خامسا: هل جاء قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن الإذخر:

(فإنه حلال) حكايه لحكم اللّه الواقعى، أم جاء مجاراه للعباس، و إرضاء لخاطره الشريف، و إنفاذا لأمره، الذى جاء بطريقه تضمنت إساءه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و خروجا عن حدود الآداب.

سادسا: إذا كان الناس يحتاجون الإذخر، و هو الحشيش الأخضر لظهور البيوت، فإنهم يحتاجون الأشجار لأمور أخرى، مثل صنع الأبواب، و عمل

الكراسى، و المناضد، و سائر الحاجات .. فلما ذا منع من قطع الشجر أيضا، مع أن الحاجه إلى قطعه أشد من الحاجه إلى الحشيش الأخضر؟

كما أنهم يحتاجون إلى العظاه- هو الشجر الذى له شوک- لأجل الوقود و إنضاج الأطعمه، و التدفئه، و نحو ذلک، فلما ذا لم يرخص لهم به أيضا.

و اقتصرت الرخصه على الإذخر؟!

إن الحقيقه هى: أن هؤلاء الناس يريدون أن يمنحوا العباس شرفا، فمنحوه ما يوجب نقصا و تقززا و قرفا. و أرادوا أن يسموه بسمات الأخيار و الأبرار، فوصموه بما يهين و يشين من وصمات الأشقياء و الأشرار ..

اجتهاد الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و قد زعم بعض الناس: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان متعبدا بالاجتهاد فيما لا نص فيه .. و قد استدلوا على ذلک بأدله واهيه .. و من ذلک فى فتح مكه حسبما ذكره الآمدى:

1- روى عنه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال فى مكه: لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها.

فقال العباس: إلا الإذخر.

فقال (عليه السلام): إلا الإذخر.

قال: (و معلوم أن الوحى لم ينزل عليه فى تلک الحاله، فكان الإستثناء بالإجتهاد) (1).

1- الإحكام فى أصول الأحكام ج 4 ص 144 و 145 ..

و قال فی موضع آخر: (معلوم أن ذلک لم یکن إلا من تلقاء نفسه، لعلمنا: بأن الوحی لم ینزل علیه فی تلک الحاله، و لو لا أن الحکم مفوض إلیه لما ساغ ذلک) (1).

و لکن الآمدی نفسه قد ذکر: أن بعضهم أجاب عن ذلک بقوله: (إن الإذخر لیس من الخلا، فلا یکون داخلا فیما حرم. و علی هذا، فإباحته تکون بناء علی استصحاب الحال. و الإستثناء من العباس و النبی (علیه السلام) کان تأکیدا. و بتقدیر أن یکون مستثنی حقیقه مما حرم بطریق التأسیس، لکن من المحتمل أن یکون ذلک بوحی سابق، و هو الأولی، لقوله تعالی فی حق رسول اللّه: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (2). أما أن یکون ذلک من تلقاء نفسه من غیر دلیل فلا) (3).

و نقول:

ألف: إن من الواضح: أن العباس قد قطع علی النبی (صلی اللّه علیه و آله) کلامه، و لم یمهله لیستثنی الإذخر و لا غیره .. و لعل سکوت النبی (صلی اللّه علیه و آله) لفتره قصیره فی تلک اللحظه کان لإظهار انزعاجه من هذه المداخله، التی تخرج عن حدود المقبول فی التعامل مع الأنبیاء، بل و مع غیرهم أیضا ..

ب: علی أننا فی غنی عن التذکیر بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان

1- الإحکام فی أصول الأحکام ج 4 ص 184.
2- الآیتان 3 و 4 من سوره النجم.
3- الإحکام فی أصول الأحکام ج 4 ص 144 و 145 ..

واقفا على ملاكات الأحكام، عارفا بحدود الحلال و الحرام، فلا حاجه إلى الوحى الفعلى و التفصيلى فى كل كبيره و صغيره، و لذلک فوض اللّه تعالى إليه حق وضع الأحكام و تشريعها فى الوقت الذى تكتمل فيه عناصره ..

و قد أوضحنا ذلک فى كتابنا: (الولايه التشريعيه) فراجع.

2- و استدلوا- كما ذكره الآمدى أيضا- بما روى عنه (صلى اللّه عليه و آله): (أنه أمر مناديا يوم فتح مكه: (أن اقتلوا ابن حبابه، و ابن أبى سرح، و لو كانا متعلقين بأستار الكعبه) ثم عفا عن ابن أبى سرح، بشفاعه عثمان.

و لو كان قد أمر بقتله بوحى لما خالفه بشفاعه عثمان) (1).

و أجابوا أيضا: (يجوز أن يكون قد أبيح القتل، و تركه بالوحى، بدليل ما سبق فى الآيه) (2).

أى بدليل أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يقول ما يقول إلا بوحى، لقوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى.

غير أننا بنحو آخر من البيان نقول:

إن الحكم بالقتل كان متعلقا بهؤلاء الناس، من حيث أن جرمهم يوجب ذلک .. فإذا استجدت أمور، مثل ظهور التعصب القبلى أو حدوث انشقاقات خطيره توجب فسادا كبيرا، و تضييعا لحقوق الكثيرين، و صدا عن سبيل اللّه، بحيث يمنع ذلک من دخول بعض الناس فى الإسلام أو نحو ذلک، فإن الحكم بالقتل يرتفع و يحل محله العفو. أى أن الحكم يتبدل

1- الإحكام فى أصول الأحكام ج 4 ص 182.
2- الإحكام فى أصول الأحكام ج 4 ص 184.

بسبب تبدل طرأ على موضوعه.

و هذا نظير ما لو استحق ولدک عقوبه على ذنب ارتکبه، فإذا شفع له إنسان عزيز تحب أن تکرمه و تظهر للناس موقعه و مکانته، فإنک تعفو عنه من أجله، و کذلک الحال فيما إذا شفع فيه إنسان ظالم يخشى من أن يتسبب رد أمره ورود ظلم أو أذى على أناس أبرياء، فإنک تغض النظر عن عقوبه ذلک المذنب، و تظهر أنک قد عفوت عنه رعايه لهذه الخصوصيه.

فظهر أن هناک حکمين قد اختلفا بسبب اختلاف موضوعيهما، و قضيه ابن سرح من هذا القبيل.

کفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بکر:

و أما ما ورد فى الخطبه: من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال فيها: (.. کفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بکر، من ضحوه نهار الفتح إلى صلاه العصر منه).

فخبطوهم ساعه، و هى الساعه التى أحلت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لم تحل لأحد قبله.

فنقول فيه:

أولا: إن هذا النص إنما ورد فى بعض نصوص الخطبه دون بعض ..

و هذا و إن کان لا يدل على عدم صحه هذه الفقره، و لکنه يفسح المجال للتأمل فى صحتها، و إن وجد ما يقتضى ذلک. کما هو الحال فى هذا المورد کما سنرى.

ثانيا: إذا کانت بنو بکر قد هاجمت جزاعه و قتلت منها، فإن قريشا قد

شاركت فى هذا الأمر، و كانت مع من هاجم، ثم أرسلت أبا سفيان ليخدع المسلمين، و يبطل دم المقتولين المظلومين .. فلما ذا لا يشرک قريشا مع بنى بكر فى إعطاء خزاعه حق قتلهم؟

ثالثا: إذا كان ثأر خزاعه عند بنى بكر، و قريش بريئه منه، فلما ذا اعتبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) ما جرى نقضا للعهد من قبل قريش بالذات؟! و ما المبرر لجمع هذا الجيش العظيم، و مهاجمه مكه، و فتحها؟!

و لماذا نهى خالد بن الوليد عن القتال؟ و أمره أن يكف عن ملاحقه الناس؟!

و كيف سيفهم الناس ذلک كله، خصوصا أهل مكه الذين استسلموا و لم يسلموا، و لما يدخل الإيمان فى قلوبهم؟!

رابعا: إن وقت صلاه العصر إذا كان يبدأ من حين الإنتهاء من صلاه الظهر إلى حين الغروب، فإن معنى قوله: (من ضحوه نهار الفتح إلى صلاه العصر منه) يصبح غير واضح المعنى. إلا إذا أريد الحديث عن وقت فضيله العصر ..

و على كل حال، فقد أشرنا إلى ما هو الحق فى وقت صلاه العصر فى فصل: المسير إلى حصون قريظه، تحت عنوان: لماذا لم يعنف النبى (صلى اللّه عليه و آله) تاركى الصلاه؟!

خامسا: لم يذكر لنا التاريخ شيئا عن قتلى بنى بكر على يد خزاعه، و لا قتلى خزاعه على يد المدافعين من بنى بكر، فهل يعقل أن تستمر معركه ساعات طوالا، و لا يسقط فيها عشرات القتلى و الجرحى؟!

سادسا: الضحوه: هى ارتفاع النهار، فإذا كانوا قد خبطوهم من ضحوه النهار إلى وقت صلاه العصر، فإن ذلک يكون ساعات لا ساعه

واحده، و كيف إذا كان (يقصرها بيده هكذا)؟!

و أخيرا ما معنى: أن يكرر نفس العباره فى نفس تلک الخطبه، فيذكرها فى وسطها، ثم يذكرها فى آخرها؟!.

اكتبوا لأبى شاه:

و قوله (صلى اللّه عليه و آله): اكتبوا لأبى شاه، و عشرات الروايات الأخرى الآمره بتقييد العلم و بكتابته حجه دامغه على الذين منعوا من كتابه الحديث بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

على أن ما زعموه مبررا لذلک، و هو: أنهم خافوا من اختلاط الحديث بالقرآن، أو أنه لا كتاب مع كتاب اللّه، ما هو إلا رد للنص من أجل مآرب خاصه، لا نريد الإفاضه فى بيانها. و قد ذكرنا طائفه مما يفيد فى هذا البحث فى الجزء الأول من هذا الكتاب، فراجع.

التبرک بالرسول صلّى اللّه عليه و آله:

عن عبد اللّه بن عبيده: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعد خطبته عدل إلى جانب المسجد، فأتى بدلو من ماء زمزم، فغسل منها وجهه، ما يقع منه قطره إلا فى يد إنسان، إن كانت قدر ما يحسوها حساها، و إلا مسح جلده.

و المشركون ينظرون، فقالوا: ما رأينا ملكا قط أعظم من اليوم. و لا قوما أحمق من القوم (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 243 عن ابن أبى شيبه.

ص: 275

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه

اشاره

مفتاح الکعبه مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله:

ثم خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من البیت و المفتاح فی یده، و خالد بن الولید یذب الناس عن الباب حتی خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و عن بره بنت أبی تجراه، قالت: نظرت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و فی یده المفتاح، ثم جعله فی کمه (1).

قال الزهری: إنه بعد أن خطب النبی (صلی اللّه علیه و آله) خطبته المتقدمه، نزل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و معه المفتاح، فتنحی من المسجد، فجلس عند السقایه (2).

و کان (صلی اللّه علیه و آله) قد قبض مفتاح السقایه من العباس، و مفتاح البیت من عثمان. فأرجع المفتاح إلی عثمان و دفع السقایه إلی

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 242 عن الواقدی، و السیره الحلبیه ج 3 ص 100 و المغازی للواقدی ج 2 ص 835.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 243 عن عبد الرزاق، و الطبرانی، و المغازی للواقدی ج 2 ص 837 و 838.

العباس (1).

مفتاح الكعبه لبنى شيبه:

و قالوا: قال عثمان بن طلحه: لقينى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بمكه قبل الهجره، فدعانى إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لک حيث تطمع أن أتبعک، و قد خالفت دين قومک، و جئت بدين محدث.

و كنا نفتح الكعبه فى الجاهليه الإثنين و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبه مع الناس، فأغلظت عليه، و نلت منه.

فحلم عنى، ثم قال: (يا عثمان، لعلک سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت).

فقلت: لقد هلكت قريش و ذلت.

قال: (بل عمرت يومئذ و عزت).

و دخل الكعبه، فوقعت كلمته منى موقعا، فظننت أن الأمر سيصير كما قال، فأردت الإسلام، فإذا قومى يزبروننى زبرا شديدا.

فلما كان يوم الفتح قال لى: (يا عثمان، ائت بالمفتاح).

فأتيته به. فأخذه منى، ثم دفعه إلى و قال: (خذوها خالده تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن اللّه استأمنكم على بيته، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف).

فلما وليت نادانى، فرجعت إليه، فقال: (ألم يكن الذى قلت لک؟

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 243 عن الواقدى، عن شيوخه، و المغازى للواقدى ج 2 ص 837 و 838.

فذكرت قوله لی بمكه قبل الهجره: (لعلک سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت).

فقلت: بلى. أشهد أنک رسول اللّه.

فقام على بن أبى طالب، و مفتاح الكعبه بيده، فقال: يا رسول اللّه، اجمع لنا الحجابه مع السقايه!

(و فى روايه: أن العباس تطاول يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم. أى منهم على (عليه السلام)) (1).

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أين عثمان بن طلحه؟

فدعى، فقال: (هاک مفتاحک يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء).

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مضطبع (2) بثوبه عليه، و قال: (غيبوه. إن اللّه تعالى رضى لكم بها فى الجاهليه و الإسلام) (3).

و عن ابن جريح: أن عليا (عليه السلام) قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله): اِجمع لنا الحجابه و السقايه، فنزلت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. (4).

1- راجع هذه الفقره فى: السيره الحلبيه ج 3 ص 100 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 244 و فى هامشه عن البدايه و النهايه ج 4 ص 301.
2- اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن و غطى به الأيسر.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 244 عن ابن سعد و الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 100 و 101 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 837 و تاريخ الخميس ج 2 ص 85 و 88 و عن البدايه و النهايه ج 4 ص 301.
4- الآيه 58 من سوره النساء.

فدعا عثمان، فقال: (خذوها يا بنى شيبه خالده مخلده).

و فى لفظ: (تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم) (1).

و عن جابر و مجاهد: أنه (صلى اللّه عليه و آله) دخل فى الكعبه يوم الفتح، فخرج (صلى اللّه عليه و آله) و هو يتلو هذه الآيه، فدعا عثمان بن طلحه، فدفع إليه المفتاح، و قال (صلى اللّه عليه و آله): (خذوها يا بنى أبى طلحه بأمانه اللّه سبحانه و تعالى لا ينزعها منكم إلا ظالم) (2).

و عن سعيد بن المسيب: (لا يظلمكموها إلا كافر) (3).

و فى لفظ ابن سابط: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعثمان بن طلحه:

(إنى لم أدفعها إليكم، و لكن اللّه تعالى دفعها إليكم) (4).

و عن الزهرى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما خرج من البيت قال على (عليه السلام): (إنا أعطينا النبوه و السقايه و الحجابه، ما قوم بأعظم نصيبا منّا).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 244 و 245 عن ابن عائذ، و الأزرقى، و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 100.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 245 عن الأزرقى و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ج 11 ص 120، و انظر المجمع ج 3 ص 285 و ابن سعد ج 2 ق 1 ص 99 و أبا نعيم فى تاريخ أصفهان ج 1 ص 248 و السيوطى فى الدر المنثور ج 2 ص 175 و 174 عن ابن جرير و ابن المنذر.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 245 و السيره الحلبيه ج 3 ص 101.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 244 عن ابن عائذ، و ابن أبى شيبه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 101.

فکره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحه، فدفع المفتاح إلیه و قال: (غیبوه) (1). فلذلک یغیب المفتاح (2).

و عند الحلبی: أن علیا (علیه السلام) أخذ المفتاح و قال: یا رسول اللّه، إجمع لنا الحجابه مع السقایه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله) لعلی (علیه السلام): أکرهت و آذیت، و أمره (صلی اللّه علیه و آله) أن یرد المفتاح علی عثمان و یعتذر إلیه، فقد أنزل اللّه فی شأنک. أی أنزل اللّه علیه ذلک و هو فی جوف الکعبه. و قرأ علیه الآیه، ففعل ذلک علی) (3).

و سیاق هذه الروایه یدل: علی أن علیا کرم اللّه وجهه أخذ المفتاح علی أن لا یرده لعثمان، فلما نزلت الآیه أمره (صلی اللّه علیه و آله) أن یرد المفتاح لعثمان .. (4).

و عن ابن جریج عن ابن ملیکه: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال لعلی یومئذ حین کلمه فی المفتاح: (إنما أعطیتکم ما ترزؤون، و لم أعطکم ما ترزؤون).

یقول: (أعطیتکم السقایه لأنکم تغرمون فیها، و لم أعطکم البیت).

قال عبد الرزاق: أی أنهم یأخذون من هدیته (5).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 245 عن عبد الرزاق، و الطبرانی.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 244 عن الفاکهی.
3- السیره الحلبیه ج 3 ص 100.
4- السیره الحلبیه ج 3 ص 100.
5- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 245 عن عبد الرزاق و السیره الحلبیه ج 3 ص 100 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 85.

و عند الحلبى: إنما أعطيتكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس، أى و هو السقايه، لا ما تأخذون منه من الناس أموالهم، و هى الحجابه، لشرفكم، و علو مقامكم (1).

و اللافت هنا: أن الواقدى يذكر نفس هذه القضيه، بعين ألفاظها، و ينسبها إلى العباس لا إلى على (عليه السلام) (2).

عن ابن أبى مليكه: أن العباس- رضى اللّه عنه- قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله): يا نبى اللّه!! اجمع لنا الحجابه مع السقايه.

و نزل الوحى على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: (ادعوا لى عثمان بن طلحه)، فدعى له، فدفع له النبى (صلى اللّه عليه و آله) المفتاح، و ستر عليه.

قال: فرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أول من ستر عليه، ثم قال:

(خذوها يا بنى طلحه، لا ينتزعها منكم إلا ظالم) (3).

و فى روايه: (أنه لما دعا عثمان بن طلحه، و قال له: أرنى المفتاح، فأتاه به، فلما بسط يده إليه قام العباس، فقال: يا رسول اللّه، اجعله لى مع السقايه، فكف عثمان يده.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): أرنى المفتاح، فبسط يده يعطيه.

فقال العباس مثل كلمته الأولى، فكف عثمان يده.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 100.
2- راجع: المغازى ج 2 ص 833 و تاريخ الخميس ج 2 ص 85 عن البحر العميق.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 245 عن عبد الرزاق.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): يا عثمان، إن كنت تؤمن باللّه و اليوم الآخر فهاتنى المفتاح.

فقال: هاک بأمانه اللّه).

(فأعطاه إياه، و نزلت الآيه. قال ابن ظفر فى الينبوع: و هذا أولى) (1).

و لعل هذا كان قبل دخوله (صلى اللّه عليه و آله) الكعبه، فيكون طلب العباس رضى اللّه عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبه و بعده (2).

و بعد أن ذكر الحلبى: أن عليا (عليه السلام) دفع المفتاح إلى عثمان .. ثم ذكر أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) طلب من عثمان أن يأتى به، قال عثمان:

فأتيته به، فأخذه ثم دفعه إلىّ و قال: خذوها خالده تالده، لا ينزعها منكم إلا ظالم الخ ..

قال الحلبى: (و لا مانع أن يكون ذلک بعد أن دفعه على كرم اللّه وجهه له بأمره (صلى اللّه عليه و آله)، و كأنه (صلى اللّه عليه و آله) أحب أن يؤدى الأمانه بيده الشريفه من غير واسطه ..) (3).

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم عده وقفات، نجملها على النحو التالى:

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 87 و الدر المنثور ج 2 ص 174 عن ابن مردويه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 101.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 101.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 101.

السقایه:

ذکرت الروایه المتقدمه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قبض مفتاح السقایه من العباس.

و السؤال هو: هل کان للسقایه من زمزم مفتاح أیضا؟! أم المقصود هو جعل السقایه فی عداد الحجابه؟!

و الذی نعرفه هو: أن السقایه کانت أحواضا من أدم، یوضع فیها الماء العذب من زمزم لسقایه الحاج، و قد یطرح فیها التمر، لتزید عذوبه الماء، و یلذ طعمه لشاربه.

فلعلهم کانوا قد وضعوا موانع تمنع الناس من الوصول إلی تلک الأحواض، و جعلوا لها أقفالا و مفاتیح.

توضیح أکرهت و آذیت:

ذکرت بعض الروایات المتقدمه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قال لعلی (علیه السلام) حین طلب منه أن یجمع لهم الحجابه إلی السقایه:

أکرهت و آذیت. و أمره أن یرد المفتاح إلی عثمان، و یعتذر إلیه.

و نقول:

المقصود: أن علیا (علیه السلام) أکره و آذی عثمان بن طلحه حین امتنع عن دفع المفتاح، حیث لحقه إلی سطح الکعبه، و لوی یده، و أخذ المفتاح منه، و هو إکراه و أذی یحبه اللّه سبحانه، و فی سیاق امتثال أوامره تعالی، فإن امتناع عثمان عن إعطاء المفتاح یفرض إکراهه علی ذلک، لأن امتناعه یمثل تمردا علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الذی لا ینطق عن

الهوى .. فإذا لجّ فى ذلک، فلا بد من إيذائه لدفع أذاه، و رد كيده ..

فكأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يريد تطييب خاطر عثمان و بنى شيبه، و رد المفتاح إليهم تألفا على الإسلام، كما كان يتألف أبا سفيان، و غيره من رؤوس الكفر و الشرک.

أعطيتكم ما ترزؤون:

و قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) للعباس: أعطيتكم ما ترزؤون.

أى ما تبذلون فيه اموالكم للناس، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالا يوضح: أن إعطاء الحجابه لبنى شيبه يراد منه إفساح المجال لهم لأخذ ما يقدمه الناس لهم، و هذا يؤيد ما ذكرناه آنفا من أن المقصود من بذل تلک المنافع لهم هو: تألفهم على الإسلام، و سل سخيمتهم عليه، ليعيشوا فى أجوائه بسكينه و رضا.

و لو أن بنى هاشم أخذوا الحجابه منهم، لوجد المنافقون و الحاسدون و الطامعون مجالا خصبا لاتهام النبى (صلى اللّه عليه و آله) بمحاباه أهل قرابته، و ابتغاء المنافع لهم، و تخصيصهم بالمغانم، و الأموال، و المناصب، الأمر الذى قد يؤثر على ضعفاء العقول، و من هو رقيق الدين، حديث الإيمان و الإسلام.

و لا نشک فى أن عليا (عليه السلام) كان يدرک هذه الحقيقه، فلم يكن ليفكر بطلب الحجابه لنفسه، و لا لبنى هاشم أصلا كما سنرى .. و لكن الأمر بالنسبه للعباس ليس كذلک، فقد دلتنا بعض النصوص على أنه كان يسعى للحصول على بعض المنافع.

و قد أشرنا إلى شی ء من ذلک فیما سبق، و لسنا بصدد تحقیق هذا الأمر.

اللّه یأمرکم أن تؤدوا الأمانات:

و حول نزول آیه: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها .. (1)

نقول:

إن هذه الآیه قد وردت فی سوره النساء التی انتهی نزولها قبل فتح مکه بعده سنوات، و لو قبلنا جدلا بأن هذه الآیه قد ألحقت بموضعها من السوره بعد سنوات من تمامیه نزولها، و هو أمر لا شاهد له سوی الإدعاء و التحکم، فإننا نقول:

قد روی فی شأن نزول هذه الآیه ما یدل علی أنها لم تنزل فی شأن عثمان بن طلحه فی فتح مکه فلاحظ ما یلی:

1- عن زید بن أسلم: أنزلت هذه الآیه فی ولاه الأمر، و فیمن ولی من أمور الناس شیئا (2).

2- عن شهر بن حوشب قال: نزلت فی الأمراء خاصه، إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها .. (3).

3- عن ابن عباس فی قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ

1- الآیه 58 من سوره النساء.
2- الدر المنثور ج 2 ص 175 عن المصنف لابن أبی شیبه، و ابن جریر، و ابن المنذر، و ابن أبی حاتم.
3- الدر المنثور ج 2 ص 175 عن ابن جریر، و ابن أبی حاتم.

إِلى أَهْلِها .. قال: يعنى السلطان، يعطون الناس (1).

على عليه السّلام لا يطلب الحجابه:

و قد ذكرت الروايات: أن عليا (عليه السلام) طلب الحجابه لنفسه أو لبنى هاشم، و قد تضمنت تلک الروايات نفسها أمورا تدل على أنها مفتراه، و نحن نجمل ملاحظاتنا عليها على النحو التالى:

1- إن ثمه تناقضا ظاهرا بين الروايات، بل قد تجد التناقض فى الروايه الواحده و نذكر من ذلک على سبيل المثال لا الحصر:

ألف: أن الروايه تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أخذ المفتاح من عثمان، ثم دفعه إليه، و قال: خذوها خالده تالده الخ ..

ثم إن الروايه نفسها تتبع ذلک بالقول: فقام على بن أبى طالب (عليه السلام) و مفتاح الكعبه بيده، فقال: يا رسول اللّه، اجمع لنا الحجابه مع السقايه.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أين عثمان بن طلحه؟

فدعى، فقال (صلى اللّه عليه و آله): هاک مفتاحک يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء.

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مضطبع بثوبه عليه ..

فهل أعطى النبى (صلى اللّه عليه و آله) عثمان المفتاح قبل طلب على

1- الدر المنثور ج 2 ص 175 عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

(علیه السلام)؟! أم بعده؟!

و هل کان المفتاح مع علی (علیه السلام)؟! أم مع النبی (صلی اللّه علیه و آله)؟!

و هل استعاد النبی (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح من عثمان، و صار معه، و اضطبع علیه بثوبه؟ أم استعاده من علی (علیه السلام)، کما هو صریح بعض الروایات المتقدمه؟!

ب: هل قال النبی (صلی اللّه علیه و آله): ادعوا لی عثمان، فدعوه، فأعطاه المفتاح حین کلمه علی (علیه السلام) فی أمر الحجابه؟! أم حین کلمه العباس؟!

ج: هل نزلت آیه: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها ..

لحظه استلام النبی (صلی اللّه علیه و آله) المفتاح قبل دخول الکعبه؟! أم نزلت حین کان النبی (صلی اللّه علیه و آله) داخل الکعبه؟!

د: هل إن طلب العباس من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یجعل الحجابه له کان قبل دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) للکعبه؟! أم کان بعد خروجه منها؟!

طریقه جمع فاشله:

و قد احتمل الحلبی الشافعی: أن یکون طلب العباس للحجابه قد تکرر، فکان مره قبل دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الکعبه، و مره بعد خروجه منها (1).

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 101.

و هو كلام غير مقبول .. فإن هذا الطلب قد جوبه بالرفض، و جعل الحجابه لبنى شيبه، و نزول آيه أداء الأمانه إلى أهلها .. فبعد هذا و ذاک لا يبقى مجال لتكرار الطلب من العباس، فإنه سيكون أمرا منافيا للتسليم لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مخالفا للأدب معه، فلا يقدم عليه العباس، و لا غيره، فإن الكل يعلم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يخالف ما يأمره اللّه تبارک و تعالى به.

أو فقل: إن الآيه قد نزلت لتحسم أمر المفتاح، فمعنى معاوده الطلب هو رفض القرار الإلهى أو الاعتراض عليه، و هذا مما لا يمكن أن يقدم عليه مثل العباس.

السدانه و السقايه مردودتان إلى أهليهما:

و قد صرحت الخطبه المتقدمه: بأن الحجابه (السدانه) و السقايه مردودتان إلى أهليهما ..

و تقدم أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) بعد أن طمس الصور التى كانت فى داخل الكعبه، أخذ بعضادتى الباب، فخطب خطبته الآنفه الذكر .. و قد ورد فى خطبته تلک قوله: (إلا سدانه البيت، و سقايه الحج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

فرد السقايه و السدانه إلى أهليهما قد حصل قبل أن يغادر النبى (صلى اللّه عليه و آله) باب الكعبه ..

و لكن الروايات المتقدمه تدّعى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد وضع المفتاح فى كمه، و تنحى ناحيه المسجد، فجلس عند السقايه، ثم رد الحجابه

و السقايه على أهليهما.

و هناک طلب العباس، أو على (عليه السلام)، أو كلاهما- حسب زعمهم- الحجابه لنفسه، أو لعشيرته ..

فكيف يطلبانها بعد أن صرح (صلى اللّه عليه و آله) بردها إلى أهلها قبل أن يغادر باب الكعبه؟!

أعطينا النبوه و السقايه و الحجابه:

و أما ما نسب إلى على (عليه السلام) من أنه قال: أعطينا النبوه، و السقايه، و الحجابه. ما قوم بأعظم نصيبا منا، فهو:

إما لم يحصل إن كان يقصد به إعطاء المفتاح لهم، و إيكال أمر الحجابه إليهم. لأن ما حصل هو مجرد أخذ النبى (صلى اللّه عليه و آله) المفتاح لفتح باب الكعبه، لإزاله ما فى داخلها مما يسى ء إليها، و لم يعط النبى (صلى اللّه عليه و آله) الحجابه لأحد. لا لبنى هاشم و لا لغيرهم، و لا تعرض لهذا الأمر بعد، لا بالسلب و لا بالإيجاب، و لم تظهر منه أيه إشاره إلى الجهه التى سوف يوكل إليها أمر الحجابه ..

و إما أنه قد حصل، و لكن قد قصد به معنى آخر، و هو: أن أمر الحجابه و السقايه قد أصبح لرسول اللّه يضعه حيث يشاء.

فرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من بنى هاشم، و له النبوه، و له أمر السقايه و الحجابه، فيصح للهاشمى أن يقول: (أعطينا النبوه، و السقايه، و الحجابه، ما قوم بأعظم نصيبا منا). و لا يخفى أنه بهذا المعنى تكون كل الأمور بيد النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فلا خصوصيه للسقايه و الحجابه.

إلا أن يدّعى: أن الخصوصيه كون المقام مقام جعل هذين الأمرين- السقايه و الحجابه- فى أهليهما دون غيرهما من الأمور!!

و الحاصل: أن المقصود إن كان هذا المعنى، فلا معنى لما تذكره الروايه من أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كره مقالته .. بل المتوقع منه هو أن يؤيدها، و يصدقها.

و إن كان المقصود: هو المعنى الأول، فذلک لا يقصده على (عليه السلام)، لأنه أمر لا واقع له.

البيعه فى فتح مكه:

عن الأسود بن خلف: أنه رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قرن مسفله، فبايع الناس على الإسلام، فجاءه الكبار و الصغار، و الرجال و النساء، فبايعهم على الإيمان باللّه تعالى، و شهاده أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا عبده و رسوله (1).

و قال ابن جرير: اجتمع الناس بمكه لبيعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على الإسلام، فجلس لهم- فيما بلغني- على الصفا، و عمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأخذ على الناس السمع و الطاعه للّه و لرسوله فيما استطاعوا (2).

فلما فرغ من بيعه الرجال بايع النساء، و فيهن هند بنت عتبه، امرأه أبى

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 247 عن أحمد، و البيهقى، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج 3 ص 415 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 94.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 247 و تاريخ الخميس ج 2 ص 89.

سفیان متنقبه متنکره خوفا من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أن یخبرها بما کان من صنیعها بحمزه، فهی تخاف أن یأخذ بحدثها ذلک.

فلما دنین من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: (بایعننی علی ألا تشرکن باللّه شیئا).

فرفعت هند رأسها و قالت: و اللّه إنک لتأخذ علینا ما لا تأخذه علی الرجال.

فقال: (و لا تسرقن).

فقالت: و اللّه إنی کنت أصبت من مال أبی سفیان الهنه، و ما کنت أدری أکان ذلک حلالا أم لا؟

فقال أبو سفیان- و کان شاهدا لما تقول-: أما ما أصبت فیما مضی فأنت منه فی حل، عفا اللّه عنک.

ثم قال: (و لا تزنین).

فقالت: یا رسول اللّه، أو تزنی الحره؟!

ثم قال: (و لا تقتلن أولادکن).

قالت: قد ربیناهم صغارا، و قتلتهم کبارا، فأنت و هم أعلم.

فضحک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و عمر، ثم قال: (و لا تأتین ببهتان تفترینه بین أیدیکن و أرجلکن).

فقالت: و اللّه، إن إتیان البهتان لقبیح، و لبعض التجاوز أمثل.

ثم قال: (و لا تعصین).

فقالت: فی معروف.

و فی الحلبیه: لما قال (صلی اللّه علیه و آله): و لا تعصین فی معروف.

قالت: و اللّه ما جلسنا مجلسنا هذا و فی أنفسنا أن نعصیک (1).

و فیها أیضا: أن هندا قالت: ما هذا المعروف الذی لا ینبغی لنا أن نعصیک فیه؟

قال: لا تصحن (أو لا تنحن)، و لا تخمشن وجها، و لا تنشرن شعرا، و لا تحلقن قرنا، و لا تشققن جیبا، و لا تدعین بالویل (2).

ثم قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لعمر: (بایعهن، و استغفر لهن اللّه، إن اللّه غفور رحیم).

فبایعهن عمر، و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لا یصافح النساء، و لا یمس جلده امرأه لم یحلها اللّه تعالی له، أو ذات محرم.

و روی الشیخان، عن عائشه قالت: لا و اللّه ما مست ید رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ید امرأه قط.

و فی روایه: ما کان یبایعهن إلا کلاما، و یقول: إنما قولی لامرأه واحده کقولی لمائه امرأه (3).

زاد فی نص آخر قوله: و لا تلحقن بأزواجکن غیر أولادهم (4).

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 96.
2- السیره الحلبیه ج 3 ص 96.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 247 و 248 عن ابن جریر، و فی هامشه عن: مسند أحمد ج 6 ص 357 و زاد المسیر ج 8 ص 145 و البدایه و النهایه ج 4 ص 319 و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 94 و 96 و البحار ج 21 ص 98 عن مجمع البیان ج 9 ص 275 و 276 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 89.
4- السیره الحلبیه ج 3 ص 96.

و جاءه (صلى اللّه عليه و آله) رجل، فأخذته الرعده، فقال له (صلى اللّه عليه و آله): هون عليک، فإنى لست بملک، إنما أنا ابن امرأه كانت تأكل القديد (1).

و روى على بن إبراهيم: عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر (البزنطى)، عن أبان، عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) قال: لما فتح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه بايع الرجال. ثم جاء النساء يبايعنه، فأنزل اللّه عز و جل: يا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِذا جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَکَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَکَ فِى مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (2).

فقالت هند: أما الولد فقد ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا.

و قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام، و كانت عند عكرمه بن أبى جهل: يا رسول اللّه، ما ذلک المعروف الذى أمرنا اللّه أن لا نعصيک فيه؟

قال: لا تلطمن خدا، و لا تخمشن وجها، و لا تنتفن شعرا، و لا تشققن جيبا، و لا تسودن ثوبا، و لا تدعين بويل.

فبايعهن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على هذا.

فقالت: يا رسول اللّه، كيف نبايعک؟

قال: إننى لا أصافح النساء.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 94.
2- الآيه 12 من سوره الممتحنه.

فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها، فقال: أدخلن أيديكن فى هذا الماء، فهى البيعه.

و فى الكافى: رواه عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) مثله (1).

و فى مدارک التنزيل: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لما فرغ من بيعه الرجال أخذ فى بيعه النساء و هو على الصفا، و عمر جالس أسفل منه يبايعهن بأمره، و يبلغهن عنه.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): أبايعكن على أن لا تشركن باللّه شيئا.

فبايع عمر النساء على أن لا يشركن باللّه شيئا الخ .. (2).

ما الذى أضحک عمر بن الخطاب؟!:

و ذكروا: أن هندا لما قالت: قد ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم. ضحک عمر حتى استلقى، و تبسم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (3)، و لم يذكروا عن سبب ضحک أو تبسم عمر شيئا.

و الظاهر هو: أن ثمه تصرفا و حذفا متعمدا، و يدل عليه ما رواه

1- الكافى ج 3 ص 66 و البحار ج 21 ص 134 و 113 و 117 و ج 64 ص 178 عنه و عن تفسير القمى ج 2 ص 364، و الوسائل (ط مؤسسه آل البيت) ج 20 ص 211 و تفسير الصافى ج 5 ص 166 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 307 و تفسير الميزان ج 19 ص 246 و تحف العقول (ط 2) ص 457 عن أبى جعفر.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 89.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 96.

الطبرسی و غیره، قال:

(فقال: و لا تزنین.

فقالت هند: أو تزنی الحره؟

فتبسم عمر بن الخطاب لما جری بینها و بینه فی الجاهلیه.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): و لا تقتلن أولادکن.

فقالت هند: ربیناهم صغارا، و قتلتموهم کبارا، فأنتم و هم أعلم.

و کان ابنها حنظله بن أبی سفیان قتله علی بن أبی طالب (علیه السلام) یوم بدر.

فضحک عمر حتی استلقی، و تبسم النبی (صلی اللّه علیه و آله) ..) (1).

و لکن النص الذی أورده الدیار بکری قد حرّف الحقیقه، و أصبح بحیث یوحی: بأن ضحک النبی (صلی اللّه علیه و آله) إنما کان لأجل أنه عرفها و هی متنقبه و متنکره، فقد قال: (فقالت هند: إن أبا سفیان رجل شحیح، فإن أصبت من ماله هناه؟

فقال أبو سفیان: ما أصبت فهو لک حلال.

فضحک النبی (صلی اللّه علیه و آله) و عرفها، و قال لها: و إنک لهند؟!

فقالت: نعم، فاعف عما سلف یا نبی اللّه، عفا اللّه عنک) (2).

إلا أن یقال: إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد ضحک لما عرفها، فلا مانع من أن یضحک مره أخری حین قالت ما قالت من أجل ما یعرفه عنها.

1- مجمع البیان ج 9 ص 275 و 276 و البحار ج 21 ص 98.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 89.

مع تذكيرنا القارئ الكريم بأننا لا نوافق على زعمهم: من أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يعرفها فى بادئ الأمر.

بل نقول:

إنه قد ضحک منها، لظنها أنه لم يكن قد عرفها.

أو تزنى الحره؟!:

إننا لا نحب أن نذكر بعض الأمور التى قد يسعى البعض لتصنيفها فى عداد الأمور الشخصيه، التى يحسن التستر عليها ما دام أنها لا فائده من إثاره الحديث حولها، لا من الناحيه التربويه و السلوكيه، و لا من الناحيه الإيمانيه و الإعتقاديه، كما لا أثر لها فى استفاده المعنى و المفهوم الذى يفيد فى تحديد النهج، أو يؤثر على المسار السياسى، أو ما إلى ذلک.

غير أننا نقول:

إن هناک ميزات أو حالات شخصيه لبعض الأفراد يفيد التعرف عليها فى وضوح المفهوم العقائدى أحيانا، و ربما يؤثر على المسار و السلوک حتى فى النواحى السياسيه لأمه بأسرها. من حيث إنه يطبعه فى إطار تلک الخصوصيه بطابع الشرع و التدين و الإعتقاد، و الممارسه السياسيه و غيرها ..

و يأتى موضوع هند بنت عتبه فى هذا السياق .. لأن هندا هى أم معاويه مؤسس الدوله الأمويه، التى حكمت الأمه عشرات السنين باسم خلافه النبوه، و باسم الدين و الشرع.

فإذا أثبتت الأحداث و النصوص: أن معاويه كان من الطلقاء ..

و أثبتت وجود شكوک و شبهات فى طهاره مولده، من خلال ما ينسب

لأمه، فإن تصديه لأمر الخلافه، بل لأى مقام هو أقل من ذلک بمراتب، يصبح بلا مبرر حتى بنظر من لا يرون أن الإمامه إنما تجب بالنص و التعيين من اللّه و رسوله ..

بالإضافه إلى آثار أخرى تترتب على ظهور هذه الشكوک ..

من أجل ذلک نقول:

إن النصوص حول هذا الموضوع كثيره نختار منها ما يلى:

قالوا:

1- كانت هند تذكر فى مكه بفجور و عهر (1).

2- كانت كما يقول الكلبى: مغيلمه (أى تغلبها شهوتها)، و كانت تميل إلى السودان من الرجال (2).

3- قد اعترف معاويه نفسه: بأن بعض قريش فى الجاهليه يزعمون: أن معاويه للعباس بن المطلب .. و قد عرّض إسحاق بن طلحه بذلک ليزيد بن معاويه (3).

4- و قد كتب زياد بن أبيه لمعاويه: (و أما تعييرک لى بسميه، فإن كنت ابن سميه، فأنت ابن جماعه) (4).

5- و قال الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاويه: (و قد علمت الفراش

1- شرح النهج للمعتزلى ج 1 ص 336 الخطبه رقم (25) و البحار ج 33 ص 200 و الغدير ج 10 ص 170.
2- راجع: الغدير (ط سنه 1424 ه) ج 11 ص 242 و تذكره الخواص ص 203.
3- ربيع الأبرار ج 3 ص 551 و تذكره الخواص ص 203 و الغدير ج 10 ص 170.
4- شرح النهج للمعتزلى ج 16 ص 183.

الذى ولدت عليه) (1).

6- و تقدم: أن عمر تبسم حين قالت: أو تزنى الحره، لما جرى بينه و بينها فى الجاهليه (2).

إسلام هند بعد أبى سفيان بليله:

قالوا: (و فى إسلام أبى سفيان قبل هند، و إسلامها قبل انقضاء عدتها، أى لأنها أسلمت بعده بليله واحده، و إقرارها على نكاحهما حجه لشافعى ..) (3).

و نقول:

قد تقدم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أرجع زينب على أبى العاص حين أسلم قبل انقضاء عدتها.

كما أن من الواضح: أن مئات من الناس قبل إسلام هند و أبى سفيان قد أسلموا قبل إسلام نسائهم، و لم يفرق النبى (صلى اللّه عليه و آله) بينهم لأنهن أسلمن قبل انقضاء عدتهن، فلا حاجه للاستدلال بهند و زوجها.

إنى لا أصافح النساء:

و جاء: أن بعض النساء- و صرح الواقدى بأنها هند- قالت: يا رسول اللّه، نماسحک، أو قالت: هلم نبايعک يا رسول اللّه.

1- تذكره الخواص ص 201 و 202.
2- و راجع: تذكره الخواص ص 203.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 96 و 97.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): لا أصافح النساء. و إنما قولی لمائه امرأه کقولی لامرأه واحده.

و فی نص آخر: لألف امرأه (1).

و نقول:

لعل طلب النساء منه (صلی اللّه علیه و آله) أن یبایعنه بطریقه المصافحه قد تکرر من قبل عده نساء، فتکررت الإجابه، فعبر تاره بمائه امرأه، و أخری بألف ..

و عن عائشه: لم یصافح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) امرأه قط، و إنما کان یبایعهن بالکلام (2).

و عن الشعبی: بایع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) النساء و علی یده ثوب.

و قیل: إنه غمس یده فی إناء، و أمرهن فغمسن أیدیهن فیه. فکانت هذه البیعه.

قال ابن الجوزی: و القول الأول أثبت (3).

و نقول:

لقد کانت هناک عده بیعات للنساء مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 97 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 148 و المغازی للواقدی ج 2 ص 850 و 851.
2- البحار ج 21 ص 98 و مجمع البیان ج 9 ص 275 و 276 عن صحیح البخاری.
3- السیره الحلبیه ج 3 ص 97 و البحار ج 21 ص 98 و مجمع البیان ج 9 ص 99 و 276 و المغازی للواقدی ج 2 ص 851.

إحداها: يوم الفتح.

و بيعه أخرى: حين قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المدينه، فقد روت أم عطيه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) جمع نساء الأنصار فى بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب، فسلم، فرددن عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليكن، يبايعكن على أن لا تشركن باللّه شيئا .. و قرأ إلى قوله تعالى: .. فِى مَعْرُوفٍ .. (1).

فقلن: نعم.

فمد يده من خارج، و مددن أيديهن من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد.

قال الحلبى: و لعل ذلک كان بحائل، و الفتنه مأمونه (2).

و الخلاصه: أن البيعه قد تكررت قبل الهجره و بعدها، و فى يوم الفتح، و فى غيره، فلعله (صلى اللّه عليه و آله) بايعهن مره بواسطه غمس اليد فى الإناء، و أخرى بالكلام ..

و أما البيعه بالمصافحه من وراء الثوب، فنحن لا نستطيع أن ننسبها إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و قد تقدم التصريح بأنه لا يصافح النساء، و لعل عمر هو الذى فعل ذلک، فنسب ذلک إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، لأنه زعم لهن أنه مرسل من قبله (صلى اللّه عليه و آله).

و دعوى ذلک من قبل الشعبى، الذى قد يتهم: بأنه يريد تبرير فعل

1- الآيه 12 من سوره الممتحنه.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 97.

بعض من كان يسعى لتأييد سلطانهم، و إحكام بنيانهم، تبقى غير قابله للإعتماد، فإن الشعبى لم يكن فى زمان النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و لا ندرى عمن نقل هذه الكذبه الظاهره.

جرأه هند:

أما ما أظهرته هند من جرأه فى محضر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

حتى إنها كانت تعقب على كل كلمه قالها، و كل شرط أخذه (صلى اللّه عليه و آله) على النساء، فقد يحسب البعض أنه أمر تستحق المدح و الثناء عليه، كما أنه يشير إلى أنها تعيش معنى الحريه بمفهومها الأوسع ..

و يؤيد ذلک: أننا لم نجد من النبى (صلى اللّه عليه و آله) ما يشير إلى أى تبرم، أو تضايق، أو اعتراض على أقوالها و مداخلاتها ..

غير أننا نقول:

إن هذا الذى فعلته هند إن دل على شى ء، فإنما يدل على أنها لا توقر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا تلتزم بحدود الآداب معه، بل فى كلماتها ما يدل على حقدها الدفين، و بغضها الراسخ لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلاحظ ما يلى:

1- إنها تقول: (و اللّه إنک لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال) و هذا يمثل محاوله منها للتشكيک بإنصاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و عدله .. بل هى تريد الإيحاء بأنه (صلى اللّه عليه و آله) قاس و ظالم، و لا ينطلق فى ممارساته من موازين العدل، و لا مما تقضى به الفطره، و يحكم به العقل، لأنه يأخذ على النساء ما لا يأخذه على الرجال .. مع أن الرجال

أقوى من النساء.

2- ثم إنه لما قال (صلى اللّه عليه و آله): (و لا تقتلن أولادكن). قالت:

(ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم).

فقد تضمن كلامها هذا: التلويح بثاراتها عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و التصريح بأن النبى قاتل الأبناء و الأحبه، حين كبروا.

و التشكيک فى أن يكون محقا فى قتله إياهم، حيث قالت: فأنت و هم أعلم.

و هل نسيت هند: أنها و زوجها، و أهلها، و عشيرتها كانوا باستمرارهم الذين يهاجمون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يسعون فى محو ذكره، و إبطال أمره، و استئصال شأفته؟!

و هل نسيت هند: كبد الحمزه حين حاولت أن تأكلها، فلاكتها و لم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، حتى سميت بآكله الأكباد؟!

و أخيرا، فإننا نلاحظ: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد تجاهل هذه المرأه تجاهلا تاما، و لم يعلق على كلماتها بشى ء، رغم أنها كانت جارحه له، حسبما أوضحناه.

و ذلک هو الخلق النبيل، و تلک هى سعه الصدر، و السماحه، و الصفح، و العفو عند المقدره. و من أولى من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بذلک كله؟

عمر فى بيعه النساء:

و زعموا: أن عمر بن الخطاب كان يبايع النساء بأمره (صلى اللّه عليه

و آله)، و يبلغهن عنه ..

و لا نجد حاجه لأمر كهذا، و لو احتاج النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى من يعينه فى بيعه النساء، فلما ذا لا يحتاج إلى مثل هذا المعين فى بيعه الرجال؟

فإنه لا فرق بين الجنسين من حيث كثره العدد، و لا فى أى شى ء يوجب المعونه هنا، و الإستغناء عنها هناک. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 22 304 عمر فى بيعه النساء: ..... ص : 303

فلعل عمر قد حشر نفسه فى هذا الأمر، و حاول أن يعيد كلمات النبى (صلى اللّه عليه و آله) على مسامعهن، ليظهر لهن أن له موقعا، أو يوهم الناس أنه يقوم بعمل ما فى هذا الفتح العظيم، الذى لم نجد له فيه مكانا، و لا سمعنا له فيه صوتا، لا فى تحطيم الأصنام، و لا فى ملاحقه المطلوبين للعداله، الذين أهدر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دمهم .. بل وجدناه فقط مع النساء كما يقولون.

و عمر رجل مغرم بالنساء بصوره غير عاديه، و قد ذكرنا فى موضع سابق من هذا الكتاب: أنه كان إذا أراد الحاجه تقول له زوجته: تذهب إلى بنات فلان تنظر إليهن (1).

و هو الذى يقول: إنه لم يبق فيه شى ء من أمر الجاهليه، إلا أنه لا يبالى أى الناس نكح، و أيهم أنكح (2).

و قصته مع عاتكه بنت زيد، التى كانت جميله، و مات زوجها فخطبها

1- راجع: المصنف لعبد الرزاق ج 7 ص 303 و مجمع الزوائد ج 4 ص 304 عن الطبرانى.
2- طبقات ابن سعد (ط بيروت سنه 1377 ه) ج 3 ص 982.

عمر، فرفضته، فعقد لنفسه- بزعمه- ثم ذهب إليها فعاركها حتى وطأها أشهر من أن تذكر (1).

بيعه معاويه .. و إسلامه !!:

و كان من جمله من بايع النبى (صلى اللّه عليه و آله) معاويه.

فقد روى عنه قوله: لما كان عام الحديبيه وقع الإسلام فى قلبى، فذكرت ذلک لأمى.

فقالت: إياک أن تخالف أباک، فيقطع عنک القوت.

فأسلمت، و أخفيت إسلامى.

فقال لى يوما أبو سفيان، و كأنه شعر بإسلامى: أخوک خير منک، و هو على دينى.

فلما كان عام الفتح أظهرت إسلامى، و لقيته (صلى اللّه عليه و آله)، فرحب بى الخ .. (2). ثم يستمر الحلبى فى ذكر فضائل معاويه و مآثره ..

و نقول:

أولا: إن هذا الحديث مروى عن معاويه نفسه، و هو غير مأمون على الروايه مطلقا، فكيف إذا كان يحدث عن نفسه، و يريد أن يثبت لها فضيله، أو يدفع عنها رذيله؟

ثانيا: إن هذا الكلام غير صحيح، إذ إن معاويه لو كان قد أسلم قبل ذلک لم يصح أن يعتبره المسلمون من الطلقاء. و قد تقدمت طائفه من

1- طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج 8 ص 194 و كنز العمال ج 13 ص 633.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 94 و 95.

النصوص التى تصرح بذلک، و هى مرويه عن: عمر بن الخطاب، و على بن أبى طالب (عليه السلام)، و ابن عباس، و المسور بن مخرمه، و سعنه بن عريض، و صعصعه بن صوحان، و عبد الرحمن بن غنم .. فراجع ما قدمناه فى فصل سابق، فى فقره بعنوان: (الطلقاء .. و الخلافه).

و الذى يبدو لنا: أن معاويه قد أراد أن يتخلص من وصمه العار هذه، فاخترع لنفسه هذا الحديث ..

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

اشاره

لا هجره بعد الفتح:

قالوا: إن مكه شرفها اللّه تعالى كانت قبل الفتح دار حرب، و كانت الهجره منها واجبه إلى المدينه، فلما فتحت مكه صارت دار إسلام، فانقطعت الهجره منها.

و عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم فتح مكه: (لا هجره بعد الفتح، و لكن جهاد و نيه، و إذا استنفرتم فانفروا) (1).

و عن عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشه مع عبيد بن عمير الليثى، و هى مجاوره بثبير، فسألها عن الهجره، فقالت: (لا هجره اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى اللّه و رسوله، مخافه أن يفتن عنه.

فأما اليوم فقد أظهر اللّه تعالى الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث كان، و لكن جهاد و نيه) (2).

البيعه على الجهاد:

و عن يعلى بن صفوان بن أميه قال: جئت بأبى يوم الفتح، فقلت: يا

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 260 عن البخارى، و مسلم.
2- المصدر السابق.

رسول اللّه بايع أبى على الهجره.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (بل أبايعه على الجهاد فقد انقضت الهجره) (1).

عن مجاهد مرسلا، قال: جاء يعلى بن صفوان بن أميه بعد الفتح، فقال:

يا رسول اللّه، اجعل لأبى نصيبا فى الهجره.

فقال: (لا هجره بعد اليوم).

فأتى العباس، فقال: يا أبا الفضل، ألست قد عرفت بلائى؟

قال: بلى، و ما ذا؟

قال: أتيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بأبى ليبايعه على الهجره فأبى، فقام العباس معه فى قيظ ما عليه رداء، فقال لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أتاك يعلى بأبيه لتبايعه على الهجره فلم تفعل.

فقال: (إنه لا هجره اليوم).

قال: أقسمت عليک يا رسول اللّه لتبايعه.

فمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يده فبايعه، فقال: (قد أبررت عمى و لا هجره) (2).

و نقول:

إن لنا ههنا وقفات للتوضيح و البيان و هى التاليه:

1- قد ذكرنا حين الكلام حول هجره العباس و إسلامه:

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 260 عن أحمد، و النسائى
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 260 و 261 عن ابن أبى أسامه.

أن الهجره باقيه ما دام هناک خوف على النفس من أعداء اللّه تعالى و أعداء أهل الإيمان، و قد صرح بذلک أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبه له، قرر فيها (عليه السلام): أن الهجره من أرض يضطهد فيها أهل الإيمان باقيه و قائمه.

و صرح أيضا (عليه السلام): بأن الهجره هى لمن عرف حجه اللّه فى الأرض، و ليست لأهل الضلال و الإنحراف، و من آمن ببعض الكتاب و كفر ببعض، و تعصب و كابر (1).

2- إن الهجره التى نفاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هى الهجره من مكه بعد فتحها، و لم يرد نفى موضوع الهجره، و قد أوضح حديث عائشه المتقدم ذلک.

3- إن الذين كانوا يأتون إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعد الفتح، و يصرون أن يبايعوه على الهجره إنما كانوا يفعلون ذلک لأنهم عرفوا أن للهجره قيمه فى الإسلام، و أن للمهاجر مقاما منيفا، و موقعا رفيعا و شريفا. فأرادوا أن ينالوا شرفا ليس فيهم، و مقاما ليس لهم، فمنعوا من ذلک على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لذلک صاروا يوسطون الآخرين للحصول على ما منعوا منه، فلم تنفعهم الوساطات شيئا.

و لكن إذا كان أهل الحق و الصدق يواجهون فى بلد آخر ضغوطا و اضطهادا من أجل دينهم، ثم هاجروا فرارا بدينهم إلى بلد الإسلام،

1- راجع: خطبه رقم 187 فى نهج البلاغه، و البحار ج 66 ص 227 و الإيجاز و الإعجاز للثعالبى ص 32.

و حيث يحميهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) أو الإمام (عليه السلام)، فإن لهم مقام المهاجر إلى اللّه و رسوله، و أجره، و شرفه، و عزته ..

إن ظهر النبى صلّى اللّه عليه و آله على مكه آمن به:

عن ابن إسحاق السبيعى قال: قدم ذو الجوشن الكلابى على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال له: (ما يمنعک من الإسلام)؟.

قال: رأيت قومک كذبوک، و أخرجوک، و قاتلوک، فانظر، فإن ظهرت عليهم آمنت بک و اتبعتک، و إن ظهروا عليک لم أتبعک.

فقال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (يا ذا الجوشن، لعلک إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم).

قال: فو اللّه إنى لبضريه (1)، إذ قدم علينا راكب من قبل مكه، فقلنا ما الخبر؟

قال: ظهر محمد على أهل مكه. فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

قلت: و أسلم بعد ذلک، و روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) (2).

و قال الحسن البصرى: (لما فتح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه، قالت العرب: أما ظفر محمد بأهل الحرم، و قد أجارهم اللّه من أصحاب

1- ضريه: اسم مكان. قريه فى طريق مكه، من البصره من نجد (معجم البلدان).
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 261 عن ابن سعد، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج 4 ص 68 و المصنف لابن أبى شيبه ج 14 ص 375 و الطبقات لابن سعد ج 6 ص 31.

الفيل، فليس لكم به يد. فكانوا يدخلون فى دين اللّه أفواجا، بعد أن كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا، و اثنين. فصارت القبيله تدخل بأسرها فى الإسلام) (1).

و نقول:

إن لنا الحق فى أن نسجل بعض الملاحظات، التى نوجزها كما يلى:

إسلام العرب:

1- إن ما تقدم يوضح لنا حقيقه هامه هى: أن إسلام العرب لم يكن عن قناعه، و إنما لأنه لم يعد لهم بمحمد يد. أى أنهم كانوا يتوقعون أن تتمكن قريش من التغلب عليه، و إذ بها قد عجزت عن ذلک. فجاءهم ما لا قبل لهم به، فاضطروا إلى إظهار الإسلام.

2- و من الواضح: أن المقصود بالعرب هو: قسم منهم، و لعلهم الأعراب الذين حكى اللّه عنهم هذا المعنى، فقال: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ .. (2).

و إلا فقد كان فى العرب طوائف كبيره دخلت فى الإسلام طوعا، قبل فتح مكه، و حيث لم يكن هناک ما يدعو إلى الخوف منه، بل لأنهم وجدوا فى الإسلام ضالتهم، و ما بهر عقولهم، و ما من شأنه أن يحل مشاكلهم.

3- و فى حديث ذى الجوشن الكلابى دلاله ظاهره على موقع القوه التى تصنع النصر فى تفكير ذلک الرجل، و اعتبارها هى المعيار. و إليها

1- البحار ج 21 ص 99 و مجمع البيان ج 10 ص 554.
2- الآيه 14 من سوره الحجرات.

يستند القرار بالإيمان و الكفر، مع أن القوه الماديه قد تتوفر للحق و أهله، و قد لا تتوفر لهم، بل تكون لدى أهل الباطل. فالقوه لا تستطيع أن تعطى الإنسان أيه فرصه لتمييز الحق من الباطل، كيف و قد قتل الأقوياء أنبياء اللّه و أوصياءهم، و اعتدوا على الضعفاء، و على النساء و الصبيان و قتلوهم؟

4- إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد قدم لذى الجوشن دليلا على صحه نبوته، تمثّل فى إخباره الغيبى القريب عن ظهوره و انتصاره على أهل مكه، فقال له (صلى اللّه عليه و آله): (لعلک إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم).

هذا عدا عن أنه قد رأى كما رأى غيره معجزات و كرامات كثيره له (صلى اللّه عليه و آله) لا تبقى أمام عقله أى فرصه للتهرب من الإعتراف بنبوته ..

أذان بلال فوق الكعبه:

و عن ابن عباس، و رواه عن بعض أهل العلم، و عن عروه، و عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن ابن أبى مليكه، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما حان وقت الظهر أمر بلالا أن يؤذن بالظهر يومئذ فوق الكعبه، ليغيظ بذلک المشركين، و قريش فوق رؤوس الجبال، و قد فرّ جماعه من وجوههم و تغيبوا.

(قال الواقدى: خوفا أن يقتلوا، فمنهم من يطلب الأمان، و منهم من قد أومن).

و أبو سفيان بن حرب، و عتّاب- و لفظ ابن أبى شيبه: خالد بن أسيد،

و الحارث بن هشام- جلوس بفناء الكعبه.

فقال عتّاب- أو خالد- بن أسيد: لقد أكرم اللّه أسيدا أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظه.

و قال الحارث: أما و اللّه، لو أعلم أنه محق لا تبعته.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا.

و قال بعض بنى سعيد بن العاص: لقد أكرم اللّه سعيدا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبه.

و قال الحكم بن أبى العاص: هذا و اللّه الحدث العظيم، أن يصيح عبد بنى جمح على بنيه أبى طلحه.

و قال الحارث بن هشام: إن يكن اللّه تعالى يكرهه فسيعيره.

و فى روايه: أن سهيل بن عمرو قال مثل قول الحارث.

فأتى جبريل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: (قد علمت الذى قلتم).

فقال الحارث و عتاب: نشهد إنک رسول اللّه، ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرک (1).

و فى روايه: أن الحارث بن هشام قال: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟!

1- دلائل النبوه للبيهقى ج 5 ص 78 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 248 و 249 عن أى يعلى، و ابن هشام، و البيهقى عن ابن إسحاق، و ابن أبى شيبه، و الأزرقى و الواقدى، و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 101 و 102 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 846 و تاريخ الخميس ج 2 ص 87 و 88.

و لا مانع من وجود الأمرين منه، أی و تقدم فی عمره القضاء وقوع مثل ذلک من جماعه لما أذن بلال رضی اللّه عنه علی ظهر الکعبه أیضا.

أی و قال غیر هؤلاء من کفار قریش: لقد أکرم اللّه فلانا- یعنی أباه- إذ قبضه قبل أن یری هذا الأسود علی ظهر الکعبه.

إلی أن قال: فخرج علیهم النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فقال لهم: لقد علمت الذی قلتم.

ثم ذکر ذلک لهم، فقال: أما أنت یا فلان فقد قلت کذا، و أما أنت یا فلان فقد قلت کذا، و أما أنت یا فلان فقد قلت کذا.

فقال أبو سفیان: أما أنا یا رسول اللّه فما قلت شیئا، فضحک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فقالوا: نشهد أنک رسول اللّه، و اللّه ما اطلع علی هذا أحد معنا فنقول أخبرک (1).

.. و صار بعض قریش یستهزئون و یحکون صوت بلال غیظا، و کان من جملتهم أبو محذوره، و کان من أحسنهم صوتا، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأمر به، فمثل بین یدیه، و هو یظن أنه مقتول.

فمسح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ناصیته و صدره بیده الشریفه، قال: فامتلأ قلبی و اللّه إیمانا و یقینا، فعلمت أنه رسول اللّه.

فألقی علیه (صلی اللّه علیه و آله) الأذان، و علمه إیاه، و أمره أن یؤذن

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 101 و 102.

لأهل مكه، و كان سنه ست عشره سنه، و عقبه بعده يتوارثون الأذان بمكه.

و تقدم: أن أذان أبى محذوره و تعليمه الأذان كان مرجعه (صلى اللّه عليه و آله) من حنين، و تقدم طلب تأمل الجمع بينهما (1).

و عند الراوندى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) أمر بلالا عند وقت صلاه الظهر، فصعد على الكعبه، فقال عكرمه: أكره أن أسمع صوت أبى رباح ينهق على الكعبه.

و حمد خالد بن أسيد اللّه على أن أبا عتاب توفى و لم ير ذلک.

و قال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو نطقت لظننت أن هذه الجدر ستخبر به محمدا.

فبعث إليهم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فأتى بهم، فقال عتاب: نستغفر اللّه و نتوب إليه، قد و اللّه يا رسول اللّه قلنا، فأسلم و حسن إسلامه، فولاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه (2).

و فى نص آخر: أنه لما بلغ بلال: (أشهد أن محمدا رسول اللّه) قالت جويريه بنت أبى جهل: قد لعمرى رفع لک ذكرک، أما الصلاه فسنصلى، و اللّه لا نحب من قتل الأحبه أبدا. و لقد كان جاء أبى بالذى جاء به محمدا من النبوه فردها، و لم يرد خلاف قومه (3).

قالوا أيضا: دخل النبى (صلى اللّه عليه و آله) مكه، و كان وقت الظهر،

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 102.
2- البحار ج 21 ص 118 و 119 و 133 عن الخرائج و الجرائح، و عن إعلام الورى.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 846 و السيره الحلبيه ج 3 ص 102 عن تاريخ الأزرقى.

فأمر بلالا فصعد على ظهر الكعبه فأذن، فما بقى صنم بمكه إلا سقط على وجهه، فلما سمع وجوه قريش الأذان قال بعضهم فى نفسه: الدخول فى بطن الأرض خير من سماع هذا.

و قال آخر: الحمد للّه الذى لم يعش والدى إلى هذا اليوم.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله): (يا فلان قد قلت فى نفسک كذا و يا فلان قلت فى نفسک كذا).

فقال أبو سفيان: أنت تعلم أنى لم أقل شيئا.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) (1).

و نقول:

قد تكلمنا حول هذه النصوص فى عمره القضاء، و أكثرها بعمره القضاء أنسب، و لسياقها أقرب. و إنما أوردناها هنا مجاراه لكتّاب السيره.

و سوف لا نعلق عليها ههنا بشى ء، بل نكتفى بما ذكرناه هناک، و نقتصر هنا على الإشاره التاليه:

و قد ذكر النص المتقدم، و تقدم أيضا عن مصادر عديده: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) دخل البيت يوم الفتح وقت الظهر (2).

فإذا كان الوقت ظهرا، و كان على (عليه السلام) فى هذا الوقت على ظهر الكعبه، فمن أولى منه بالأذان على ظهرها، أو ما هى الحاجه لإصعاد بلال على ظهر الكعبه من جديد، من أجل الأذان؟!

1- البحار ج 21 ص 119 عن الخرائج و الجرائح.
2- راجع ما ذكرناه تحت عنوان: إزاله الصور و التماثيل من داخل الكعبه.

و لذلک نقول: إنه قد روی یزید بن قعنب، عن فاطمه بنت أسد: أنها لما ولد علی (علیه السلام) فی جوف الکعبه، و أرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: یا فاطمه سمیه علیا، فهو علی ..

إلی أن قال عن علی (علیه السلام): (و هو الذی یکسر الأصنام، و هو الذی یؤذن فوق ظهر بیتی الخ ..) (1).

فالذی أذن فوق ظهر الکعبه حین دخول النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلیها، هو علی بن أبی طالب (علیه السلام).

و لکن ذلک لا یمنع من أن یکون بلال قد أذن فی المسجد الحرام، أو علی ظهر الکعبه فی سائر الأوقات، فأغاظ المشرکین.

النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یعود إلی مکه:

عن أبی هریره: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما فرغ من طوافه، أتی الصفا فعلا منه حتی یری البیت، فرفع یدیه، و جعل یحمد اللّه تعالی و یذکره، و یدعو ما شاء اللّه أن یدعو. و الأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض:

أما الرجل فأدرکته رغبه فی قریته، و رأفه بعشیرته.

قال أبو هریره: و جاء الوحی، و کان إذا جاء لم یخف علینا: فلیس أحد من الناس یرفع طرفه إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) حتی یقضی، فلما قضی الوحی، قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (یا معشر الأنصار).

قالوا: لبیک یا رسول اللّه.

1- إحقاق الحق (الملحقات) ج 5 ص 57 عن بشائر المصطفی، و عن تجهیز الجیش للدهلوی العظیم آبادی.

قال: (قلتم: أما الرجل فأدركته رغبه فی قریته، و رأفه فی عشیرته).

قالوا: قد قلنا ذلک یا رسول اللّه.

قال: (فما أسمّی إذن!! کلا، إنی عبد اللّه و رسوله، هاجرت إلی اللّه و إلیکم، المحیا محیاکم، و الممات مماتکم).

فأقبلوا إلیه یبکون، یقولون: و اللّه یا رسول اللّه، ما قلنا الذی قلنا إلا الضن باللّه و برسوله.

فقال رسول اللّه: (فإن اللّه و رسوله یعذرانکم و یصدقانکم) (1).

و نقول:

إن الأنصار حین قالوا، أو قال بعضهم: أدرکته رغبه فی قریته، و رأفه فی عشیرته، قد جروا علی مقتضیات الطبع البشری الإنسانی، الذی یختزن الحنین إلی الأوطان، و الرحمه، و الرأفه بذوی الأرحام، و قد غفلوا عن أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد صنعه اللّه تعالی علی عینه، و أصبح فانیا فی الطاعه و العبودیه له تعالی، یری ما یری، و یرضیه ما یرضیه، و یغضبه ما یغضبه، و لا یرید إلا ما یرید.

و هو أیضا رسوله الذی جاءهم بالهدی و دین الحق، الذی لا یحابی قومه علی حساب دینه و عقیدته، و لا یحن إلی شی ء إلا إذا کان فی ذلک الحنین رضا اللّه و طاعته.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 246 عن الطیالسی، و ابن أبی شیبه، و مسلم، و أحمد. و أشار فی هامشه إلی: مسلم 3/ 1407 فی الجهاد و السیر باب فتح مکه 86 و دلائل النبوه للبیهقی ج 5 ص 56 و معانی الآثار ج 3 ص 325. و راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 89.

و هو حين هاجر، إنما هاجر إلى اللّه، و اللّه أحب إليه من عشيرته، و ذوى رحمه، و بلده ..

و لتكن هذه العناصر الثلاثه: عبوديته للّه تعالى، و رسوليته الهاديه إلى طريق الحق و الخير، و هجرته إلى اللّه تعالى، هي الأدله القاطعه، و البراهين الساطعه على أنه لا يرغب إلا بأن يكون مع اللّه، و فى دار هجرته إليه، لا فى بلده، و لا مع قومه، و لا يتخذ عشيرته و ذوى رحمه بطانه من دون المؤمنين ..

بل المؤمنون هم أهله، و عشيرته، دون الناس كلهم.

إذن يخزيک اللّه:

عن أبى إسحاق السبيعى، عن ابن عباس قالا: رأى أبو سفيان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يمشى و الناس يطأون عقبه، فقال بينه و بين نفسه:

لو عاودت هذا الرجل القتال، و جمعت له جمعا؟

فجاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حتى ضرب بيده فى صدره، فقال: (إذن يخزيک اللّه).

فقال: أتوب إلى اللّه تعالى، و أستغفر اللّه مما تفوهت به، ما أيقنت أنک نبى حتى الساعه، إنى كنت لأحدث نفسى بذلک (1).

عن سعيد بن المسيب قال: لما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه ليله الفتح، لم يزالوا فى تكبير و تهليل، و طواف بالبيت حتى أصبحوا،

1- تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 6 ص 406 و دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 102 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 246 عن ابن سعد، و عن الحاكم فى الإكليل، و عن البيهقى.

فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من اللّه؟

قالت: نعم، هذا من اللّه.

قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): قلت لهند: أترين هذا من اللّه؟!

قالت: نعم هذا من اللّه.

فقال أبو سفيان: أشهد أنک عبد اللّه و رسوله، و الذى يحلف به ما سمع قولى هذا أحد من الناس إلا اللّه عز و جل و هند (1).

عن عبد اللّه بن أبى بكر بن حزم قال: خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أبو سفيان جالس فى المسجد، فقال أبو سفيان: ما أدرى بما يغلبنا محمد؟

فأتاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فضرب صدره و قال: (باللّه تعالى نغلبک).

فقال أبو سفيان: أشهد أنک رسول اللّه (2).

و عن ابن عباس قال: لقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أبا سفيان بن حرب فى الطواف، فقال: (يا أبا سفيان، هل كان بينک و بين هند كذا و كذا)؟

فقال أبو سفيان: فشت على هند سرى، لأفعلن بها و لأفعلن.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 246 و 147 عن الذهلى فى كتابه: جمع حديث الزهرى.
2- معانى الآثار ج 4 ص 314 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 102 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 247 عن ابن سعد، و الحارث بن أبى أسامه، و ابن عساكر، و الضعفاء للعقيلى ج 1 ص 226 و ج 3 ص 57 و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 406 و لسان الميزان ج 4 ص 178.

فلما فرغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من طوافه لحق بأبى سفيان فقال: (يا أبا سفيان، لا تكلم هندا، فإنها لم تفش من سرک شيئا).

فقال أبو سفيان: أشهد أنک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).

مع ما سبق: أبو سفيان و الإيمان:

1- إن من يراجع حياه أبى سفيان يخرج بحقيقه مفادها: أن هذا الرجل بما تصدى له من أعمال، و فيما كان له من ممارسات قد عاين الكثير الكثير من دلائل النبوه الظاهره، و معجزاتها القاهره، و آياتها الباهره.

و لكنه كان يصر على رفضها، و يتعمد تجاهلها، و يسير فى طريق اللجاج، و المكابره، و العناد، و الجحود للحق، و السعى لطمسه، و مواصله الحرب مع أهله ..

و الذى ذكر فى الروايات آنفا ما هو إلا رشحه يسيره من تلک الدلالات، و العبر و العظات.

و هذا يؤكد لنا حقيقه هامه، و هى:

أن هذا الصلف و العناد للحق يدعونا إلى تصديق تلک الطائفه من النصوص المختلفه و الكثيره، التى تؤكد: أنه لم يغير نهجه، و أنه لم يسلم، و إنما استسلم، و لما يدخل الإيمان فى قلبه، و أنه لم يزل كهفا لأهل النفاق، و أنه كان يحلف: أنه ما من جنه و لا نار، و إنما هو الملک و الدنيا (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 247 عن العقيلى، و ابن عساكر.
2- راجع: ترجمه أبى سفيان فى الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه)، و فى قاموس الرجال، و غير ذلک.

2- أما قول أبى سفيان: (ما أيقنت أنک نبى حتى الساعه) فمعناه: أنه كان إلى تلک اللحظه يتخذ سبيل النفاق، و أنه لم يكن قد أسلم قبل ذلک، رغم نطقه بالشهادتين فى مرّ الظهران قبل دخول النبى (صلى اللّه عليه و آله) مكه ..

فإذا جاء بعد النطق بالشهادتين ما دل على ما يوجب الحكم بخروجه من الدين، فلا شى ء يمكن ان يثبت عودته إلى الإسلام بصوره يقينيه، و يبقى الأمر رهنا بما يصدر عنه من دلالات و شواهد تؤيد هذا الإحتمال، أو ذاک.

فإن بلغ الأمر إلى درجه اليقين بعودته إلى الإسلام، فذلک هو المطلوب، و إلا، فإن مجرد الاحتمالات لا تفيد شيئا فى إثبات إسلامه.

3- إن ما حدّث به أبو سفيان نفسه من الرغبه بالعوده إلى قتال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إنما جاء على سبيل الحسد للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، لما رآه من عزته (صلى اللّه عليه و آله) و عظمته، و خضوع الناس لأمره و نهيه، و سعيهم للتقرب إليه، و لم يعرض لأبى سفيان ما يزيل هذا الحسد من نفسه.

و لعل ما كان يراه من مزيد شوكته، و تأكد عظمته من شأنه: أن يزيد من تأجج نار الحسد فى قلبه، و يلهب صدره حنقا و غيظا، و يملأ قلبه حقدا و بغضا.

الم. غلبت الروم:

و بعد .. فلا شک فى أن فتح مكه كان من أعظم النعم التى حبا اللّه بها

نبیه و أولیائه، إذ بذلک سقط الشرک و انتهی أمره، و خضدت شوکته فی الجزیره العربیه کلها، و أفسح المجال لدخول الناس فی الإسلام أفواجا.

و فرح المسلمون بنصر اللّه تبارک و تعالی أعظم الفرح. و کان ذلک فی السنه التی غلبت الروم علی فارس .. و ظهر مصداق قوله تعالی: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِنِینَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ یَنْصُرُ مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ وَعْدَ اللَّهِ لا یُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ یَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ (1).

و قد جاءت هذه البشاره فی أوائل الهجره حیث کانت فارس قد غلبت الروم. فبشر اللّه فی هذه الآیات بفتح مکه و بنصر اللّه لهم علی الشرک منذئذ.

و ذلک لأن معظم الناس سوف یقلبون علی هذا الدین، و یحتاجون إلی الإیمان به و بالنبوه إلی المعجزه المیسوره و الواضحه، التی لا تحتاج إلی فکر و دراسه و تأمل، و لا تحتمل التأویل، و لا یمکن ألقاء الشبهه فیها ..

و أکثرهم یعیش البساطه، و لا یملک من العلم و الفکر، ما یمکنه من أدراک حقائق القرآن العالیه، أو ما یجعله یتفاعل مع الإستدلالات العلمیه المعمقه. و هم لا یعرفون شیئا عن مصطلحات الفلاسفه، و أسالیب استدلالهم، فجاء هذا الإخبار الغیبی لیسهل علیهم هذا الإیمان، و لیرسخه فی نفوسهم، و یعمقه فی وجدانهم، و ضمیرهم. و هو من مفردات الرحمه الآلهیه لهم.

1- الآیات 1- 7 من سوره الروم.

و أما ادّعاء أن المقصود بالآیه فرح المسلمین بنصر الروم لأنهم أهل کتاب علی المشرکین لأنهم مجوس، فهو غیر مقبول .. فإن المجوس أهل کتاب أیضا، و إن کانوا قد ضیعوه کما ورد فی بعض الروایات (1).

1- الکافی ج 3 ص 567 السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 188 و الأمالی للصدوق ص 424 و التفسیر الصافی ج 2 ص 334 و تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 202 و ج 3 ص 475 و تفسیر المیزان ج 9 ص 253 و راجع: الخلاف ج 5 ص 542 و المبسوط ج 2 ص 37 الوسائل (آل البیت) ج 20 ص 365 و تذکره الفقهاء (ط. ج) ج 9 ص 279 و مصادر ذلک کثره اقتصرنا علی ذکر بعضها.

ص: 327

ص: 328

الفهارس

اشاره

1- الفهرس الإجمالى 2- الفهرس التفصيلى

ص: 329

ص: 330

1- الفهرس الإجمالى

الباب الثانى: فتح مكه الفصل الأول: هكذا تحرک من مر الظهران 7- 54

الفصل الثانى: دخول مكه 55- 80

الفصل الثالث: القتال فى مكه 81- 124

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى 125- 156

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافه 157- 178

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام 179- 218

الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبه 219- 244

الفصل الثامن: الخطبه الأولى فى مكه 245- 274

الفصل التاسع: مفتاح الكعبه .. و البيعه فى مكه 275- 306

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات 307- 326

الفهارس 327- 340

ص: 331

2- الفهرس التفصيلى

الباب الثانى: فتح مكه الفصل الأول: هكذا تحرک من مرّ الظهران الإعلان بالأمان: 9

هل هذا تشريف لأبى سفيان؟!: 12

إستجداء بعد الإستغناء: 13

حفظ حرم اللّه تبارک و تعالى: 13

وضوء و صلاه أبى سفيان: 14

الدعاه الجدد إلى الإسلام: 14

أبو سفيان يرصد كتائب الفتح: 15

كتائب الإسلام إلى مكه: 17

العباس هو المشير أم أبو بكر؟!: 28

أهداف حضور العرض: 29

أبو سفيان يصر على أن ما يراه (ملک): 30

أغدرا يا بنى هاشم؟!: 30

العده و العدد: 32

كتائب أم قبائل: 32

من هؤلاء: 34

ص: 332

خالد .. غلام !!: 34

اللواء و الرايه: 36

الرايات السود: 37

لقد عزّ عمر بعد قله و ذله: 38

أبو سفيان يصر على موقفه: 39

و لكنه أمر حتم: 39

بنو بكر أهل شؤم: 43

موقف النبى صلّى اللّه عليه و آله من كلام سعد: 44

يوم المرحمه و يوم عزّ قريش: 45

أخذ الرايه من سعد: 46

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكه: 47

على عليه السّلام صاحب اللواء: 48

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش: 49

أبو سفيان يقبّل غرز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 51

تأثير المرأه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله !!: 52

إيحاءات لا تجدى شيئا: 52

أسلم بنا: 54

الفصل الثانى: دخول مكه أدوار مخترعه للعباس رحمه اللّه: 57

خوف النبى صلّى اللّه عليه و آله على العباس: 59
سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبه أخرى: 62

ص: 333

کیف دخل النبی صلّی اللّه علیه و آله مکه؟!: 65

النبی صلّی اللّه علیه و آله یقرأ سوره الفتح: 71

الفتح جائزه المذنب: 72

العیش عیش الآخره: 73

تواضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تخشعه لربه: 74

رایه الزبیر: 76

الأمر لسعد، و الرایه لقیس: 77

النساء یلطمن وجوه الخیل: 78

کیفیه الدخول و الخروج من مکه: 78

الفصل الثالث: القتال فی مکه خالد یقاتل فی مکه!!: 83

من الخندمه إلی البحر: 91

أوقف الطلب: 93

کفوا السلاح إلا خزاعه: 93

احصدوهم حصدا: 95

المهاجرون یظنون أن خالدا قوتل: 96

خالد لا یعصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: 96

کل الجنود لم یلقوا جنودا غیر خالد: 97

قضاء اللّه خیر: 97

لم يسب صلّى اللّه عليه و آله لقريش ذريه: 98
الأنصارى الخائن: 99

أردت أمرا، و أراد اللّه غيره: 102

نهى أن يقتل من خزاعه أحد: 103

شعار النبى صلّى اللّه عليه و آله فى فتح مكه: 104

فتحت مكه عنوه لا صلحا: 109

إستدلالات و تأويلات: 111

الشهداء من المسلمين: 115

لا غنائم فى يوم الفتح: 116

قريش لا تقتل صبرا و لا تغزى: 118

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء: 120

هذا ما وعدنى ربى: 121

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى أين نزل النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مكه؟!: 127

هذا منزلنا يا جابر: 129

الحكمه فى اختيار موضع النزول: 130

النبى صلّى اللّه عليه و آله يصل الماضى بالحاضر: 131

أين نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: 132

إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر: 132

الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلّى اللّه عليه و آله: 135

لا ينزل النبى صلّى اللّه عليه و آله بيوت مكه: 135

النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یدخل دور مکه: 136
تکریم النبی صلّی اللّه علیه و آله لأم هانی: 139

ص: 335
على عليه السّلام و أم هانى: 140
الأمان .. و الجوار: 145
من الذين آوتهم أم هانى؟!: 147
لقاء على عليه السّلام بأم هانى: 148
خوف الجبناء: 149
لم تصرح أم هانى بما تطلب: 149
موقف الزهراء عليها السّلام من أم هانى: 150
أم هانى لا تجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 150
ما مثلک يجهل الإسلام: 151
خوف المشركين من عمر: 152
رنه إبليس .. و حديث نائله و ..: 152
الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافه إسلام أبى قحافه: 159
الحديثان الأخيران: 163
أبو بكر يريد طوق أخته: 165
أربعه أسلموا هم و آباؤهم: 166
إسلام أبوى أبى بكر: 167
آيات فى بر أبى بكر بأبويه: 168
أبو بكر يضرب أباه: 172

أسلم تسلم: 174

مفارقات لا علاج لها: 175

ص: 336

الأمانه اليوم قليل: 175

إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه: 176

أبو قحافه أول مخضوب فى الإسلام: 176

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام
طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله بالبيت: 181

تحطيم الأصنام فى المسجد الحرام: 182

إحالات على ما سبق: 185

ألف: المسلمون يبتدرون وضوء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 185

ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا: 186

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 186

د: المشركون فوق الجبال ينظرون: 186

تأسى عمر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 187

استلام الركن بالمحجن: 190

استلم الحجر ثم ركب راحلته: 191

محاوله اغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 192

أين كان مقام إبراهيم عليه السّلام؟!: 194

لقد كدت تركن إليهم: 195

صنم لكل قبيله، و حىّ، و بيت!!: 202

كف حصى يرمى به الرسول صلّى اللّه عليه و آله: 203

على عليه السّلام يكسر أصنام الكعبه: 205
على عليه السّلام يكسر الأصنام: 208

ص: 337

تحطيم الأصنام قبل الهجره، و يوم الفتح: 210

لماذا التعرض للأصنام سرا؟!: 211

على عليه السّلام ينوء بثقل النبوه: 212

هل خيّل إلى على عليه السّلام؟!: 214

تعمل للحق، و أحمل للحق: 214

لماذا لم يباشر النبى صلّى اللّه عليه و آله تحطيم الأصنام؟!: 215

لو نزع دلوا من زمزم: 216

النداء بتكسير الأصنام فى البيوت: 217

عكرمه يكسر الأصنام: 218

الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبه مفتاح الكعبه مع النبى صلّى اللّه عليه و آله: 221

مفتاح الكعبه أخذ قهرا: 223

إزاله الصور و التماثيل من داخل الكعبه: 225

صلاه النبى صلّى اللّه عليه و آله داخل الكعبه و خارجها: 229

النبى صلّى اللّه عليه و آله لم يدخل الكعبه إلا يوم الفتح: 231

إزاله الصور من داخل الكعبه: 232

التكبير فى زوايا الكعبه: 235

صلاه النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبه: 235

سؤال .. و جوابه: 237

أبو بكر و عمر لم يدخلا الكعبه: 237
لا نريد الحديث عن التناقضات: 239

ص: 338

هذا تأويل رؤياى: 239

عثمان بن طلحه فى فتح مكه: 241

آيه: أداء الأمانات إلى أهلها: 242

لمن هذا التهديد؟!: 242

الفصل الثامن: الخطبه الأولى فى مكه خطبه الرسول صلّى اللّه عليه و آله فى مكه: 247

نص آخر للخطبه: 252

وقفات مع الخطبه الشريفه: 254

عتقهم دليل فتح مكه عنوه: 254

الطلقاء .. و الخلافه: 255

تعظيم بيت اللّه: 257

كلكم لآدم، و آدم من تراب: 258

السلاح فى مكه فى عام الفيل و يوم الفتح: 259

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكها!!: 261

الإعلان الأول: التوحيد: 262

لک بها دار فى الجنه: 262

صدق وعده، و نصر عبده: 265

إلا الإذخر: 266

اجتهاد الرسول صلّى اللّه عليه و آله: 269

كفوا السلاح إلا خزاعه عن بنى بكر: 272
اكتبوا لأبى شاه: 274

ص: 339

التبرک بالرسول صلّی اللّه علیه و آله: 274

الفصل التاسع: مفتاح الکعبه .. و البیعه فی مکه مفتاح الکعبه مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله: 277

مفتاح الکعبه لبنی شیبه: 278

السقایه: 284

توضیح أکرهت و آذیت: 284

أعطیتکم ما ترزؤون: 285

اللّه یأمرکم أن تؤدوا الأمانات: 286

علی علیه السّلام لا یطلب الحجابه: 287

طریقه جمع فاشله: 288

السدانه و السقایه مردودتان إلی أهلیهما: 289

أعطینا النبوه و السقایه و الحجابه: 290

البیعه فی فتح مکه: 291

ما الذی أضحک عمر بن الخطاب؟!: 295

أو تزنی الحره؟!: 297

إسلام هند بعد أبی سفیان بلیله: 299

إنی لا أصافح النساء: 299

جرأه هند: 302

عمر فی بیعه النساء: 303

بيعه معاويه .. و إسلامه !!: 305

ص: 340

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات لا هجره بعد الفتح: 309

البيعه على الجهاد: 309

إن ظهر النبى صلّى اللّه عليه و آله على مكه آمن به: 312

إسلام العرب: 313

أذان بلال فوق الكعبه: 314

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يعود إلى مكه: 319

إذن يخزيک اللّه: 321

مع ما سبق: أبو سفيان و الإيمان: 323

الم، غلبت الروم: 324

الفهارس:

1- الفهرس الإجمالى 329

2- الفهرس التفصيلى 331

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.